مجلّة

المجمع الجزائري للّغة العربيّة

مجلة لغوية علمية محكمة تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربية

العدد 22 السنة الحادية عشرة صفر- ربيع الأول 1437- هـ الموافق لـ ديسمبر 2015م

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية

مجلة لغوية علمية محكمة يصدرها المجمع الجزائري للغة العربية

المدير المسؤول

د. عبد الرحمن الحاج صالح

رئيس التحرير

عثمان شبوب

اللجنة العلمية

د. محمد صاري

د. أحمد حساني **د. التواتي بن التواتي**

د. بشير إبرير **د. عبد الجليل مرتاض**

عنوان المراسلة : 06 شارع العقيد بوقرة - الأبيار - الجزائر

البريد الالكتروني : aala@wissal.dz

هاتف : 213 021.23.07.90 الفاكس : 213 021.23.07.81

* المقالات التي ترد إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أولم تنشر

* كل باحث مسؤول عن آرائه

محتويات العدد

1 - علم التعمية في التراث العربي

أ. مروان البواب.....9

2 - ما انفردت به الواو عن سائر أحرف العطف

أ. مصطفى فؤاد أحمد محمد.....47

3 - المصطلحات في بداية النهضة العربية الحديثة بين المشرق والمغرب.

أ. د. محمود فهمي حجازي 107

4. - اللغة العربية في وسائل الاتصال الإلكتروني

د. عبد العزيزبن عثمان التويجري.....137

5 - إسهامات ابن سينا في اللغة العربية وآدبها

أ.د. سيد رحمن سليمانوف.....153

6 - المسارد اللسانية وأهميتها في صناعة المعاجم المتخصصة

د.حاج هني محمد.....167

7 -الحس المأساوي في الشعر الأندلسي.

أ.د . عبد القادر هني.....197

علم التعمية في التراث العربي

أ. مروان البواب
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

يرمي هذا المقال إلى التنويه بكَشفٍ عظيمٍ في علْمٍ خَفِيّ ظل قرونًا متطاولةً حبيسَ خزائن المخطوطات العربية إلى أن قُدِّر له أن يرى النورَ قبل نحوِ عقْدينِ على أيدي ثلاثةِ باحثين من مركز الدراسات والبحوث العلمية بدمشق.

أما العِلْمُ، فهو: (التعمية واستخراجُ المُعمَّى)، أو: (التشفير وكَسْرُ الشِّفْرة). وأما الكشْفُ، فهو العثورُ على جملةِ مخطوطاتٍ عربية يعود أقدمُها إلى القرن الثالث الهجري (التاسعِ الميلادي) أثْبتَتْ أنَّ العربَ هم آباءُ هذا العلم، وأنهم هم الذين أرسَوْا أُسُسَه وصاغوا قواعدَه، وهم الذين وضعوا مصطلحاتِه وابتدعوا منهجياتِه ومبادئَه. وأما الثلاثةُ الباحثون فهم الدكتور محمد مرياتي، والدكتور يحي مير عَلَم، والدكتور محمد حسان الطيان. وقد شَرُفْتُ بمشاركتهم في بعض بحوثهم ودراستهم.

وقبل أن أسوق لكم قصة هذا الكشف، لا بدَّ من تقديم تعريفٍ موجزٍ بهذا العلم وبأهميته.

أولا: التعريف بعلم التعمية:

يقصد بعلم التعمية Cryptology وكناه الأساسيان: التعميةُ، واستخراج المعمّى.

أما **التعمية** (Cryptology أو Encipherment أو Encryption)، فهي تحويل نصٍّ واضحٍ (Plaintext أو Ceartext) إلى نصٍّ معمّى غيرِ مفهوم (Ciphertext أو Cryptogram)، وذلك باستعمال طريقةٍ محدَّدة (Cipher method) يستطيع من يَعرفُها أن يَفهمَ بها النص الأصليّ.

وأما **استخراج المعمّى** (Cryptanalyses)، فهو تحويل النصِّ المعمّى إلى النصّ الواضح دون معرفة خوارزمية التعمية المستعمَلة.

فإذا ما عُلِمت الخوارزمية، سُمِّيَ تحويلُ النصِّ المعمّى إلى النصّ الواضح بفكّ المعّمى أو فكّ الشِّفرة ،(Decipherment) كما هو مبيَّنٌ في الشكل الآتي:

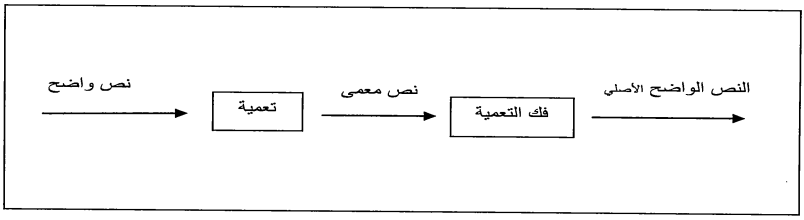

ويُستعمل المفتاح (key) ابتغاء رفع درجة سرية خوارزمية التعمية، حيث يكمن فيه أمانها. يوضِّح الشكل الآتي خوارزمية التعمية بوجود مفتاح:

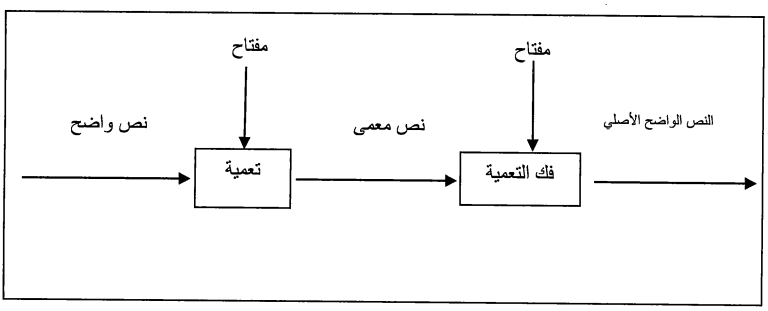

وفي بعض الحالات تَستعمل بعضُ الخوارزميات مفتاحًا للتعمية مختلفًا عن مفتاح فكِّ التعمية زيادةً في أمنها، كما هو موضَّحٌ في الشكل الآتي:

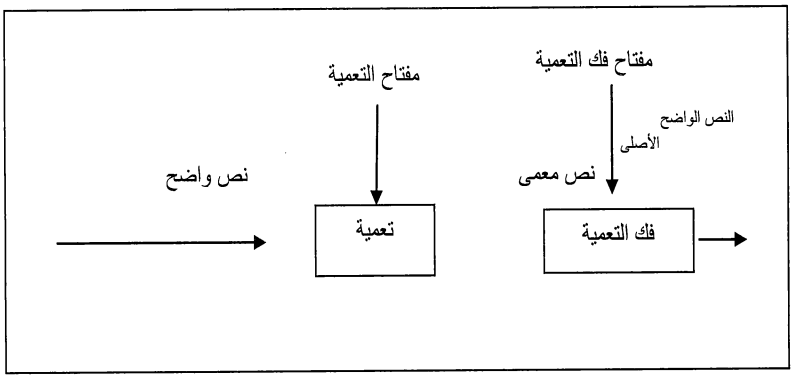

ويتوسط حقلُ التعمية واستخراجُ المعمَّى منطقة التقاطع بين التجسس والدبلوماسية والعمليات الحربية والرياضيات. وكان تاريخه حافلاً بالعديد من الحوادث المثيرة والشخصيات الغريبة والطريفة.

ثانيًا: أهمية علم التعمية

تتجلّى أهمية علم التعمية في تطبيقاته البالغة الأهمية. وهذه التطبيقات لا تقتصر –كما قد يُظَنّ- على التطبيقات المتعلقة بالعمليات الحربية والمؤسسات العسكرية، بل تتعدّاها إلى مجالاتٍ شتَّى، كأمن الاتصالات والمعلومات، والتجارة، والاقتصاد، والإعلام... وسواها.

فالمصارف مثلاً، تحتاج إلى تعمية حساباتها وتحويلاتِها واتصالاتِها خوفاً من عمليات السطو والاحتيال. **والنظم الحاسوبية** كذلك، تحتاج إلى تعميةِ قواعدِ معطياتها لمنعِ غيرِ المخوَّلين من الوصول إليها ومعرفةِ مضمونها، أو العبثِ بها، أو تخريبها. والانترنت التي توفِّر خدماتٍ

جُلَّى في حياتنا العملية؛ كالتجارة الالكترونية (E-Commerce)، والبريد الالكتروني (E-mail)، وتبادل الملفات FTP (File Transfer Protocol)... هي الأخرى بحاجةٍ إلى التعمية حفاظًا على سرّية معلوماتها، وحمايتها من عبث العابثين واحتيال المتطفلين. **وقنوات البث الفضائية** بحاجةٍ إلى تعميةِ بعضِ برامجها التلفزيونية كيلا يشاهدها إلا المشتركون فيها.

بقي أن نشير إلى أن علم التعمية ذو صلةٍ وثيقةٍ بغيره من العلوم، كعلوم اللغة العربية، والرياضيات، والإدارة، والترجمة. يضاف إلى ذلك أن لهذا العلم الأثرَ الأكبرَ في كشف رموز اللغات البائدة كالهيروغليفية في مطلع القرن الثامن عشر.

ثالثا: قصة الكشف

والآن إلى قصة هذا الكشف:

بدأت القصةُ من بضع حقائقَ تاريخيةٍ أوردَها كبيرُ مؤرِّخي هذا العلم البرفسور الأمريكي (ديفيد كان David Kahn) في كتابَيْن؛

أولهما: Kahn On Codes: Secrets of New Cryptology ((أسرار علم التعمية الجديد)).

وصفتْه صحيفة التايم بأنه: «**ربما كان أفضل وأكمل ما نُشر في علم التعمية حتى الآن.**»

«Perhaps the best and most complete account of cryptogra-
phy yet published»

وثانيها: THE CODEBREAKERS ((مستخرجو المُعَمَّى)). وُسِمَ بأنه من أكثر الكتب مبيعًا.

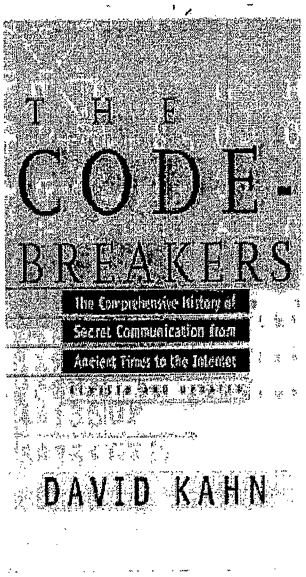

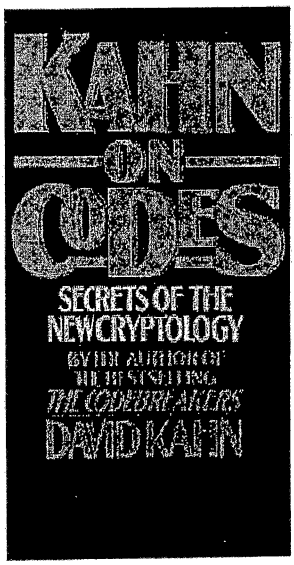

من هذه الحقائق قولُه في الصفحة الحادية والعشرين من كتاب ((أسرار علم التعمية الجديد)):

«اطّلعتُ على مقالٍ نُشر في مجلة الدراسات الساميَّة... بيَّن أن العربَ مارسوا استخراج المعمّى قبل الغرب بزمنٍ طويل. ووفَّر لي هذا المقالُ ما أَعُدُّه أكبرَ فتحٍ تاريخيٍّ في كتابي كلِّه.»

وقولُه في الصفحة الحادية والأربعين من الكتاب نفسه:

«كانت طريقةُ التعمية التي استعملها قيصرُ كافيةٌ لعصره، لأن أوائلَ مستخرجي التعمية لم يَظهروا إلا بعد عدة قرون منه. فالعرب هم الذين اكتشفوا مبادئ استخراج المعمّى، إلا أن معرفتهم تقلّصت مع أفول حضارتهم، ولم يكتشف الغربُ استخراجَ المعمّى من جديد إلا في عصر النهضة.»

وفي الصفحة الرابعة والثمانين بعد المائتين:

« لقد طوّر المسلمون معرفةً نظريةً في استخراج المعمّى تَنِمُّ عن ممارستهم العملية لاعتراض المراسلات واستخراجِ تعميتها، وذلك على الرغم من تشكيكِ بعضِ الباحثين في ذلك. ولمّا كان التراثُ الإسلاميُّ المخطوطُ لا يزال غيرَ مكتشفٍ في معظمه، فقد يُحصِّل الباحثُ فيه اكتشافاتٍ جديرةً بالتقدير.»

وقولُه في الصفحة الثالثة والتسعين من كتاب ((مستخرجو المعمَّى)):

«لم نجدْ في أيٍّ من الكتابات التي نَقَّبْنا عنها أيّ أثرٍ واضح لعلم استخراج المعمّى حتى الآن... ومن ثمَّ فإن علمَ التعمية الذي يشمل التعميةَ واستخراجَ المعمَّى لم يُولَد حتى هذا التاريخ [القرن السابع الميلادي] في جميع الحضارات التي استعرضناها، ومنها الحضارةُ الغربيةُ.

لقد وُلدَ علم التعمية بشقَيْه بين العرب؛ إذ كانوا أولَ من اكتشف طرق استخراج المعمَّى ودوَّنها. وإن هذه الأمةَ التي انبثقت من الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، والتي أشعَّت فوق مساحات شاسعة من العالم المعروف، أخرجتْ بسرعةٍ واحدةٌ من أرقى الحضارات التي عَرَفها التاريخُ حتى ذلك الوقت. لقد ازدهر العلم، فأصبحتْ علومُ الطبِّ والرياضياتُ أفضلَ ما في العالم. ومن الرياضيات جاءت كلمة التعمية (Cipher) [أي الصفر]... ولما كانت ديانةُ هذه الحضارةِ قد حرَّمت الرسمَ والنحتَ [للأحياء]، فقد حضَّت بالمقابل

على التعمُّق في تفسير القرآن الكريم، فأدَّى ذلك إلى تنصبَّ الطاقاتُ الخلاَّقةُ الكثيرةُ في متابعة الدراسات اللغوية، وفي الألغاز والأحاجيّ والرموز والتوريات والجناس وأمثالها من الرياضات الذهنية اللغوية... فأدَّى كلُّ هذا إلى أن يتضمَّن الكتابةَ السرّيةَ.»

ولدى تَتَبُع هذه الأقوال تبيَّن أن مؤلِّف هذين الكتابَين اعتمد فيهما على ما جاء في كتاب ((صبح الأعشى في صناعة الانشا)) للقلقشندي (821هـ/1418م) الذي عَقَدَ بابًا سمَّاه: (باب إخفاء ما في الكتب من السِّر)، أكثرَ النقلَ فيه عن رسالةٍ تدعى: ((مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز)) لابن الدُّرَيْهِم. ولئن عبَّر (ديفيد كان) عن أسفه الشديد لِفَقْد رسالة ابن الدريهم، لقد ضَمَّنَ ملحقاتِ كِتابِهِ رسائلَ وردتْ إليه تُنْكِروجودَ ابن الدريهم أصلاً، وتزعم أنه ضربٌ من الخيال أو الوهم.

من هنا بدأتْ رحلةُ البحث والتنقير عن تلكم المخطوطةِ المفقودة: ((مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز))، وعن صاحبها المجهول: (ابن الدريهم).

بدأتِ الرحلةُ من المكتبة الظاهرية، فعثر الثلاثةُ الباحثون على مخطوطتيْن لابن الدريهم، ولكنْ لا علاقةَ لهما بعلم التعمية. غير أنهم عثروا في أثناء بحثهم على رسائلَ في التعمية البديعية، [وهي ضربٌ من ضروب التعمية تعتمد على إخفاء المعاني بالتورية، ومحلُّها الشعر تزييناً له وإلغازًا فيه، وكان هذا النوع من التعمية منتشراً في التاريخ العربي الإسلامي، وحقِّقت مخطوطاتٌ عديدةٌ منه]. ومع أن رسائل المعمَّى البديعي لم تكن مقصودَ البحث، غير أنَّ اكتشافها قويَّ عزيمتَهم وشَحَذا همَّتهم لمتابعة البحث، فرحلوا من دمشق إلى اصطنبول؛ من المكتبة الظاهرية إلى المكتبة

السُّلَيْمانية حيث ترقد الكثرةُ الكاثرة من المخطوطات العربية. وهناك وجدوا ضالتهم: ((مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز)) لابن الدريهم الموْصِليّ، وقد كتُب اسمُ الرسالة في جذاذة الفهارس هكذا:

Miftah Al Kunuz Fi Idah Al Marmoz) Ibn Al-durayhim Al Mowsili)

غير أن المفاجأة الكبرى لم تكن في عثورهم على هذه المخطوطة التي كانت بحكم المفقودة، بل كانت في عثورهم على **أقدم مخطوطةٍ في علم التعمية وأهمّها على الإطلاق، إنها: ((رسالة الكندي في استخراج المعَمَّى))** لفيلسوف العرب المشهور يعقوب بن إسحاق الكِنْديّ؛ ذلك أن صاحبها سَبَقَ ابنَ الدريهِم بخمسة قرون؛ إذ إنَّ تاريخ وفاة الكندي كانت سنة (260 هـ)، على حينَ كانتْ وفاةُ ابن الدريهم سنةَ (712 - 762هـ/1312 - 1359م). فكان الكنديُّ بحقٍّ أبا علمِ التعمية.

وكان من جملة ما عثروا عليه في المكتبة السلمانية كذلك مجموعٌ يَشتمل على ثماني رسائل في التعمية، ومخطوطاتٌ تُعنى بالأقلام القديمة، [وهي أقلام ذاتُ صلةٍ وثيقةٍ بعلم التعمية، كان لها الأثرُ الأكبرُ في كشف اللغات القديمة، كما أسلفنا قبل قليل]. من هذه المخطوطات: ((حل الرموز وبرء الأسقام في أصول اللغات والأقلام)) لذي النون المصري (248 هـ/859 م)، تشتمل على مائتي قلم، ومخطوطةٌ أخرى للجَلْدَكي، تشتمل على سبعين قلماً، ومخطوطةٌ ثالثةٌ مجهولةُ المؤلِّف.

كانت تلكم محطةَ البحثِ الثانيةَ في رحلة الكشف.

أما المحطةُ الثالثةُ فكانت المكتبةَ الوطنيةَ بباريس. فمن هذه المكتبة حَصَلوا على مخطوطةٍ في الأقلام القديمة غايةٍ في الأهمية، عنوانها:

((شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام)) لابن وحْشِيَةَ النبطي (نحو 291 هـ/914 م).

كذلك تجمَّعَتْ لديهم جملةٌ صالحةٌ من المخطوطات في علم التعمية، لم يرتحلوا إليها، وإنما ساعدهم على الحصول عليها أساتذةٌ أجلاءٌ، وأصدقاءُ نبلاء. ومع ذلك فهم يعتقدون أنها-على غناها وكثرتِها وتنوُّعِها- غيظٌ من فيض؛ ففي جَعْبَتِهم عناوينُ كثيرةٌ لما يصلوا إليها بعد، وما زال البحث عنها جاريا.

من ذلك مثلا كتاب ((المُعَمّى)) المنسوب إلى شيخ شيوخ العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي (100 - 170هـ/718 - 786 م). نسب إليه الزبيدي في ((طبقات النحويين واللغويين)) [ص 51] كتابا في المعمّى، ولا أثر له. ونقله عنه ابن نُباتة في كتابه ((سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون)) وجعله أوَّل من وضع علم المعمَّى. ثم نقله محمد بن الحنبلي عن ابن نُباتة في رسالته ((شرح كَنْز من حاجى وعَمَّى في الأحاجي والمُعَمَّى)) [3/ب-4/أ] مصورة عن نسخة المكتبة الظاهرية.

رابعا: إخراج مخطوطات علم التعمية

عَكَفَ الثلاثةُ الباحثون على دراسة هذه المخطوطات وتحقيقِها وتحليلِها، وساعدهم في ذلك بادئ الأمر الأستاذُ العلامةُ أحمد راتب النفاخ رحمه الله، فأخرجوا فيها كتابًا في جزأين بعنوان: ((علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب))، أصدرهما مجمع اللغة العربية بدمشق ضمن مطبوعاته. وكانت اليدُ الطولى في تيسير إخراج هذا الكتاب للأستاذِ الدكتور شاكر الفحام رحمه الله الرئيسِ السابقِ للمجمع، وللأستاذِ

الدكتور عبد الله واثق شهيد المديرِ السابق لمركز الدراسات والبحوث العلمية.

اشتمل الجزء الأول على دراسةٍ موسَّعةٍ لتاريخ علم التعمية عند العرب، إضافةً إلى دراسةٍ وتحقيقٍ لرسائل الكندي وابن عدلان وابن الدريهم. نُشر سنةَ 1987، ويقع في 438 صفحة.

واشتمل الجزء الثاني على دراسةٍ وتحقيقٍ لثماني مخطوطات لابن دنينيروالجرهمي وابنِ وَهَب الكاتب وابنِ طَباطَبا وغيرهم. نُشر سنةَ 1997، ويقع في 474 صفحة.

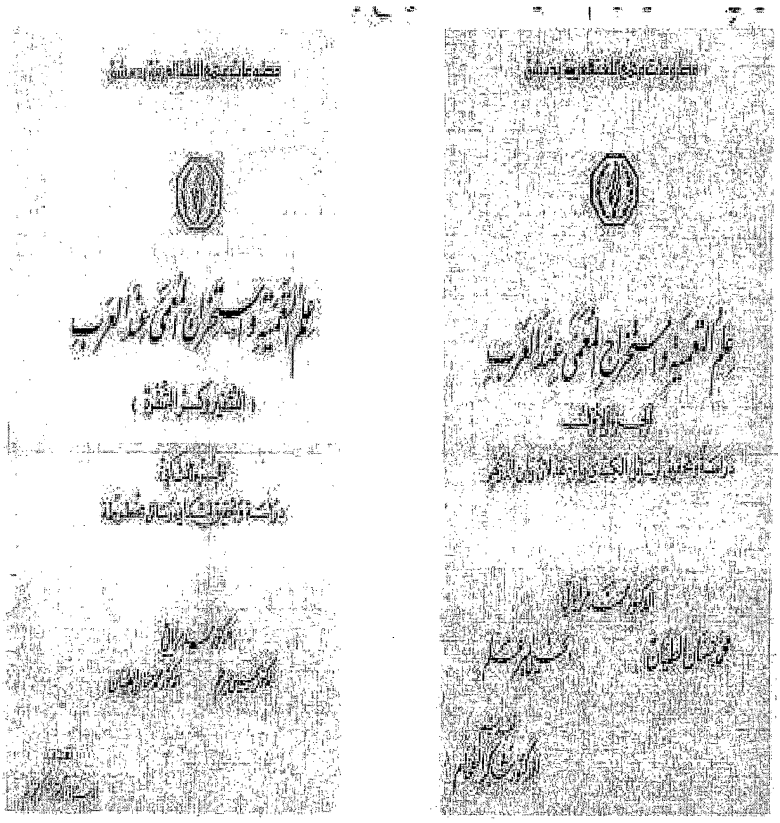

ويجري العمل الآن على إصدار الجزء الثالث الذي يتضمَّن دراسةً وتحقيقاً لمخطوطة ((شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام)) لابن وحشَّية.

بعد صدور الجزء الأول من كتاب ((علم التعمية واستخراج المعمَّى))، واطِّلاع (ديفيد كان) على مستخلصه الإنكليزي، أرسل إلى مركز الدراسات والبحوث العلمية بدمشق رسالةَ شكرٍ قال فيها:

«إنني أرى من المستخلص الانكليزي أن الكتابَ إسهامٌ عظيمٌ في تاريخ علم التعمية، ومدعاةٌ كبرى لامتناني الشخصي وتقديرِ سائر المهتمين بهذا المبحث والمؤرِّخين له... وأتطلَّع بفارغ الصبر إلى تلقِّي الطبعة الانكليزية الكاملة من هذا العلم».

وبالفعل، فقد نهض المترجمُ المِفَنّ الأستاذ سعيد الأسعد من مركز الدراسات والبحوث العلمية بترجمة هذا الكتاب بجزأيه إلى الانكليزية، وراجعه الأستاذ الدكتور إبراهيم القاضي والأستاذ الدكتور محمد السويّل والأستاذ مروان البواب.

طُبعتْ هذه الترجمةُ بتمويلٍ من مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض، ومركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية. ششغلتْ ستةَ أجزاءٍ من سلسلة Series on Arabic Origins of Cryptology ((الأصول العربية لعلم التعمية))، أصدرها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (KFCRIS) ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقانة (KACST).

وفيما يلي صورة غلاف المجلدين الأول والأخير من هذه السلسلة:

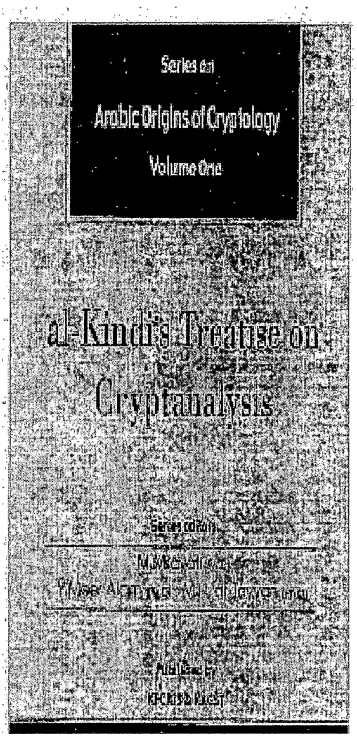

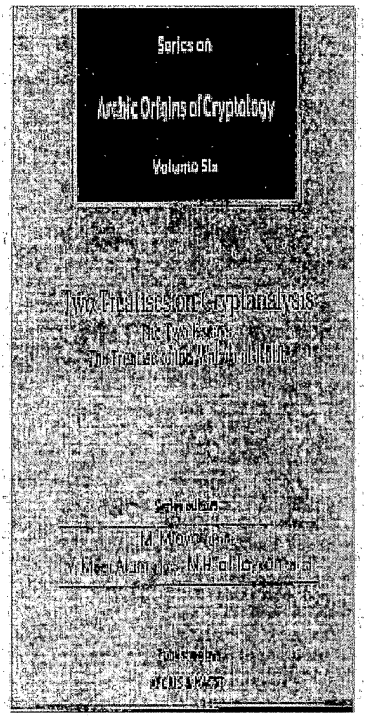

وقد لَقِيَتْ هذه السلسلةُ ترحيبًا واسعًا واهتمامًا كبيرًا في الوسط العلمي ولدى المتخصِّصين والمهتمين في جميع أرجاء العالمَ، واقتُبِسَ منها في كتبٍ مختلفة وبرامجَ إذاعيةٍ وتلفازية ووسائلَ نشرٍ متعدِّدة. (يمكن الاطلاع على مقتبساتٍ من مراجعاتٍ نقديةٍ للمجلد الأول من هذه السلسلة على موقع الرابطة الدولية لعلم التعمية:

(www.iacr.org/newsletter/v20n3/newbooks.html

وإليكم بعض التقاريظ التي كُتبت عن هذه السلسلة:

«It is an excellent job, and a major contribution to the history of cryptology.» (David Kahn,18 August 2003)

إنه عملٌ رائعٌ، وإسهامٌ عظيمٌ في تاريخ علم التعمية.» (ديفيد كان)

«It is difficult when reading al-Kind's treatise on cryptanalysis to imagine that it was written 1150 years ago. It is entirely «modern» in its scientific methodology and even in its explanations... This is a book that must be read, and re-read, by every person with a real interest in cryptology» (James L. Massey, Copenhagen, Denmark,31 August 2003)

يصعب على المرء -عندما يقرأ رسالة الكندي في استخراج المعمّى- أن يتخيَّل أنها أُلِّفتْ قبل 1150 سنة. إنها رسالةٌ «حديثة» تمامًا في منهجيتها العلمية، وحتى في شروحها واستقصاءاتها... إنه كتابٌ يجدر بكلِّ من له اهتمامٌ حقيقيٌّ بعلم التعمية أن يقرأه ويعيد قراءته.» (جيمس ماسي) .

«We are pleased to review this wonderful work and bring it to the attention of our readers» (Brian Winkkel, Editor of the review Cryptologia. 5 Oct. 2003)

«نحن سعداءُ لمراجعة هذا العمل الرائع، ولَفْتِ نظر قرَّاء مجلتنا إليه.» (محرر مجلة Cryptology)

«One of the most enjoyable parts of Ibn Adlan's lmanuscript its closing section where he takes the readre through a complete example of a cryptologram that he had broken 775 years ago, describing his falses starts, corrections, and utlimate success. Anyone, whe has worked in cryptanlysis wil recognze this as the

authentic experience of a highly skilled cryptanalyst» (James L. Massey, Copnhagen, Denmark, 14 February 2004)

«من أمتعِ ما في مخطوطة ابن عدلان فصلُها الأخير، حيث يُطلع القارئَ على مثالٍ كاملٍ لرسالةٍ مُعَماة كان كَسَرَها قبل 775 سنة، واصفًا بداياته المتعثّرة، وتصحيحاته، ثم نجاحه النهائي. ولا شك في أن كل من يعمل في مجال استخراج المعمَّى سيرى في هذا تجربةً حقيقيةً من مستخرج تعمية حاذق.» (جيمس ماسي)

« Volume 3 countains Ibn ad-Durayhim's treatise on cryptanalysis. His most important and inttribution was the quite explicit introduction of modular arithmetic... I must say that I found Volume 4 with Ibn Dunaynir's treatise to be the most interesting of these newly translated books... Ibn Dunayir made an important cryptographic innovation, namely the use of numbers to represent letters... » (James L. Massey, Copenhagen, Denmark, 8 February 2007).

يشتمل المجلد الثالث على رسالة ابن الدريهم في استخراج المعمّى. وكان إسهامه العظيم والآسر فيها هو المقدمة الجليّة في الحساب المعياري ..... وأرى لزامًا عليَّ أن أقول بأنني وجدتُ المجلد الرابع –المتضمّن رسالةَ ابن دنينير- أكثرَ إمتاعًا وإثارةً للاهتمام من بين المجلدات الثلاثة المترجَمَة حديثاً]الثالث والرابع والخامس[... ذلك أن ابن دنينير ابتدع أفكارًا تعمويَّة مهمة، ولاسيما فيما يتعلق باستعمال الأرقام في تمثيل الحروف...» (جيمس ماسي)

وقبل الحديث عن السّبق الذي أحرزه علماؤنا العرب في ميدان التعمية واستخراج المعمى، سأوجز القول في وصف أربع مخطوطات منها تنمُّ عمَّا وراءَها.

خامسًا: التعريف بأهم مخطوطات علم التعمية وأصحابها

1 - رسالة الكندي في استخراج المعمّى

المؤلّف: فيلسوفُ العرب يعقوب بن إسحاق الكندي، عدَّه الطبيبُ والرياضيُّ الإيطالي كاردانو [1501 - 1576] واحدًا من أعظم الحكماء الإثنى عشر الذين ظهروا في تاريخ الإنسانية. واعترف الفيلسوف الإنكليزي بايكون (Bacon) بفضله فقال: «إن الكندي والحسن بن الهيثم في الصف الأول مع بطليموس». ولد بالكوفة، وكان أبوه أميرًا عليها في عهد الخليفة العباسي المهديّ، ونشأ بالبصرة، ثم انتقل إلى بغداد حيث حصّل جلَّ علومه، فبرع في الطبّ والفلسفة والحساب والهندسة والفلك وغيرها. وقد أصاب منْزلةً عظيمة لدى خلفاء بني العباس، وتولّى بيتَ الحكمة (أعظمَ صرحٍ ثقافيٍّ عرفته الحضارةُ العربيةُ الإسلامية). توفي سنة 260 هـ/873م، مخلِّفًا ثروةً فكريةً هائلةً في علوم شتَّى بلغتْ نحوًا من مائتين وتسعين مصنفًا.

الرسالة: رسالةُ الكندي هي أقدمُ ما وقع بين أيدي الباحثين من آثارٍ في التعمية واستخراج المعمّى، إذ يعود تأليُفها إلى القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). وتقع ضمن مجموعٍ كبيرٍ يشتمل على ستين مصنَّفًا من كتب ورسائل يعقوب بن إسحاق الكندي. وهذا المجموعُ محفوظٌ في خزائنِ مكتبةِ آيا صوفيا ضمن المكتبة السليمانية برقم (4832).

وفيما يلي مصوَّرة الصفحتَيْن (الأولى والأخيرة) من رسالة الكندي:

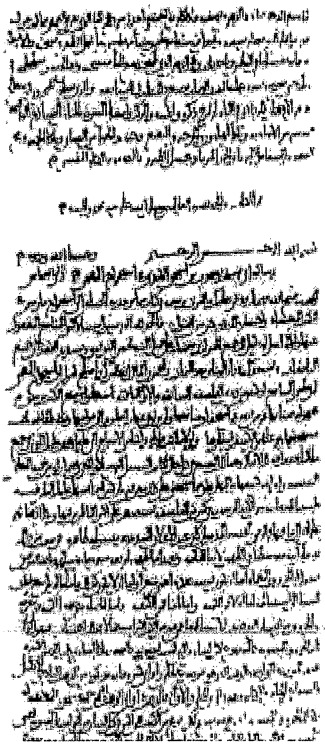

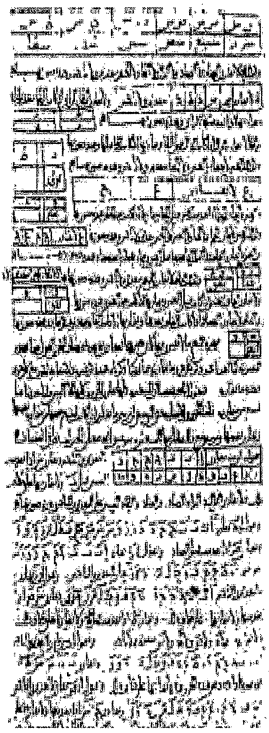

استكملتِ الرسالة أسباب التأليف العلميّ المنهجيّ في هذا الفنّ عمقًا وشمولاً، فأبرزتْه علمًا قائمًا بذاته، له أصولُه وطرائقُه المختلفة. ولا غرو، فسَعَةُ إطِّلاع مؤلِفها وتَنَوُّعُ موارده، والمكانةُ التي تبوَّأها: أستاذاً للخلفاء، وصاحباً للمكتبة الكِنْدِيةُ، ومديراً لبيت الحكمة، جعلتْ من رسالته المرجعَ الأولَ لأصحاب هذا الفن. فقد عوَّل عليها ابنُ دنَيِنِر [626 هـ] في مؤلَّفه: ((مقاصد الفصول المترجِمَةَ في حلِّ الترجمة)) وكذلك أفاد ابنُ الدريهم [762هـ] من تقسيماتها في مؤلِّفِه: ((مفتاح الكنوز في ايضاح المرموز)).

يمكن تقسيم الرسالة إلى خمسة فصول هي: سُبُلُ استخراج المعمّى، وأنواعُ التعمية العظام، ومناهجُ استخراج بعض أنواع التعمية، ودورانُ الحروف ومراتُبها في اللغة العربية، واقترانُ الحروف وامتناعُهُ في اللغة العربية.

وقد تجلتْ ريادة الكندي في هذه الرسالة بسبقه إلى: التفريق بين طرق التعمية الأساسية، وحديثه عن التعمية المركبة، واستعماله الطرق التحليلية في استخراج المعنى باستعمال تواتر الحروف ومراتبها، واعتماده تواتر الثنائيات لدى استعماله اقتران الحروف وتناثرها، واستعماله مبدأ الكلمة المحتملة، وفهمه الدقيق لطبيعة الحروف وتمييزه بين الصامتة (الخُرْس) والمصوّتة الكبيرة والصغيرة.

2 - مقاصد الفصول المترجِمة عن حلّ الترجمة

المؤلف: ابراهيم بن محمد بن ابراهيم المعروف بابن دنينير. ولد بالمَوْصل سنة 583هـ/1187م، ونشأ فيها ونُسب إليها. برع ابن دنينير في تعمية إضافةً إلى الشعر، فله في التعمية كتابان حسبما ذكر الصفدي (في كتابه...) أولهما: ((الشهاب الناجم عن علم وضع التراجم))، وثانيهما رسالة ((مقاصد الفصول المترجِمَة في حلِّ الترجمة)) التي أشرنا إليها آنفًا. وله في الشعر كتابان؛ الأول: ديوانُه الشعري، والثاني: ((الكافي في علم القوافي)). توفي ابن دنينير في بانياس سنة 627هـ/1229م.

الرسالة: اعتمد ابن دنينير في رسالته هذه على الكندي اعتمادًا كبيراً؛ فهو تارةً يشرح ما أوجزه الكندي، وأخرى يوجز ما بسط القولَ فيه. على أنه أضاف إلى ما ذكره الكندي بعضَ الطرائق التي تحتاج ممارستُها إلى أدواتٍ

علميةٍ كطريقة رقعة الشطرنج، والخرز الملون، والكتابة على دَرْج...إلخ. وأفاض في الكلام على طرق التعمية بالاخفاء. (Concealment). وعرض بعض طرائق التعمية المركبة، كاستعمال طريقتَي القلب والإعاضة معًا. وكان الموضوع الذي استغرق شطرًا من رسالته هو استخراج المعمّى من الشعر.

3 - المؤلَّف للملك الأشرف في حلّ التراجم

المؤلِّف: علي بن عدلان بن حماد بن علي، عفيفُ الدين المَوْصلي النحْوي المترجم. ولد بالموصل سنة 583هـ/1187م (وهي السنة نفسها التي وُلد فيها ابن دنينير، غير أنه عُمّرَ بعده ثلاثًا وثلاثين سنة). أخذ النحوَ عن جماعةٍ يَقْدُمُهم أبو البقاء العكبري. كان أعجوبةً في الذكاء، رأسًا في الأدب، شاعرًا مُجيدًا، حتى إن بعضهم عدّه أحد أذكياء بني آدم. وَضَعَ في علم التعمية ثلاثةَ كتبٍ هي: ((عُقلة المجتاز في حلّ الألغاز))، ((المُعْلَم))، و((المؤلَّف للملك الأشرف)). ووضع كتابًا في النحو سماه: ((الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب)). توفي بالقاهرة سنة 666هـ/1268م.

الرسالة: اختصتْ رسالةُ ابن عدلان باستخراج المعمّى، إذ لم يتطرقْ فيها إلى أنواع التعمية وطرائقِها المتشعِّبة، بل عرض فيها عشرين قاعدة في استخراج المعمّى، سبقتْها فاتحة، ولَحِقَتْها خاتمة. وأقربُ ما توصف به هذه الرسالة بأنها دليلٌ عملي (Handbookأو Manual) في استخراج التعمية.

4 - مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز

المؤلف: علي بن محمد بن عبد العزيز المعروف بابن الدريهم. وُلد بالمَوصل سنة 712هـ/1312م، ونشأ فيها. دَرَسَ على كثير من علماء عصره، وتنقّل تاجرًا بين دمشق والقاهرة غير ما مرة. توفى سنة 762هـ/1361م. برع ابنُ الدريهم في كثير من العلوم، لكنَّ شهرتَهُ ومهارته كانت في التعمية والأحاجي والألغازوحلّ المترجَم وخواصِّ الحروف... وصنّف في هذه العلوم كثيرًا من الكتب والرسائل؛ منها: ((ايضاحُ المبهَم في حلّ المترجَم))، و((غاية الإعجازفي الأحاجي والألغاز)) و((قصيدةٌ في حلّ رموز الأقلام المكتوبة على البرابي))، و((مفتاح الكنوز في ايضاح المرموز)).

الرسالة: تّعد هذه الرسالةُ أوسعَ مخطوطات هذا العلم وأكثرَها تفصيلاً، وهي إلى ذلك تدلّ على أن ابن الدريهم عانى هذا العلم ومارسه، يؤيد ذلك أنه عمل في خدمة بعض الملوك كالملك الناصر.

وقد اشتملت الرسالةُ على عدة مواضيع أهمها: ضروبُ التعمية، ومنهجيةُ حلّ الترجمة، ومقدمةٌ صرفية، وما لابدّ منه لِمَن يعاني حلّ الترجمة، وختمها بمثالَيْن عمليَّيْن في حلّ الترجمة.

وفيما يلي مصوَّرة الصفحتَيْن (الأولى والأخيرة) من رسالة ابن الدريهم:

هذا ويمكن أن نوجز نقاط السَّبْق الذي حقّقه علماؤنا العربُ في هذا العلم بما يلي:

1 -الكندي أوّلُ مَن كَتَبَ مخطوطةً في استخراج المعمّى، وذلك في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، أي قبل نحو ستة قرون من الإيطالي ألبيرتي (Alberti) الذي يَصف مؤرِّخوا الغرب كتابَه بأنه أول مخطوطة في هذا العلم.

2 -الكندي أوّلُ من فَرَّق بوضوح بين طريقتيَ التعمية الأساسيتَين: الإبدال والقلب، أي قبل بورتا (Porta) بنحو سبعة قرون.

3 - الكندي أوّلُ من استخدم فكرة الكلمة المحتملة التي تُنسَب خطأً على بورتا.

4 - ابنُ عدلان أوّلُ من استعمل النصوص بدون فاصل، وأسماها المُدْمَج، وذلك قبل بورتا بثلاثة قرون.

5 - ابنُ الدريهم هو صاحب فكرة جدول فيجونيير (Vigenère) المشهور، وذلك قبل فيجونيير بقرنين.

6 - ابن الدريهم هو الذي عرض طريقة التعمية باستعمال شبكة بسيطة، وذلك قبل كاردانو (Cardano) بقرنين أيضا.

7 - ابن وحشيَّة النَّبَطي أوّلُ من كشف اللثام عن رموز اللغة الهيروغليفية القديمة، وذلك قبل فرانسوا شامبليون بتسعة قرون.

وتحسّن الإشارة هنا إلى أهم أوجه الاستفادة المعاصرة لنتاج تحقيق مخطوطات التعمية؛ من ذلك مثلا:

* إحياء المصطلحات العربية الأصلية في هذا العلم الحيّ والمهم، وانتشار استعمالها عالميًّا.

*انتشار الإشارة إلى الكندي في معظم الكتب العالمية التي تتطرّق إلى موضوع علم التعمية؛ مثل: كتاب دافنشي كود، إضافةً إلى مقالاتٍ عديدة على الإنترنت.

*الإفادة من مخطوطة الكندي في تدريس مادة أمن المعلومات في العالم العربي، ولاسيما أن البروفسور ماسي قد وصف المخطوطة بأنها «كتاب معاصر»

سادسا: خوارزميات التعمية

رأينا من تمام البحث أن نلمَّ إلمامةً سريعةً بطرائق التعمية التي ذكرها العلماء العرب، وما آلت إليه في عصرنا الحالي. ذلك أن طرائق التعمية –على كثرة تشعُّبها وتنوُّع وسائلها- بقيتْ مبادئها على ما هي عليه منذ أن وضعها علماؤنا العرب. يؤيد ما أورده بروس شناير مؤلف كتاب «التعمية التطبيقية» [Applied Cryptography, 1996] في الصفحة الحادية عشر:

«قبل عصر الحاسوب، كانت خوارزميات التعمية قائمةً على الحروف، وكانت تقوم إما بإبدال الحرف بغيره أو بتغيير موضعه. وكانت أفضل الخوارزميات تفعل الشيئين معًا، عدَّة مرات لكلٍّ منهما.

ثم غدت الأمور أكثرَ تعقيدًا هذه الأيام، لكن الفلسفةَ بقيت نفسها. والتغيُّر الرئيسي هو أن الخوارزميات تتعامل اليوم مع البيتات عوضًا عن الحروف، وهذا عمليًا ليس سوى تغيير لحجم الأبجدية من 26 عنصرًا [في الانكليزية] إلى عنصرين[هما الصفر والواحد]. وما زالت معظمُ خوارزميات التعمية الجيدة تجمع بين عناصر من التعويض وتغيير المواضع»

وسنوجز فيما يلي الكلام على أهم هذه الخوارزميات.

1 - التعمية بتغيير الموضع (Transposition)

وتكون بتغيير مواضع حروف النص الواضح وفق قاعدة معينة. وهناك أساليبُ كثيرةٌ تتفرع عن هذه الخوارزمية، نكتفي بذكر اثنتين منها:

الأسلوب الأول: تغيير موضعَيْ كلِّ حرفين من حروف النص الواضح؛ أي أن الحرفَ الأوّلَ يَحِلُّ مَحَلَّ الثاني،

والثاني مَحَلَّ الأول، والثالثُ يحل محل الرابع، والرابع محل الثالث، وهكذا إلى أن ينتهي النص. ويجري فكُّ تعمية هذه الخوارزمية بتغيير موضعي كل حرفين من حروف النص المعمّى بطريقةٍ معاكسة للتعمية.

مثال: النص الواضح : **مجمع دمشق يرحب بضيوفه**

النص المعمّى : **جمعم مدقش ربح ضبويهف**

الأسلوب الثاني: يُكتَبُ النصُّ الواضح على أسطرٍ ذات عرضٍ ثابت، ويُقرأ النصُّ المعمّى عموديًّا.

ويجري فكُّ تعمية هذه الخوارزمية بعملية معاكسة.

مثال: النص الواضح : م ج م ع

: د م ش ق

: ي رح ب

: ب ض ي و

: ف هـ

النص المعمى: **م د ي ب ف ج م رض هـ م ش ح ي ع ق ب و**

2 - التعمية بالإعاضة أو التبديل (Substitution)

وتقوم على تبديل حروف النص الواضح، ووضع حروفٍ أو رموزٍ أخرى مكانها. ولهذه الطريقة كسابقتها أساليبُ كثيرةٌ تتفرع عنها، أشهرها الإعاضة البسيطة ((Simple substitution؛ وفيها نستعيض عن كل حرفٍ من النص الواضح بحرفٍ مقابل له. فمثلاً نستعيض عن كل حرف من النص الواضح بالذي يليه في ترتيب حروف المعجم؛ أي نضع حرف الباء بدلاً من حرف الألف، والتاء بدلاً من الباء، والثاء بدلاً من التاء، ... وهكذا.

فإذا كان النص الواضح: **مجمع دمشق يرحب بضيوفه**

يصبح النص المعمّى : **نخنع دنصك ازخت تطايقو**

وقد صُنِعَتْ آلات تعتمد مبدأ الإعاضة البسيطة، سُمِّيَتْ آلات القلب الدوار، كان من أبرزها الآلة Enigma التي استعملها الألمان في الحرب العالمية الثانية.

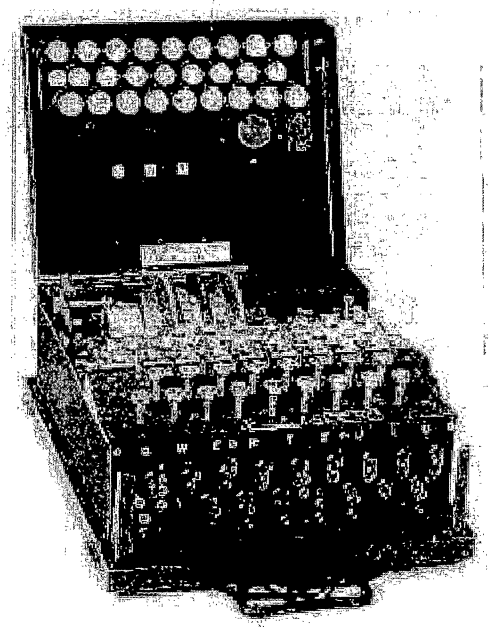

3 - التعمية بزيادة حروفٍ (أوكلمات) أغفالٍ (Nulls)

وتقوم على زيادة حروفٍ (أوكلمات) على حروف النص الواضح، وفق قاعدة محددة. ولهذه الطريقة كسابقتَيْها أساليبُ كثيرةٌ تتفرع عنها. مثال ذلك أن نزيد حرفَ اللام بعد كلِّ ميمٍ من النص الواضح، وحرفَ النون بعد كل باء.

فإذا كان النص الواضح: **مجمع دمشق يرحب بضيوفه**

يصبح النص المعمّى: **ملجملع دملشق يرحبن بنضيوفه**

4 Super-encipherment أو Compo-site Cipher

وتكون باستعمال طريقتين أو أكثر من طرائق التعمية الثلاث السابقة في آنٍ واحد. وسوف ينتج عن تطبيق ذلك عدد هائل من أساليب التعمية.

لقد أوفى علماؤنا على الغاية في استقصاء وضع طرائق التعمية؛ وحسبنا أن نشير في هذا المقام إلى ما أورده الكندي في رسالته من أنواع التعمية العظام.

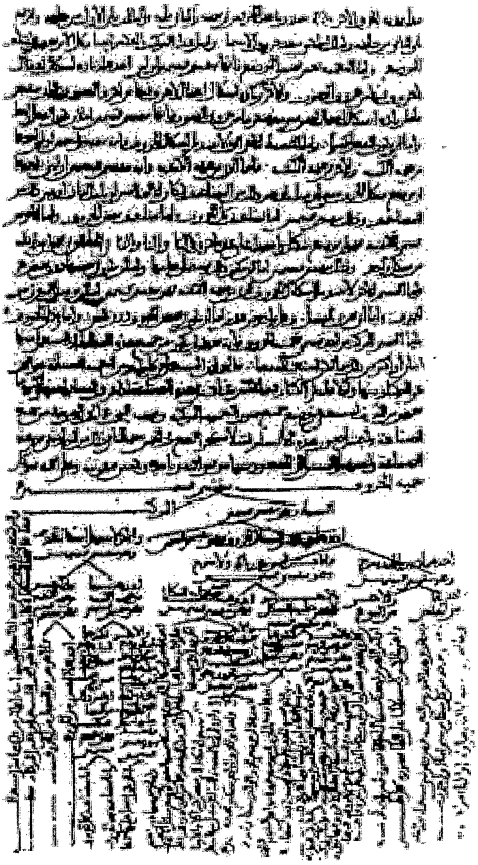

المخطط الشجري لطرائق التعمية كما ورد في رسالة الكندي

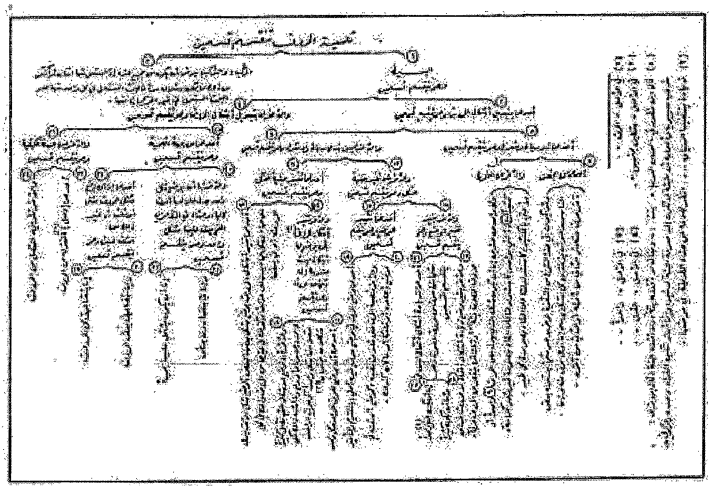

المخطط الشجري السابق بعد نسخه من مخطوطة الكندي

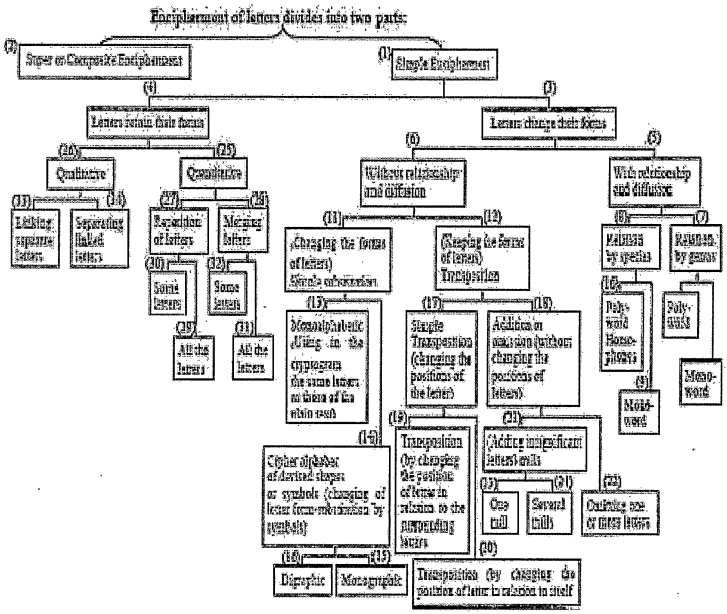

الترجمة الانكليزية للمخطط الشجري السابق

سابعًا: مبادئ استخراج المعمّى

يمكن إعادة أساليب استخراج المعمى إلى ثلاثة مبادئ أساسية، سنعرضها موجزةً فيما يلي:

المبدأ الأول: استعمال الصفات الكمية للحروف (Quantitative)

يقوم على معرفة تواتر الحروف (أو دورانها) في النصوص (Frequen-cy Count)؛ أي معرفة مراتب تلك الحروف في الاستعمال، لتقابَلَ بمراتب الرموز المستعملة في الرسالة المعمّاة. وقد أجرى بعض علماء التعمية إحصاءات للحروف بأنفسهم، وقسَّموا الحروف إلى ثلاثة مراتب: كثيرةِ الدوران، ومتوسطةِ الدوران، وقليلةِ الدوران. ففي العربية يجئ حرفُ الألف في المرتبة الأولى في دروان الحروف، يليه حرفُ اللام، ثم الميم... على حين يجئ حرفُ الظاء في المرتبة الأخيرة، وقبلَه حرفُ الغين... وهكذا. ومن المعلوم أن مراتب الحروف تختلف عمومًا باختلاف طبيعة النصوص اللغوية المحصاة.

إن هذا المبدأ هو مما سبق إليه العرب؛ إذ لم يُكتب عنه لدى الغربيين إلا في القرن الخامس عشر الميلادي، عندما وضع ألبيرتي (Alberti) أولَ رسالة له في التعمية. على حين أن الكندي كتب عن هذا المبدأ في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، أي قبل ألبيرتي بستة قرون، وسمّاه: (الحيل الكميّة).

وقد كانت لي تجربةٌ عملية في هذا الصدد، إذ وضعتُ برنامجًا حاسوبيًّا يستطيع استخراج النصوص العربية المعماة بطريقة فيجونيير. وقد اعتمدتُ في هذا البرنامج على إحصائيات دوران الحروف التي وردت عند الكندي وابن دانينيروابن عدلان إضافةً إلى ثلاث إحصائياتٍ أخرى أجريتُها

على نصوصٍ عربية مختلفة تناولت دوران الحروف الأحادية والثنائية والثلاثية، ودوران الحروف التي ترد في الكلمات ونهايتها.

الكندي			ابن دنينير			ابن عدلان		
الحرف	دورانه	النسبة المئوية	الحرف	دورانه	النسبة المئوية	الحرف	دورانه	النسبة المئوية
الألف	600	16.63	الألف	575	16.76	الألف	600	16.54
اللام	437	12.11	اللام	360	10.50	اللام	400	11.02
الميم	320	8.87	الميم	265	7.73	الميم	320	8.82
الهاء	273	7.57	الهاء	260	7.58	الهاء	270	7.44
الواو	262	7.26	الواو	250	7.29	الواو	260	7.17
الياء	252	6.98	الياء	230	6.71	الياء	250	6.89
النون	221	6.13	النون	225	6.56	النون	220	6.07
الراء	155	4.30	الراء	195	5.69	الراء	155	4.27
العين	131	3.63	العين	170	4.96	العين	138	3.80
الفاء	122	3.38	الفاء	145	4.23	الفاء	122	3.36
التاء	120	3.33	التاء	115	3.35	التاء	118	3.25
الباء	112	3.10	الباء	105	3.06	الباء	112	3.09
الكاف	112	3.10	الكاف	095	2.77	الكاف	112	3.09
الدال	092	2.55	الدال	080	2.33	الدال	092	2.54
السين	091	2.52	السين	075	2.19	السين	086	2.37
القاف	063	1.75	القاف	062	1.81	القاف	063	1.74
الحاء	057	1.58	الحاء	050	1.46	الحاء	057	1.57
الجيم	046	1.27	الجيم	043	1.25	الجيم	046	1.27
الذال	035	0.97	الذال	032	0.93	الذال	035	0.96
الصاد	032	0.89	الصاد	028	0.82	الصاد	032	0.88
الخاء	020	0.55	الشين	017	0.50	الشين	028	0.77
الثاء	017	0.47	الخاء	013	0.38	الضاد	023	0.63
الطاء	015	0.41	الثاء	011	0.32	الخاء	020	0.55
الغين	015	0.41	الزاي	009	0.26	الثاء	017	0.47
الظاء	008	0.22	الطاء	008	0.23	الزاي	016	0.44
الزاي	000	000	الظاء	007	0.20	الطاء	015	0.41
الشين	000	000	الغين	005	0.15	الغين	012	0.33
الضاد	000	000	الضاد	000	000	الظاء	008	0.22
المجموع	3608	%100	المجموع	3430	%100	المجموع	3627	%100

يبيّن الجدول الآتي دوران الحروف ونسبَها المئوية مرتبةً تنازليًّا عند الكندي وابن دنينيروابن عدلان:

ويبيّن الجدول الآتي مراتب الحروف في إحصاءات أعلام التعمية:

مراتب الحروف	الكنديّ ابن عدلان ابن دُنينير	ابن وهب الكاتب	الجرهمي	صاحب المقالتين	ابن الدُّرَيْهِم
1	ا	ا	ا	ا	ا
2	ل	ل	ل	ل	ل
3	م	م	م	م	م
4	ه	ي	ن	ي	ي
5	و	و	ه	ن	و
6	ي	ه	و	و	ن
7	ن	ن	ي	ه	ه
8	ر	ر	ب	ر	ر
9	ع	ع	د	ع	س
10	ف	ف	ر	ف	ب
11	ت	ت	ف	ب	ك
12	ب	ب	ق	ت	ت
13	ك	ك	ك	ك	ع
14	د	د	ت	د	ف
15	س	س	ج	س	ق
16	ق	ق	ح	ق	د
17	ح	ح	س	ح	ذ
18	ج	ج	ع	ج	لا
19	ذ	ذ	ص	ص	ح
20	ص	ص	ش	ذ	ج
21	ش	ش	ط	خ	ص
22	ض	ض	ث	ش	خ
23	خ	خ	خ	ث	ش
24	ث	ث	ذ	ز	ض
25	ز	ز	ز	ط	ز
26	ط	ط	ض	غ	ث
27	غ	غ	ظ	ظ	ط
28	ظ	ظ	غ	ض	غ
29					ظ

لمبدأ الثاني: استعمال الصفات الكيفية للحروف (Qualita-tive)

يقوم هذا المبدأ على معرفة أحكام بنية الكلمة (أو نَسْخها)، وما يكون من حروفها أصليًّا أو زائدًا، وما يقارن غيرَه من الحروف وما لا يقارنه تقديمًا وتأخيرًا (أي: ما يأتلف وما لا يأتلف)، وما يَكْثُرُ دورانُه من الثنائيات (أو أزواج الحروف) Digrams والثلاثيات Trigrams، وما يكثر دورانه في أوائل الكلمات (كالواو، والـ التعريف، والباء...)، وفي أواخرها (كالألف، والهاء، والنون...) وغيرها.

يبيّن الجدول الآتي ما لا يأتلف من الحروف عند الكندي:

الحرف	الرمز	مالا يأتلف معه							الثنائيات – عديمة الإئتلاف						
س	⟷	ث	ذ	ص	ض	ظ			س ث	س ذ	س ص	س ض	س ظ		
									ث س	ذ س	ص س	ض س	ظ س		
ث	⟷	ذ	ز	س	ض	ظ	س		ث ذ	ث ز	ث ص	ث ض	ث ظ	ث س	
									ذ ث	ز ث	ص ث	ض ث	ظ ث	س ث	
ث	⟵	ش							ث ش						
ذ	⟷	ز	ص	ض	ط	ظ	س		ذ ز	ذ ص	ذ ض	ذ ط	ذ ظ	ذ س	
									ز ذ	ص ذ	ض ذ	ط ذ	ظ ذ	س ذ	
ذ	⟵	ش	غ						ذ ش	ذ غ					
ز	⟷	ص	ظ	س					ز ص	ص ز	ز ط	ظ ز	ز س	س ز	
ز	⟵	ش	ض						ز ش	ز ض					
ز	⟶	ط							ط ز						
ص	⟷	ض	ط	ظ					ص ض	ض ص	ص ط	ط ص	ص ظ	ظ ص	
ص	⟵	ج	ش						ص ج	ص ش					
ص	⟶	د							د ص						
ض	⟷	ط	ظ	ش					ض ط	ط ض	ض ظ	ظ ض	ض ش	ش ض	
ض	⟵	ق							ض ق						
ض	⟶	د							د ض						
ط	⟷	ظ	ج	د					ظ ط	ط ظ	ظ ج	ج ظ	ظ د	د ظ	
ظ	⟵	ح	ق	ش	خ				ظ ح	ظ ق	ظ ش	ظ خ			
ج	⟷	ط	غ	ق					ج ط	ج غ	ج ق				
									ط ج	غ ج	ق ج				
ح	⟷	خ	ع	غ					ح خ	خ ح	ح ع	ع ح	ح غ	غ ح	
خ	⟷	غ							خ غ	غ خ					
خ	⟶	ع							ع خ						
د	⟵	ز	ط						د ز	د ط					
ش	⟶	س							س ش						
ع	⟷	غ							ع غ	غ ع					
غ	⟶	ق							ق غ						

⟷ مالا يأتلف بالتقديم والتأخير

⟶ مالا يأتلف بالتقديم

⟵ مالا يأتلف بالتأخير

المبدأ الثالث: استعمال الكلمة المحتملة (Probable Word)

يقوم هذا المبدأ على الاستفادة من معرفة الكلمات التي يُحتمَل وجودها في النص، ومن ذلك فواتح الرسائل وخواتِمُها. ويُعدّ الكنديُّ أوّلَ من نبَّه على هذه الفواتح، ليُستعانَ بها على استخراج جميع حروف النص، ثم جاء ابنُ عدلان فأكّد أهميتها، وشَرَحَ المقصودَ منها. على أن هذا المبدأ لم يعرفْه الغربيون حتى القرنِ السادسَ عشرَ عندما وضع بورتا (Porta) رسالته في التعمية.

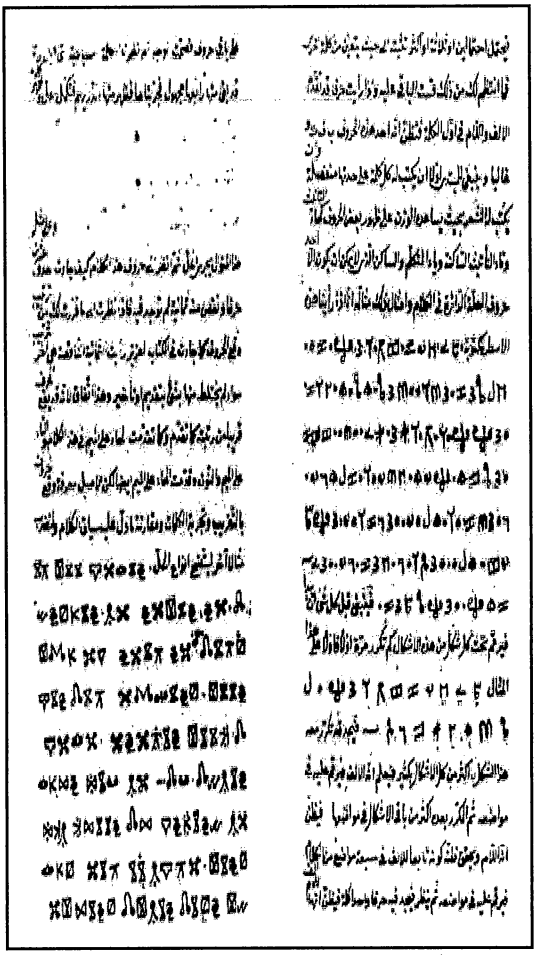

وتجدر الإشارةُ إلى أن استخراج المعمّى المنظوم (الشعر) يقوم على ما سلف من المبادئ، إضافة إلى مبادئَ أخرى تتصل بمعرفة القوافي والعَروض والرَّوِيّ والتشاطير، وعددِ حروف البيت، والحروفِ الصامتة(الخرس) وما يليها من مصوتات (الحركات وحروف المد).

وفيما يلي مصوَّرة صفحَتْين من رسالة ابن الدريهم يشرح فيهما كيفية استخراج المعمَّى لمثالين:

سابعًا: نماذج من مصطلحات علم التعمية

التعمية Cryptography: فنُّ إخفاء معاني الكلام، وهو تحويل نصٍّ اضحٍ (Plaintext) إلى نصٍّ معمّى غيرِ مفهومٍ (Ciphertext أو Crypto-gram)، وذلك باستعمال طريقة محدّدة، يستطيع مَن يعرفُها أن يفُكَّ التعمية ويَفهمَ النصَّ الأصليّ. وقد درج في أيامنا هذه استعمالُ كلمة (التشفير) بدلاً من (التعمية). و(التشفير) كلمةٌ وافدةٌ من Cipher التي جاءت بدورها من كلمةٍ عربية النَّجار هي (الصفر) حسبما اشارت إليه كثير من المراجع. ذلك أن العرب حين أدخلوا مفهوم الصفر في الحساب، وطوّروا استعمالَه، لم يكن معروفًا في العالم الغربي، فبدا هذا المفهوم غايةً في الإبهام والتعمية، وصار مثلاً يُطلق على كلّ شيء مبهم.

هذا وقد سمَّى العلماءُ العربُ مصطلحَ التعمية بأسماءٍ متعددة، وبعضُهم أطلق عليه أكثرَ من تسمية واحدة؛ فقد سمّاه الكندي: (تعمية الحروف)، وسمّاه الفراهيدي والسجستاني وابن كَيْسان وابن طباطبا وابن دنينير: (المعمّى)، وسمّاه ابن طباطبا وابن عدلان: (المترجَم)، وسمّاه ابن وَهَب الكاتب وابن دنينيروابن الدريهم والقلقشندي: (الترجمة)، وسمّاه ابن وهب الكاتب: (الكتابة الباطنة).

استخراج المعمّى Cryptanalysis: (أو ما يعرف في أيامنا بكسر الشفرة)، هو عملية تحويل نصٍّ معمّى إلى نصٍّ واضح يقوم بها مُسْتَرِقٌeavesdropper لا يَعرف طريقةَ التعمية المستعمَلة. ولهذا المصطلح كسابقة تسمياتٌ متعددة؛ فقد سمُاه الكندي وابنُ إسحاق التنوخي وابن طباطبا ومحمد بن سعيد الموصلي وابن وهب الكاتب وابن دنينير: (استخراج المعمّى)، وسمّاه الكندي وابنُ زيدون وأحمد الشنتمري:

(فكّ المعمّى)، وسمّاه غيرهم: (استنباط الحروف المعمّاة)، و(استنباط المعمّى) و(استخراج الكلام)، و(استخراج الكَلم)، و(حلّ الترجمة)، و(حلّ التراجم)، و(حلّ المترجَم)، و(حلّ المعمّى)، و(حلّ التعمية)، و(حلّ المبهم) و(كشف المعمّى)، و(كشف التراجم)، و(إخراج المكتوبات)...إلخ

حروف التعمية Cipher alphabet: وهي الأشكال المعتمَدة في النصّ المعمّى، وهذه الأشكال يمكن أن تكون أشكالاً ليست منسوبةً إلى شيء من الحروف، كما سمّاها الكندي. ويمكن أن تكون أشكالَ الحروف نفسها، أو تكون كلماتِ جنسٍ أو نوع. ويمكن أن تكون حروفًا من كلمات، أو تكون أرقامًا على نحو ما ذكره ابن الدريهم.

طريقة التعميةCipher method : هي الخوارزمية أو العمليات المتتابعة التي تطبَّق على النص الواضح لتحويله إلى نصٍّ معمّى. وثمة نوعان أساسيان للتعمية هما: التعمية بالقلب، والتعمية بالإبدال.

***التعمية بالقلب أو البعثرة Transposition :** تقوم على تغيير مواقع حروف النص الواضح وفق قاعدة معينة. سمّاها ابن وهب الكاتب: (تغيير مراتب الحروف)، وسمّاها ابن الدريهم : (باب المقلوب)، أما الكندي فقد سمّاها : (لا بتغيير حِليَةِ الشكل وبتغيير الوضع)

***التعمية بالإعاضةSubstitution :** وأبسط طرائقها أن يُستبدل بكل حرفٍ شكلٌ أورمزوفق قاعدة محدَّدة، كأن يُستبدل بكل حرفٍ الحرفُ الذي يليه على حسب ترتيب حروف (أبجد هوز)، أو باستعمال حساب الجمّل...إلخ. ويمكن أن يُتستبدل بأحد الحروف أكثرُ من حرف واحد، وهو ما يقابل Homophones. وقد سمّاها ابن وهب الكاتب: (التبديل)، وسمّاها ابن الدريهم (الإبدال).

الأغفال nulls: مفردها غُفل، وهي أشكالٌ زائدة لا معنى لها تُقحم في الحروف المعمّاة طلبا للبالغة في التعمية، فيصبح استخراجها عسيرًا. وهذا المصطلح مما وضعه الكندي.

الفاصل أو الفصل word-spacer أوpace: هو الشكل أو الرمز الذي يمثل الفراغ الفاصل بين كلمتين.

المفتاح key: هو مصطلح بين المتخاطبَيْن بالتعمية، يتألف من حرف أو مجموعة حروفٍ أو أرقامٍ أو بيت من الشعر... يسمح للمخاطَب بقراءة الرسالة المعمّاة دونما صعوبة. وقد سمّاه الكندي وابن دنينر: (الرباط والشرح) و(النظام)، وسمّاه ابن ابن عدلان: (الضوابط). في حين أطلق عليه ابن الدريهم اسم (الاصطلاح) و(الالتزام)، إضافة إلى (الرباط والشرح).

المدمجno-word-spacer : هونصٌّ معمى بدون فواصل. واستخراجه أصعب من استخراج النص ذي الفواصل.

الكلمة المحتلمةno-word-spacer: إحدى طرائق استخراج المعمى عن طريق استنباط الفواتح التقليدية الممكنة للرسائل وعبارات التمجيد الخاصة باللغة المستعملة في التعمية، كالسلام والبسملة والتحية... وغيرها.

تواتر الحروف frequency countأو letter frequency : تردّد ورود كل حرف من حروف اللغة في نصٍّ ما. وهو من الأساليب الكمّية المستعملة في استخراج المعمّى.

تواتر تقارن الحروف contact count : تردّد ورود كلّ زوج من أزواج الحروف في نصٍّ ما. ويمكن أن يؤخذ ذلك بالنسبة إلى حرف ما فيُنظر

إلى اقترانه بالتقديم أو اقترانه بالتأخير، كما يقول الكندي. وسماه غيره (ائتلاف الحروف وتنافرها). وهو من الأساليب الكيفية المستعملة في استخراج المعمّى.

قائمة المصادروالمراجع:

-**علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب**، الجزء الأول، د. محمد مراياتي، د. يحيى مير علم، د. محمد حسان الطيان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1987.

-**علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب**، الجزء الثاني، د. محمد مراياتي، د. يحيى مير علم، د. محمد حسان الطيان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1997.

-**من المكتبة العربية:** علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، عرض الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد83، الجزء1، كانون الثاني 2008.

-**تاريخ مشرق لعلمٍ خفي**، مراجعة كتاب» مستخرجو المُعمّى «The Codebreakers،DAVID KAHN ، مجلة العلوم، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، المجلد 15، 1999 .

-**التعمية التطبيقية Applied Cryptography**، تأليف Bruce Schneier، ترجمة د. حاتم النجدي، د. أميمة الدكاك، مطبوعات الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية، 2006.

-**إسهامات علوم التعمية في اللسانيات العربية**، د. يحي ميرعلم، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 79، الجزء الثالث، ص 546-521.

-**إسهامات علوم التعمية في اللسانيات العربية**، على هامش الاحتفال بإصدارسلسلة الترجمة الإنكليزية لكتاب ((علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب)) وتكريم المؤلفين في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض. جرى تقديم البحث في ندوة علمية متخصّصة في علم التعمية عقب حفل تدشين إصدارسلسلة ترجمة كتب علم التعمية عند العرب والمسلمين، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض 19 /10/ 2003.

-**اكتشاف مخطوطات التعمية والجهود المبذولة فيها**، د. محمد حسان الطيان، أُلقي هذا المقال في حفل إصدار الجزء الأول من سلسلة كتب التعمية عند العرب بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض، 17 - 19 تشرين الأول 2003. ثم نُشر في كتاب تحت راية العربية، د.محمد حسان الطيان، دار الثقافة والنشر،2008.

-**التعمية واستخراج المعمى**، محمد مراياتي ومحمد وليد الجلاد، الموسوعة العربية، المجلد السادس، ط1، 2002 .

-**علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب**، د. موفق دعبول، د. محمد مراياتي، أ. مروان البواب، فعاليات الملتقى التونسي السوري، 23- 24 نيسان، 2007.

-**نحو معجم لمصطلحات علم التعمية**، د. محمد مراياتي، د. يحيى مير علم، د. محمد حسان الطيان، أ. سعيد الأسعد، أ. مروان البواب، المؤتمر الثالث لمجمع اللغة العربية بدمشق، 2004.

-ابن وحشية النبطي وريادته في كشف رموز هيروغليفية في كتابه: **شَوْق المسْتهام في معرفة رموز الأقلام**، د. يحيى مير علم، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 79، الجزء الرابع، ص764-735.

-**العلوم عند العرب**، قدري حافظ طوقان، مكتبة مصر، 1956.

- SERIES ON Arabic Origins of Cryptology, Volume 1-6, M.Mrayati, Y.Meer Alam, M.H.Tayyan, Translated by S.al-Asaad, PuBlished by KFCRIS KACST,2003-2007

- Kahn on Codes : Secrets of the New Cryptology, David Kahn, Macmillan Pubishing Company, New York,1984.

- The CODBREAKERS, David Kahn, Macmillan Publishung Company, New York,1976.

ما انفردت به الواو
عن سائر أحرف العطف

أ.مصطفى فؤاد أحمد محمد
جامعة أم القرى-كلية اللغة العربية-
– المملكة العربية السعودية

مقدمة البحث

منَ المقرَّر أنَّ لكلِّ باب منْ أبواب النَّحو أصْلاً ؛ فأصْل أدوات الجزْم (إنْ) ، و أصْل أدوات الاستفْهام الهمزة ، و الواو أصْل أحرف العطْف ، ولِذا اختُصَّت مِن بيْن سائر أحرف العطف بأمور تناوَلها بعْض النَّحويين في أماكن متفرِّقة مِن مصنَّفاتهم ، وبعْضهم في موضْع واحد معَ اختلافهم في حصْرها ، غير أنَّي لم أهْتدِ – فيما وقفْتُ عليه- إلى مصنَّف أفاضَ فيه صاحبه من الكلام على هذه الأمور ،و أفْردَ له أوراقاً ، فأردتُ أن أنظر فيما انْفردتْ به هذه الواو ،والمسائل المتعلّقة بها، و التدقيق فيها، و ذِكر ما لم يُذكَر مِمَّا اختُصّت به هذه الواو ، واختيار الراجح في ذلك كلّه ، فكانَ – بفضْل الله – هذا البحْث ، و الله الموفق .

ملخص البحث

تناول هذا البحث تعريف العطف لغة ، فتقسيم أحرف عطف النسق عند النحاة ،ثمّ الأ حكام التي انفردت بها واو العطف،فذِكر لها ثمانية عشر حكْماً والمسائل المتعلِّقة بكلٍّ، وما قيل فيها مِن استدراكات وإجابات ، وأورد ما وَقع في ذلك جميعاً مِن مسائل خلاف ،ثم اختارَ ما وجدَه صواباً، وبالله التوفيق.

العطف في اللغة:

العطْف لغةً الثَّنْ يوالميْل، يقال:عطفْت الشيء إذا ثنيْتَه ورددْتَه، و:عطفْتُ الشيء إذا أملْتَه(1).والعطْف عندَ النحويين ضربان :بيان ونسَق،وعطْف النَّسَق لايكون إلَّا بالحروف، وعدَّتها عشَرة ، وهي أربعة أقْسام(2):قسْم يُشرِك بينَ الأوَّل والثَّاني في الإعراب والمعنى ، وهو أربعة: الواو ،والفاء ، و ثُمَّ ،وحتَّى ،وقسْم يُعطِي الحكم للأوّل دونَ الثَّاني ، وهو (لا)،وقسْم يجْعلُ الحكم للثَّانيدونَ الأوَّل ، وهو (بَلْ) و(لكن)،وقسْم يجْعلُ الحكم لأحدهمامِن دونتعيين،وهو (أوْ)و(إمَّا).

والواو أصْل حروف العطْف لأنَّها تعْطِف في الإيجاب والجحْد ، و في كلِّ ضرْب مِنَ الفعْل(3)،ولأنَّهاتوجِب الاشتراك بينَ شيئَيْن في حكْم واحد فقط،وسائرحروف العطْف توجِب زيادة حكْم على ما تُوجبه الواو ؛ فالفاء

1-ينظر : جمهرة اللغة 3 /1.4(ط ع ف) ، ومعجم مقاييس اللغة 4 /351(باب العين والطاء وما يثلثهما) ، والصحاح 4 /14.5(عطف).

2-ينظر : توجيه اللمع لابن الخباز ص283.

3-ينظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي 6 / 69، وا لنكت للأ علم الشنتمري ص214، و المحصول في شرح الفصول2 /882.

تُوجب الترتيب ،و(أو) للشكّ ،و(بَلْ) للإضراب ،فصارت هذه الحروف بهذه الزيادة كالمركَّبة ، والواو باقتضائها حكْماً واحداًكالبسيطة ،فلهذا صارتِ الواو أصْلا(1).

وتخْتصُّ الواو مِن بين سائر حروف العطف بأحكام:

أحدها: احتمال معْطوفها أن يكون متأخِّرا في الحكْم على المعْطوف عليه،أو متقدِّماً ، أو مصاحِباً ؛ وذلك أنَّ معنى الواو – كما ذكر النحاة- مطْلَق الجمْع(2)مِنغير ترتيب، ومراد النحاة بالجمْعألَّا تكون الواو لأحد الشيئَيْن أو الأشياء كما كانت (أو)، و(أمَّا) لاجتماع المعْطوف و المعْطوف عليه في الفعْل في زمان أو مكان،فالفعْل في نحو : جاءَني زيد و عمرو ،أو: جاءَني زيد فعمرو أو: جاءَ نيزيد ثمَّ عمرو ، حصَل مِن كِلَيْهما ، بخلاف: جاءَني زيد أو عمرو ، فالفعْل وقَع مِن أحدهما دونَ الآخر(3) ، ومعنى المطْلق أنَّ الفعْل يحْتمِل أن يكون وقَع مِن زيد وعمرو في زمان واحد ، وأن يكون حصَل مِن زيد أوَّلا، فالواو لادليل لها على شيْءمن هذه الاحتمالات العقليّة الثلاثة (4،قال الدسوقي(5): «وأُورد على ذلك (حتّى) :فإنّها محتمِلة للمعانى الثلاثة في قولك: قدِم الحجّاج حتَّى المشاة . فتَحتمِل المعيَّة والترتيب وعكْسه،وأجيب بأنَّ كلًّاً منْهما وإن احْتمل معْطوفه للمعاني الثلاثة فإنَّ الترتيب في الواو ذهنيّ خارجيّ،بخلاف (حتىَّ)»وذكرَ

1-ينظر : علل النحو للوراق ص377، وشرح المفصل لابن يعيش 8 /9. ، ورصف المباني ص473.

2-ينظر : مغني اللبيب2 /18، وهمع الهوامع 5 /233.

3-من شرح الرضي على الكافية 4 /381مع تصرف.

4-المصدر السابق 4 /382.

5-من حاشية الدسوقي على مغني اللبيب 2 /17 مع تصرف .

ابن عصفور(1)أنَّ (حتَّى) تفارق الواو في أنَّ ما بعدَها لا يكونُ أبدا إلّاجزْءاً ممَّا قبلَه .فالواو لِعطْف شيْء على مصاحبه،نحو قوله تعالى (**هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ**)(2)وقوله سبحانَه:(**فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ**) (3) وعلى سابقه ،نحو قوله عزَّ وجلَّ : (**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا** (١)**وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا**)(4) وعلى لاحقه ،نحو قوله تعالى (**كَذَالِكَ يُوحِى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ**)(5).

قال ابن مالك(6): «وتنفرد الواو بكون متْبِعها في الحكم محتمِلا للمعيّة برجحانٍ وللتأخُّر بكثْرة ، وللتقدُّم بقلّة».قال أبو حيان(7)،وغيره(8): «هذا مخالف لمذهب سيبويه وغيره..»وهو مدفوع بما ذكرَه خالد الأزهري(9)مِن أنَّ ما قالَه ابن مالك إنَّما هو تحقيق للواقع،لا قوْل ثالث كما ذكرَ أبو حيان.

وقال بعض النحاة: «إنَّ معنى الواو الجمْع المطلَق» وممَّن قالهالزمخشري(10)،وابن الخباز(11)، وابن الحاجب(12)، والرضي(13)

1-ينظر : شرح جمل الزجاجي لابن عصفور1 /231.
2-سورة الرعد من الآية (16).
3-سورة العنكبوت من الآية (15) .
4-سورة الزلزلة الآيتان (1،2) .
5-سورة الشورى من الآية (3) .
6- تسهيل الفوائد ص 174 .
7-من ارتشاف الضرب 4 /1981 مع تصرف .
8-ينظر : المساعد 2/ 444 .
9-ينظر : التصريح بمضمون التوضيح2 / 135 .
10-ينظر : المفصل ص3.4 .
11- ينظر : توجيه اللمع ص284 .
12-ينظر :الكافية في النحو ص225،والإيضاح2 /2.4 .
13-ينظر : شرح الرضي 4 /381 .

وصاحب الموشّح(1)، ويحيى العلوي(2)، قال ابن هشام(3) وغيره(4): «هذا القول غير سديد لتقييد الجمع بقيد الإطلاق، وإنَّما هي للجمع لابِقيْد».

والجواب عن هذا ماقالها لشّمُنّي (أنّ ذِكْر المطلق هنا ليسلل تقييد، بل لبيان الإطلاق، وكثيرا ما يُذكر اللفظ ,ويُراد به ذلك، ومنه قول المتكلّمين:الماهية مِن حيْثُ هي ... لايريدون بذلك التقييد، بل بيان الإطلاق(5)».

واختُلف في معنى واو العطْف على أقوال :

أحدها:أنَّها لمطلَق الجمع لادِلالة فيها على الترتيب، وهذا سيبويه(6)وأكثر النحاة(7)، قال السيرافي « :(8)أجمع النحويون واللغويون مِن البصريين والكوفيين أنَّ الواو لاتوجِب تقديم ماقُدِّم لفظه» ، وردَّه أبو حيان(9)

وغيره(10) بمخالفته للواقع لوجود الخلاف في ذلك.

والثاني : أنَّها تفيد المعيّة ،وهو مذهب أصحاب أبي حنيفة ،قاله إمام الحرمين(11).

1-ينظر : الموشح على كافية ابن الحاجب للخبيصي2 /745 .

2-ينظر : المنهاج في شرح جمل الزجاجي للعلوي1 /232 .

3-من المغني 2/ 18 مع تصرف .

4-ينظر : همع الهوامع 2 /1.4 .

5-من المنصف من الكلام على مغني ابن هشام للشمني2 /1.4 مع تصرف .

6-ينظر: الكتاب 1 /437،291 .

7-ينظر: المقتضب 1 /148، والجمل للزجاجي ص17، وا لأصول 2 /55، و المسائل المنثورة ص41، واللمع ص149، وشرح الكتاب للسيرافي 5 /61، ومعاني الحروف ص 37، و شرح جمل الزجاجي لابن خروف 1 /76 ، واللمحة في شرح الملحة 2 /691 .

8- شرح الكتاب للسيرافي 6 /7..

9-ينظر :ارتشاف الضرب 4/1982.

10-ينظر : الجنى الداني ص159،والمغنى 2 /18 .

11-ينظر : البرهان في أصول الفقه 1 /181.

والثالث :أنَّها للترتيب ،نُقل عن الكسائي(1)،والفراء،وقُطْرب،وثعلب،و ابن دُرستويه(2)،ونسبه الشيرازي(3) إلى بعض الشافعية ،وهوالمشهور من مذهب الإمام الشافعي كماذكر إمام الحرمين(4) .

ومافي معاني القرآن للفراء(5) ،وكذا مجالس ثعلب(6)مخالفِلمانُقل عنهما ،فَهُما يقولانِ بقول أكثر النحاة أنَّ الواو لمطلَق الجمْع ،وأمّاما نُقل عن الإمام الشافعي فغير صحيح ؛فإنّه-رحِمه الله- احتجّ لاشتراط الترتيب في أعضاء الوضوء بوجوه ليس منها أنَّ الواو للترتيب(7).

واحتَجّ مْن قال بمطلَق الجمْع-وهو الصحيح عندي-بأوجه ،منها على سبيل المثال :

1 -أن لوكانت الواو للترتيب لعُدَّ قوله تعالى(**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**) (8)في آية ،وفي آية أخرى(**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَـذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**) (9) تناقضاًلمافيه مِن جعْل المتقدِّم متأخِّراًوالمتأخِّر متقدِّماً ،والقصّةواحدة(10).

1- ينظر : شرح الرضي4 /382 .

2- ينظر: معاني الحروف ص37، و الغرة 2 /88.، وشرح الرضي 4 /382،و الجنى الداني ص158 .

3-ينظر : شرح اللمع 1 /537 .

4- ينظر: البرهان في أصول الفقه 1 /181 .

5- ينظر :معاني القرآن 1 /396.

6-ينظر : مجالس ثعلب 2 /386 .

7-ينظر : الأم 1 /99 .

8 - سورة البقرة الآية (58) .

9- سورة الأعراف الآية(161) .

10-ينظر : شرح الكتاب للسيرافي 6/7. ،وشرح اللمع للضرير ص117 ،وشرح ابن

2 -أنَّ الواو لو كانت للترتيب لمَاحسُن أن تقول :تقاتلَ زيد وعمرو . إذِ التفاعل لايكونإلَّامِن اثنين لا ترتيب بينَهما(1) ، ولجاز أيضاً أن تقول :تقاتلَ زيد .وتسْكُت.(2)

3 - أنّ واو العطف في الأسماء المختلفة تَجريمَجرى واو الجمع ، وفي الأسماء المتماثلة مَجرى ياء التثنية ،وهما يقتضيان الترتيب ،فكذلك ما هو جارٍ مَجراهما(3).

4 -أنَّه يلزَم مِن قولك:جاءَ زيد وعمرو بعدَه. أن يكون قولك:بعدَه. تكريرا، وأن يكون قولكَ :جاءَ زيد وعمرو قبلَه . متناقضاً(4) .

و الثاني ممَّا انفردت به الواو :عطْف ما لا يَستَغني عنه متبوعه،نحو:اختصمَ زيد وعمرو، و:هذان زيد وعمرو ، و:هؤلاءِ أبوكَ وأخوك وابنكَ، وكذا مخفوض (بينَ) إذا كان مفرداً ،نحو:جلستُ بينَ زيد وعمرو، فلا يصِحُّ العطْف هٰنا إلَّا بالواو خاصّة (5)، فلا يجُوز :اخْتصمَ زيد فعمرو، ولا:هؤلاءِ أبوكَ ثمّ أخوكَ ثمّ ابنكَ ، ولا : جلسْتُ بينَ زيد فعمرو، إذِ المتبوع لا يُغني عنِ التابع ، فأنْتَ لا تقول:اخْتصم زيد . ولا:جلسْتُ بينَ زيد. ولا: هذانِ زيد . ولا:هؤلاءِ أبوكَ . مقْتصرا(6).

يعيش 8 /92 ، و الموشح 2 /745 ،وشرح الكافية لابن الحاجب ص767 (رسالة دكتوراة)، وشرح الرضي 4 /382،و البسيط في شرح جمل الزجاجي 1 /335 .

1-ينظر : الفوائد والقواعد ص377،و المحصول 2/882 ،والبسيط 1 /335 .

2- ينظر : الفوائد والقواعد ص377 .

3-ينظر : التبصرة للصيمري ص131 ،وشرح اللمع للضرير ص117 ,وشرح ابن يعيش 8 /91 .

4- ينظر : شرح ابن يعيش 8 /91.

5- ينظر: شرح القصائد التسع للنحاسص4،والجمل ص19، والأصول 1/76،وشرح الكتاب للسيرافي6 /69،ونتائج الفكر ص249،وشرح الجمل لابن خروف1/87،والمقاصد الشافية 5 / 73 .

6- ينظر: الأصول 2 /76، والمقتصد 2 /938، والمقاصد الشافية 5 /74 .

أمَّا (اختصم) ونحوه مِن أفعال باب المفاعلة فلِأنَّها لا تَجري إلَّا بينَ اثنين، وإنَّما كان العطْف فيها بالواو خاصّة لأنَّ المخاصمة والمقاتلة ونحوهما لا ترتيب بينَها ،وهذا لا يكون إلَّا للواو فقط(1) ، وكذا مخفوض (بينَ) فإنَّ البيْنيّة لاتُعقَل إلَّا بينَ شيئَيْن لا اعتبارلترتيب بينَهما ، وأمّا (هذانِ زيد)،و(هؤلاءِ أبوكَ) فلِأنَّ مطابقة الخبرللمبتدأ حتْم، و إنّما كان العطْف بالواو لا غيرها مِن حروف العطف لأنَّ المعطوف هنا معَ المعطوف عليه في قوّة الاسم المثنّىوالمجموع ، وهما مرادفانِ لِما يتطلَّبُه معناهما منَ الجمع المطلَق مِن غيراعتبارترتيب ولا غيره ،وهذا لا يكون لغيرالواو(2).

فلو كان المتبوع مغنياً عنِ التابع ، كقولك:اختصمَ الزيدان. و: المال بينَ الورَثة .و:جلستُ بينَ الرجال . ونحو ذلك لجاز العطف بالواو وغيرها فتقول:اختصمالزيدان أوالعمران . و:المالبينَ الورثة فالعَصَبة . و:جلستُ بينَ الرجال ثمّ النّساء(3). و ذلك لأنَّكَ تكون قد أعطيتَ الفعْل ما به اكتَفى ، ثمّ عطفتَ بالفاء وغيرها على ما هو مكتفٍ ، ومِن ثَمَّلا يجُوز أن تقول : اختصمَ الزيدان فعمرو . حتَّى تضُمّ إلى عمرو اسماً آخر بالواو، فتقول:اختصمَ الزيدانِ فعمرو و خالد. لأنَّ الفاء ليستْ للجمع ، وإنّما هي للترتيب ،وهي بمنزلة عامل آخر(4).

والمراد بالواو التي تخْتصُّ بمسألتنا هذه الواو الجامعة ،أي : التي يكون مابعدَها مصاحباً لِما قبلَها في الحكم هذا شرط ، وشرط ثانٍ أن

1-ينظر: الإيضاح العضدي ص295، وشرح الكتاب للسيرافي 6 /69، والمقتصد 2 /938, وشرح الجمل لابن خروف1 /87،والمنهاج 1 /24..والفصول المفيدة في الواو المزيدة ص57 .

2- ينظر : الفصول المفيدة ص57، والمقاصد الشافية 5 /75.

3- ينظر : شرح الكتاب للسيرافي 6 /7.، وا لمقاصد الشافية 5 /74.

4- من شرح الكتاب للسيرافي 6 /7. مع تصرف .

تكون غير مُشرِّكة للفعل في إسناده إلى كلّ واحد مِنَ المعطوف والمعطوف عليه بمفرده،بمعنى أن يكون القصْد الإخبار عن فعْلٍ واحد،لاعن فعلَيْن(1)،وبيان ذلك – كما ذكرَ الشاطبي(2)- أنّك إذاقلتَ :مررتُ بزيد وعمرو.احتَمل أن تكون أخبرْتَ عن مرور واحد شرَّكتَ فيه زيداً وعمراً، واحتَمل أيضاً أن تكون أخبرتَ عن مرور لكلّ واحد منْهما،كأنّكَ قلتَ: مررتُ بزيد .ومررتُ بعمرو . فعلى الاحتمال الثّاني لايصِحُّ استعمال الواو الجامعة في الأمثلة المذكورة آنفاً،إذلايقال : اختصمَ زيد و اختصمَ عمرو. لاقتضاء هذا الكلام انفراد كلٍّ مِن زيد و عمرو بالفعل ، و هو فاسد ؛لأنَّ الاختصام لا يكون إلَّا مِن اثنين ، و مثْله المخفوض ب(بينَ)– وتقدَّم ذلكَ كلّه– وكذا لا يجُوز أن يقال: هذانِ زيد. وهذانِ عمرو. لِمَا تقدَّ م مِن وجوب مطابقة الخبر للمبتدأ.

وأمّا قول امرئ القيس(3) :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِل بِسِقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فقد عطفَ فيه بعدَ (بينَ) بالفاء، وأراد –كما ذكرَ أبو جعفر النحاس(4) وغيره(5)-بينَ مواضع الدّخول و بينَ مواضع حَوْمل .

وأجاز ابن خروف(6و غيره(7) أن يكون الدّخول مشتملاً على نواحي وجِهات و عَرَصات ، فتمَّ الكلام ،كما تقول: جلستُ بينَ الرجال فالنساء.

1- ينظر : نتائج الفكر ص249،والفصول المفيدة ص57،والمقاصد الشافية 5 /78.
2- ينظر : المقاصد الشافية 5 /79.
3- ديوانه ص8،والبيت في الكتاب4 /2.5 ،وشرح المقدمة الجزولية1/276 ،وشرح ابن عصفور 1 /263،والمقاصد الشافية5 /74.
4- ينظر : شرح القصائد التسع ص4.
5- ينظر :شرح ابن عصفور1 /264،وشرح الرضي 4 /387،والفصول المفيدة ص62.
6- ينظر : شرح الجمل لابن خروف 1 /77.
7-ينظر : المقاصد الشافية 5 /83.

وذهب بعض النحاة – منهم ابن عصفور(1)- إلى أنّ الفاء في البيت بمنزلة الواو، وحجَّته رواية الأصْمعي ، وفيها(وحومل) بدلَ (فحومل) ،و هذه الرواية – كما ذكرَ المبرد(2)-هي أصحّ الرويات ،وذكرَ الشاطبي(3) أنّها المشهورة.

وأجاز الرضيّ(4)أن تكون الفاء في البيت بمعنى (إلى) أي: منازل مِن الدخول إلى حومل،كما أجاز أن يكون المعنى : قِفا نبك بينَ منازل الدخول فمنازل حومل ،أي: على تقدير مضاف محذوف كما تقدّم .

وعندي -ممَّا تقدّم –أنَّجعْل الكلام على حذف مضاف هو الأقرب والأَوْلى، لكثْرته وشيوعه ،والله أعلم.

ومن مميّزات الواو المختصّة بهذا الموضوع ،أعني: الواو الجامعة غير مشرِّكة أنّ الفعل يكون معَها على حكم المتقدِّم فإن كان مؤنَّثاً أَلحقْتَ الفعل علامة تأنيث,فتقول :اختصمَتْ هند وزيدٌ . وإن كان المتقدِّم مذكَّراً لم تُلحق الفعل علامة التأنيث، فتقول : اختصمَ زيد وهند . ذكره ابن أبي الربيع الأشبيلي(5).

1- ينظر :شرح ابن عصفور1 /264 .
2- ينظر : الكامل 1 /426 .
3-ينظر : المقاصد الشافية 5 /83 .
4-ينظر :شرح الرضي4 /386 .
5-ينظر :البسيط 1 /352،265 .

وأمّا ما ذهب إليه ابن الطراوة(1) وغيره ، كالسهيلي(2),وأبي حيان(3)، وابن القيّم(4)مِن أنَّ الواو في قوله سبحان(**وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**)(5) جامعة لأنَّ الفعل (جمُع)ممّا يُسنَدُ إلى اثنين ، وغُلِّب فيه المذكّر على المؤنّث –مع تقدُّم المؤنّث– لاجتماعهما فمدفوع بمااحتَجّ به ابن أبي الربيع(6) علىبطْلان كلام ابن الطراوةمِن أن قوله تعالى(**هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ**) (7) قُرئ بالياء والتاء(8) لأنّ تأنيث الظلمات غير حقيقيّ ، وأن لو كانَ الأمر –كما ذكر ابن الطراوة –لكانتِ القراءة بالياء خاصّة ،وكلام ابن أبي الربيع في توجيه هذه القراءة –وبه آخُذ – هو قول فريق منَ النحاة، منهم أبو علي الفارسي(9)، وابن خالويه(10)، ومكّي القيسي(11).

هذا، وينبغي أن يُأخذ الكلام في مسألة العطْف في الفعل الذي لايَستغني بفاعل واحد-كما ذكر ابن خروف(12)،وتبعه ابن أبي الربيع الأشبيلي-وبه أقول- على أنّ العطف بالواو متعيّن إذا أُريد عطْف أحد

---

1 - ينظر :المصدر السابق 1 /264، 353

2- ينظر : نتائج الفكر ص.25.

3- ينظر :ارتشاف الضرب 4 /1985 .

4-ينظر:الفوائد والبدائع ص254 .

5-سورة القيامة الآية (9) .

6-ينظر:البسيط 1 /352 .

7-سورة الرعد من الآية (16) .

8-قرأ حمزة و الكسائي و أبوبكر بالياء، و الباقون بالتاء، ينظر :الحجة للفارسي 5 /15، و إعراب القراءات السبع لابن خالويه 1 /327، و الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي القيسي 2 /19، و التبصرة ص.386

9-ينظر : الحجة للفارسي 5 /15 .

10-ينظر : إعراب القراءات السبع1 /327 .

11-ينظر: الكشف لمكي2 /19 .

12-ينظر : ينظر شرح جمل الزجاجي لابن خروف(1 /87) .

الفاعلَ يُنعلى الآخر ، قال ابن أبي الربيع(1): «لأنَّه يجوز أن يقال:اختصمَ زيدمع عمرو.و:اشتركَ زيد معَ عمرو. ولَكَ أن تقول : رأيتُ زيداً يختصِمُ .ولاتذكُرُمَن خاصمَ،وكذلك تقول:قد اشتركَ اليوم زيد . ولاتدْرِي معَ مَن اشتركَ،فكيف تذكُرُه؟ .

وذهب الرضي(2)إلى أنّ الواو قد تُحذفُهُنا مع معطوفها إذاقامَت قرينة كما إذا قيل لَك :مَن اشتركَ هو وزيد؟ . فقلتَ:اشتركَ عمرو. وجَعل منهقوله تعالى: (**لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ**)(3) قال: «والقدير:(لايستوي منكم مَن أنفق مِن قبل الفتح ومَن أنفق مِن بعده)»(4).

وذكر ابن هشام(5)أنّ (أمْ)المتصلة تشارك الواو في عطف مالا يُستَغنىعنه،كما في قوله تعالى :(**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ**)(6.

وجوابه –كما نقله خالد الأزهري(7)-أنّ العاطف بطريق الأصالة هو الواوإذْأصْل الكلام (سواء عليهم الإنذار وعدمه)،ورُدَّ(8)بأنّ الجواب غير ظاهرعندَ التأمُّل .

و الثالث :عطْف عامل حُذف،وبقِي معموله على عامل ظاهر يجمَعُهما معنىً واحد،وضابط ذلكّ أن يكون الاسم التالي للواو في الظاهر معْطوفاً على معمول العامل المذكور معَ أنّ العامل لايصِحُّ نسْبته إلى ذلك

1-ينظر:البسيط 1 /352 .
2- ينظر : شرح الرضى 2/ 348 .
3-سورة الحديد من الآية (10) .
4-شرح الرضى 2 /348 .
5-ينظر : المغني 2/2. .
6-سورة البقرة من الآية (6) .
7-ينظر : التصريح 2 /136 .
8-حاشية يس على التصريح 2 /136.

الاسم،والمعمولانِ يجمَعُهما معنىً واحد،نحو قوله تعالى:(**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ**)(1)وقول الشاعر(2):

علَفْتُهَا تِبْنَاًوَمَاءً بارِداً حَتى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاها

وقول الآخر :(3)

إذا مَا الغانِيَاتُ برَزْنَيَوْمَاً وَ زَججنَ الحَوَاجب وَالعُيونا

وقوله:(4)

ياليتَ زَوجكِ قَدْ غدا مُتقَلداً سَيْفَاً وَرُمْحَا

وقوله(5)

ترَاه كأَنَّ اللهُ يَجدَعُ أنفه إِنْ مَوْلاهُ ثاب لهُ وَفرُ

واختَلف النحاة فيما جاءَ مِن هذا النوع(6) ؛فحمَله جماعة مِن الكوفيين-منهم الكسائي(،7)والفراء(8)-وجماعة مِن البصريين،كالفارسي(9،)و ابن جني(10)،

1-سورة الحشر من الآية (9).

2-لم أقف على قائله ، والبيت في كتاب الشعر ص533، والخصائص 2 /431 ،وأمالي ابن الشجري3/ 82 ،83.

3-الراعي النميري ، ديوانه ص 95، والبيت في البيان ص 417، وشرح عمدة الحافظ ص 635، وأوضح المسالك 2/56، وتعليق الفرائض5 /281.

4-عبد الله بن الزبعرى ،والبيت في مجاز القرآن 2 /68، ومعاني القرآن للفراء 1/ 121،وكتاب الشعر 2 /532 ، والخصائص 2 /431.

5-من مقطوعة لخالد بن الطيفان ، والبيت في كتاب الحيوان 4 / 6.، والخصائص2 /431، وشرح الكافية الشافية 3 /1265.

6-ينظر : البسيط 2 /1.34، وارتشاف الضرب 4 /1983.

7-ينظر : إعراب القرآن للنحاس1 /534.

8-ينظر : معاني القرآن 1 / 3،473،121 /123 .

9- ينظر :كتاب الشعر ص533، والإيضاح العضدي ص217، الحجة للفارسي1 /311.

10-ينظر :الخصائص2 /431 .

وعبدالقاهر الجرجاني(1)،وابن الشجري(2)، و ابن عطية(3)،وابن الأنباري(4)،وابن يعيش(5)على إضمار فعل مناسب لتعذّر العطف على ماقبلَه، و تكون الواو حينَئذٍقد عطَفتْ جملة على جملة؛فقدَّروا في الآية السابقة: اعتقدوا(6) الإيمان أو:أخلَصوا الإيمان (7)، وفي البيت الأوّل:وسقيتُها(8)ماءً،وفي الثاني: وكحّلن(9)العيون، وقدّروا في البيت الثالث:وحاملاً (10)رمحاً، أو:معتقلا11)،و في البيت الرابع : ويفقأ(12)عينَيه .وجعله قوم -منهم أبو عبيدة ،المبرد (13) مِن عطف المفردات؛فضُمّن العامل معنىً يصِحُّ أن يتسلَّطُ على المعطوف و المعطوف عليه؛ فضمَّنوا(تبؤوا) في الآية السابقةمعنى :آثروا (14)ونحوه(15)، و(علفتها) في البيت الأول معنى :أطعمتها(16)، و(زجّجن) في البيت الثاني

1-ينظر : المقتصد1 /663 .
2-ينظر : أمالي ابن الشجري 3 /83 .
3-ينظر : المحرر الوجيز 7 /185 .
4-ينظر : البيان 1 /377 .
5-ينظر :شرح ابن يعيش2 /5. .
6-ينظر : شرح الكافية الشافية 3 /1264،والتذييل والتكميل 8 /132،والدر المصون 6 /241، والهمع5 /228 .
7-ينظر : الكشاف 4 /379 .
8-ينظر : الخصائص2 /431،وشرح الرضي2 /339.
9-ينظر : معاني القرآن للفراء 3/123،و الخصائص2 /432.
10-ينظر :معانى القرآن للفراء 1 /473، والإيضاح العضدي ص217 ، والخصائص2 /431، وشرح الرضي 2 /339.
11-ينظر :شرح ابن يعيش2 /5.، والدر المصون 6 /241.
12-ينظر :الخصائص2 /432،وشرح الكافية الشافية 3 /1265.
13-ينظر : المقتضب 2 /5. .
14-ينظر : ارتشاف الضرب 4 /1984والهمع 5 /229 .
15-ينظر : الهمع 5 /229 .
16-ينظر : ارتشاف الضرب 4 /1984 .

معنى : وحسّنّ(1)،وضمَّنوا (متقلدا) في البيت الثالث معنى :حاملا(2)، و(يجدع)في البيت الرابع : يذهَب)3.

وزعم أبو حيان(4)أنّ ابن مالكل(قوله)(5) في التسهيل : « وعطْف عامل حُذف ...يجمعُهما معنى واحد» قد ركَّب مِنَ المذهبين السابقين مذهباً ثالثاء

والظاهر أنّ ابن مالك إنّما قيّد المسألة بقوله : «يجمعهما معنى واحد»- كماذكر ابن هشام (6) لِئلّايرِد قولهم :اشتريتُه بدرهم فصاعدا . (فالفاء عطَفتْ عاملا حُذف ،وبقِي معموله على عامل آخر ، ولم يجمَعْهما معنى واحد في الشواهد المتقدّمة ، وانتصاب (صاعدا) على الحال المحذوف،لا عطْفاً على ما سبَقه)(7) .

واختار أبو حيان(8) التفصيل في المذهبَين السابقَين – وهو ما أميل إليه- فذكر أنه إن كان الأوّل ممّا يصِحُّ نسبته إلى الاسم الذي بعدَه حقيقة فالإضمار لأنَّه أكثر منَ التضمين ،نحو :يجدَع الله أنْفه وعينَيْه ،أي :ويفقأ عينيْه ، وإن كان لا يصِحُّ فالتضمين ؛ لأنّ الإضمار غير ممكن ،نحو قولك:علفتُ الدابة ماءً وتبنا ، أي:أطعمتُها.

1-ينظر : التذييل والتكميل 8 /135 .
2-ينظر : البسيط 2 /1.35،والتذييل والتكميل 8 /134 .
3-ينظر : التذييل والتكميل 8 /135 .
4-ينظر : المصدر السابق 8 /134
5-التسهيل ص175 .
6-ينظر :المغني 2/2. .
7-من غنية الأريب عن شروح مغني اللبيب 3 /279 بتصرف .
8-ينظر : ارتشاف الضرب 4 /1984 .

وممّا عطَفَت فيه الواو عاملاً حُذف وبقِي معموله على عامل آخر مذكور قوله تعالى: (**فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ**)(1)ف(شركاءكم) لايجُوز كونه معطوفاً على (أمرك) لأنّ (أجمعَ) يقال في المعاني كالأمْر والكيْد ،و(جمَعَ) في الأعيان(2)،فعلى هذا يقال : جمعتُ شركائي . لا أجمعْتُ شركائي. هذا الأكثر في اللغة (3)، وقد تأتي (أجمع)(4)بمعنى (جمع)، ومنه قراءة (فاجمعوا أمركم و شركاءكم) بوصل الهمزة(5)، ويؤيّدُ هذه القراءة – كما ذكرَ ابن عطية(6)-قوله تعالى :(**فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ**)(7)، فعلى هذا يقال : أجمعتُ شركائي. وإذا جاز هذا كان عطْف الشركاء على الأمْر في الآية ممكناً ، ولم تَحتَجِ الآية إلى تأويل ،و إنَّما يكون التّأويل على الأكثر في اللغة(8).

ولنصْب (شركاء) أوجه :

أحدها: أنّه منصوب بإضمار فعل تقديره :واجمعوا(9)،بوصل الهمزة ، أو : وادعوا ، وكذلك هي في مصحف أُبيّ بن كعب(وادعوا)(10).

1- سورة يونس من الآية (71) .

2-ينظر :جمهرةاللغة 2 /1.3،ومجمع اللغة 1/459،والصحاح3 /1198 .

3- ينظر : التذييل والتكميل 8 /133 .

4 - ينظر : إعراب القراءات لابن خالويه 2/4..و الكشف لمكي2/1..، والنشر في القراءات العشر 2 /285 .

5 - رواية الأصمعي عن نافع كما في كتاب السبعة ص328.وخارجة عن نافع كما في إعراب القراءات لابن خالويه 1 /27.، وينظر:النشر 2 /285

6 -ينظر : المحرر الوجيز 7 /184 .

7 - سورة طه من الآية (59) .

8 -ينظر : التذييل و التكميل 8 /133 .

9 - ينظر : الإيضاح العضدي ص217 ،والحجة للفارسي 4 /288 ،وشرح ابن يعش2/5..،وشرح الرضي 1 /526 .

10 -ينظر : المحرر الوجيز 7 /185،والبحر المحيط 5 /179 .

ومنع الزجاج(1)أن يكون التقدير: وادعوا، ويَردُّه أنّ المثبَت-كما تقدم- في مصحف أُبي(وادعوا).

والثاني: أنّه معطوف على(أمركم) بتقدير حذف مضاف، والمعنى: وأَمْرشركائكم (2).

والثالث: أنّه معطوف على(أمركم)مِن غيرتقديرحذْف مضاف(3)؛لأنّه يقال وتقدّم: أجمعتُشركائي.

والرابع:أنّه مفعول معَه،والتقدير:معَ شركائكم(4)،وذكرَ أبو حيان(5) أنّه ينْبغي أن يكونهذا على أنّه مفعول معَه مِنَ الفاعل في(فأجمعوا)،لامِنَ المفعول به(أمركم)على الأشهر مِنَالاستعمالَين، إذيقال: أجمَع الشركاء أمْرهم . ولايقال:جمَع الشركاء أمْرهم .إلّاقليلا- على مامرَّ-فإذا جعْلناه مفعولا معَه منَ الفاعل جازَ باتفاق؛ وذلك لأنَّ مِنَ النحويين مَن اشتَرطفي صحّة نصْب المفعول معَه أن يصِحّ عطْفه على ماقبلَه، فلو جعلناه مِن المفعول لم يجُزعلى المشهور، إذ لايصِحُّ عطْفه على ماقبلَه ،إذ لايقال:أجمعت شركائي. بل: جمعتُ. ولم يذكُرِ الرضي مِن هذه الأوجه إلَّا الأوّل و الرابع ، و قالَ(6): «و الأَولى جعْله مفعولاً معَه ...للسلامة منَ الإضمار.»

والرابع من خصائص الواو: عطْف المفرد السببي على الأجنبي عندَ الاحتياج إلى الربْط ، نحو : مررتُ برجل قائمٍ زيدٌ وأخوه ،و:ضربتُ عَمراً و

1-ينظر :معاني القرآن وإعرابه 2 /315 .
2-ينظر :البحر المحيط 5 /179،والدر المصون 6 /24. .
3- ينظر :البحر المحيط 5 /179،والدر المصون6 /241 .
4-ينظر : معاني القرآن وإعرابه 3 /315 ، و الحجة للفارسي 4 /289 .
5-ينظر : البحر المحيط 5/ .179.
6-شرح الرضي 1 /526 .

أخاه ، وقولك في الاشتغال:زيدٌ ضربتُ عَمراً وأخاه(1). على أن تكون الواو في ذلكَ كلِّه جامعة لاعاطفة ،إذِ الجامعة تَجْعل الجملتَيْن واحدة ،فتكون مشتمِلة على الرابط(2)، فإن كانت عاطفة لم يجُزْ لأنَّ التقدير حينَئذٍ في قولك :رأيتُ الذي قام زيد وأخوه .(رأيتُ الذي قامَ زيد وقام أخوه)،فتخلُو الصلة مِن عائد على الموصول(3).

وأجازَ ابن السراج -وتبِعه جمْع منهم الرضي(4)-أن تشارك الواو في ذلك(أوْ)و(ثُم)،قال(5): «...

وتقول : ضربتُ عَمراًوأخاه ،و:زيدٌ ضربت عَمراً ثمّ أخاه ،و:زيدٌضربتُ عَمراً أوأخاه ، وقومٌ لايُجيزون مِن هذه الحروف إلّاالواو فقط».

وإنّما منعَ قوم أن تشارك الواوفي هذه المسألة الفاءُ،و(ثُمّ)،و(أوْ)لأنّ الفعل يستحِيلُ أن يكون متّحِداً في المعطوف والمعطوف عليه إذا كان العطْف بغير الواو، بخلاف الواو فإنّها إذْ ذاكَ تكونُ جامعة بمعنى(معَ)، ذكرَه أبو حيان(6)، ولِذا لايجُوز أن تقول: زيدٌ أكرمتُ عَمرا و أكرمتُ أباه. إن قصدت بالفعل الثاني الاستئناف لخُلوّ الجملة الأُولى ،وهي خبر، مِنَ الضمير، وإن قصدتَ بتكرير الفعل التأكيد جازتِ المسألة(7).ورَدّ الرضي قوْل مَن منع الواو أن تشارك الفاء وِ(ثُمّ)و (أَو)بقوله(8):» ليس

1-ينظر : الأصول 2 /78، ونتائج الفكر ص25. ، والتذييل والتكميل 6/ 294، والمغني 2/19، وهمع الهوامع 5 /227، وغنية الأريب 3/ .272

2-ينظر :نتائج الفكر ص25.،والتذييل والتكميل 6/ .294

3-ينظر :نتائج الفكر ص25. .

4-ينظر :شرح الرضي 2 /343 .

5-الأصول 2 /78 .

6-ينظر :التذييل والتكميل 6 /294.

7-ينظر :الأصول 2 /78،وشرح الرضي2 /343 .

8-شرح الرضي2 /343 .

بشيءلأنّ العامل ليس بمقدَّر في المعطوف كما تبيَّن في حدِّ التوابع،ولو سلَّمْنا أيضاًجازتْ على ماذكَرنا ؛ لأن للجملة الثانية مع الفاء و (ثم)و(أو) تعلُّقاًمعنوياً بالأُولى».

والمختارعندي القول بمنْع المشاركة ،وأمّا كلام الرضي فمردود بما ذُكر آنفاً عن أبي حيان مِن أنّ الواو العاطفة في هذه المسألة –وتقدّم –هي الواو التى معناها الجمْع،وهذا المعنى لايكونُ لغير الواو .والله تعالى أعلم.

والخامس:عطْف ماحقُّه التثنية والجمْع، فالقصْد من التثنية والجمْع الاختصار والإيجاز؛ فقولهم :جاءَالزيدانِ. أصْله: جاء زيد وزيد ،فحذفوا العاطف والمعطوف ،وجعلوا الألف والنون عِوضاًعن ضمِّ الاسم إلىالاسم، فكانَ المعنى معَاختصار اللفظ ،وإنّما صحَّ ذلكَ لاتفاق الذاتَين في التسمية بلفظ واحد ،ولَمّا رأَوا أنّ التثنية يتبَعُها الجمعْ ،والجمْع يطُول بالعطْف إلى مالا يُدرِكُه الحصْر التَزموا في الجمع ما التَزموا في التثنية ،فجعلوا الألف والواو عِوضاً عن ثلاثةفصاعداً(1)، ورُبَّما رجعوا إلى الأصل ، فعطفوا إمّا ضرورة ،وإمّا للتكثير(2) والتفخيم(3)،وزاد في التسهيل(4): «أو فصْل ظاهر أومقدَّر»؛فمثال العطْف في التثنية للضرورة قول الراجز(5):

كَأَنَّبَيْنَ فَكِّها وَالفكِّ فارَةَ مِسْكٍذُبِحَتْ فِي سُكِّ

1-ينظر : المقتصد 1 /183،وأمالي ابن الشجري 1/13، وشرح ابن يعيش4 /3،5/ 137

2- ينظر : المقتصد1 /184، وشرح التسهيل لابن مالك1 /68 .

3-ينظر :أمالي ابن الشجري1 /14 .

4-تسهيل الفوائد ص 12 .

5- هو منظور بن مرثد الأسدي كما في اللسان1./436(زكك)، والشاهد في أمالي ابن الشجري1 /14، وشرح ابن يعيش 4 /138، وشرح المقدمة الجزولية 1 /31.، والبسيط1 / 2 ..، 247 .

أرد أن يقول :بينَ فكَّيْها ،فلَمّا لمْ يتَّزِن له عادَإلى العطْف(1) ،وقالَ ابن مالك(2) في استعمال العطف موضِعَ الجمع للضرورة : «لاسبيل إليه لأنّه أشقُّ مِن استعماله في موضِع التثنية بأضعاف كثيرة ،ولأنّ الجمع ليس محدوداً،فتُذكَر آحاده بعْضها على بعْض،كما فُعل بالمثنّى ،فلوكان الجمع مدلولاً عليه ببعض ألفاظ العدد جاز استعمال العطف موضِعَه كقول الشاعر :

ولقدْ شرِبت ثَمَانياً وثَمَانيا وثَمَان عشرَةَ وَ ثنْتَينِ وَ أرْبعا».

(ومثال استعمال العطف في السَّعة للتكثيروالتفخيم قولك لِمَن يُحقّر أيادي أسديْتَها إليه:قد أعطيْتُك ألفاً وألفاً وألفا (3))،ومثَّل ابن مالك(4) للفصْل الظاهر ب(مررتُ بزيد الكريم وزيد البخيل)وللفصْل المقدَّر بقول الحجّاج ،وقد نُعي له في يوم واحد محمد أخوه ومحمد ابنه : «سبحانَ الله، محمد ومحمد في يوم واحد» وبقول الفرزدق(5):

إنَّ الرَزِيّةَ لا رَزِيَّةَ مِثْلها فِقْدانُ مِثْلِ مُحَمَّدٍ وَمُحَمدِ

قال أبوحيان(6)بعدَ إيراده مامثَّل به ابن مالك للفصْل المقدّر : «و أمّاتمثيل المصنف للفصْل المقدّر بقول الحجّاج وقول الفرزدق فليس العُدول عن ِالتثنية لأجْل الفصل المقدّر ، وإنّما ذلكَ لأنّه فاتَ شرْطمِن شروط التثنية،وهوأن يكون المثنّى نكرة ...وعلى هذا خرّج أصحابنا كلام

1-ينظر :شرح ابن يعيش4 /138، وشرح المقدمة الجزولية1 /31. .

2- شرح التسهيل لابن مالك 1 /68 .

3-من أمالي ابن الشجري 1 /14 مع تصرف ، وينظر : المقتصد1 /184، والتذييل والتكميل 1 /264 .

4- ينظر : شرح التسهيل لابن مالك 1 /69

5-ديوانه 1 /161، والبيت في : الكامل 2 /169، وشرح ابن عصفور 1 /136، والتذييل والتكميل 1 /226 .

6-التذييل والتكميل 1 /265 .

الحجّاج والفرزدق ، وقال أبو عبد الله محمّد بن هشام ...في باب التثنية :وأصْلها العطْف ،وعَدلوا عنِ الأصْل إيجازاً،ولم يَلفِظوا به إلّا في الشعر ضرورة كقوله :

..... فقدان مثل محمد ومحمد

فصار في هذا ثلاثة أقوال؛ أحدها: هذا والثاني: ماذهبَ إليه أكثر أصحابنا ...والثالث قول المصنف :إنّه عُدل عن التثنية للعطف للفصْل المقدّر».

والمختار عندي مْن هذه الأقوال الثلاثة قول أبي حيان وأكثر أصحابه؛لاشتراط النحاة في تثنية العلَم وجمْعه ألّا يكون باقياً على علَميّته وأنّه يجِب أن ينكَّر ،فتلحَقُه الألف واللام عوضاً عمَّا سُلبه مِنَ التعريف(1).

والسادس: عطف النعوت المفرّقةمع اجتماع منعوتها :

إذاقُصد عطف بعْض الصفات على بعْض من غير اجتماعٍ على منعوتها جازَ العطف بالواو ،نحو قوله تعالى: (**الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ**)(2)،أو بالفاء نحوقوله سبحانَه: (**وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا**) (3)وقوله عزّ وجلّ(**فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ**)(4)،وبحروف العطف إلّا(حتَّى)عندَابن خروف-فيمَانقلَه عنه ابن عقيل(5)والسيوطي(6)-وزاد السيوطي (أمْ).

1-ينظر : التذييل و التكميل1 /226 .

2-سورة آل عمران من الآية (17) .

3-سورة الصافات الآيات (1،2،3)، وينظر :البرهان الكاشف ص 287 .

4-سورة الواقعة الآيتان (54،55) ،وينظر: الكشاف 4/348، والبحر المحيط 8 /21..

5-ينظر : المساعد2 /417 .

6-ينظر : همع الهوامع 5 /184 .

وإذا كانت النعوت المفرّقة مجتمِعةعلى المنعوت لم تُعطَف إلّابالواوخاصة(1)،كقوله تعالى(**الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَى**)(2)

ونحو:مررتُ برجلَين كريم وبخيل ،و:رغِبتُ في الزيدَين التميميّ والقرشيّ(3).

والسابع: اقترانها ب(لَكِن)بعدَ الجحْد إذا عُطف بها مفرد(4)،نحو قوله تعالى: (**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـكِن رَّسُولَ اللَّهِ**)(5)واقتران الواو ب(لكِنْ)بعدَ الجحْد في عطف المفرد جائز لاواجب ،فتقول: ماقامَ زيد ، ولكِنْ خالد و:ماقامَ زيد لكِنْ خالد(6).

وذهبَ ابن خروف -فيمَا نقلَه عنْه ابن مالك(7)-إلى أن المعطوف بعدَ (لكِنْ) لم يُستعمَل إلّا مع الواو ، ولم يمثِّل سيبويه للعطف ب(لكنْ)إلّا بعدَ الواو ، كقوله(8): «مامررتُ بصالح ولكنْ طالح .»

وقد اضْطربَ كلام ابن مالك في هذه المسألة ؛فأجاز في شرح الكافية الشافية أن تَعطِف (لكِن)المفرد غير مسبوقة بواو ،فقال(9): «وأمّا المعطوف ب(لكنْ)فمحكوم له بالثُبوت بعدَ نفْي ،كقولك :ماقامَ زيد لكن عمرو...» و منع في شرح التسهيل حيثُ قالَ(10): «...فإن وليَها معطوف

1-ينظر : المغني 2/ 19،وهمع الهوامع5 /226 ، وشرح أبيات المغني للبغدادي 6 /78 .
2-سورة الأعلى الآيات (2،3،4) .
3-ينظر : شرح التسهيل لابن مالك 3 /316 ، وارتشاف الضرب 4/ .1922 .
4-ينظر : الكتاب 1 /435، والجمل ص19، وشرح التسهيل لابن مالك 3 /343 .
5-سورة الأحزاب من الآية (39) .
6-ينظر : الجمل ص19، والمسائل المنثورة ص2.5، وشرح الكتاب للسيرافي 6/66 ، والفوائد والقواعد ص382 .
7-ينظر : شرح الكافية الشافية 3 /1231 .
8-ينظر : الكتاب 1 /435 .
9-شرح الكافية الشافية3 /123. .
10-شرح التسهيل لابن مالك 3 /343 .

فعطْفه بواوقبلَها لايُستغنَى عنها إلّاقبل جملة مصرَّح بجزأيْها...ومايوجَد في كتب النحويين مِن نحو :ما قامَ سعد لكن سعيدو:لا تزَرْ زيد لكنْ عَمراً، فَمِن كلامهم لا مِن كلام العرب .».

والثامن: اقترانها ب(لا) إن سُبقتْ بنهْي أو نفْي أوشبْهه غير مستثنَى ، ولم تُقصَد المعيّة: إذا عُطفَ بالواو على فعْل منهيّ عنه، أومنفِيّ أوشبْه منفِيّ غير مستثنَى ، ولم تُقصَد المعيّة ولِيَتها(لا)؛ فمثال النهْي(1) قوله تعالى: (**لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ**)(2) ومثال النفْي(3)قوله تعالى(**وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى**)(4)فبِذِكْر (لا) في الآية الثانية عُلم نفْي التقريب عن الأموالوالأولاد مطْلقاً؛أيْ:في حالة الاجتماع والافتراق ، ولو لم تَدخُل (لا)لاحتَمل الافتراق(5) ؛ وأن يكون المراد نفْي التقريب عند الاجتماع دونذلك أنّك إذا قلتَ : مامررتُ بزيد وعمرو. احتَمل أنّك لم تمُرَّ بِهمامعاًبل مررتَ بأحدهما دون الأخر،وكان احتمال نفْي المرور بِهما معاً هو الأَولى(6)لاستعمال الواو كثيراً في وقت واحد كما في المفعول معَه والواو التي يُنصَب بعدَها المضارع في جواب الأمر، ومعَ العطف أيضا في نحو: كلّ رجل وضَيْعته(7) ،وبذِكْر (لا) عُلم أنّكَ لم تمُرَّ بِهما معاًلافي وقت واحد،ولا في وقتَين وأنّكَ لم تمُرّ بأحدهمادون الآخر، وإذا أُريد نفْي بعض الاحتمالات دونَ بعض، لزِم التقييد حينَئذٍ،فتقول:ماجاءَني زيد وعمرو معاً .أو:ما جاءَني زيد أوّلاً و

1-ينظر : التصريح 2 /137 .
2-سورة المائدة من الآية (2) .
3-ينظر :شرح التسهيل لابن مالك3 /351 .
4- سورة سبأ من الآية (37) .
5-ينظر :شرح التسهيل لابن مالك3 /351 .
6-ينظر : المصدر السابق .
7-ينظر : شرح الرضي 4 /383 .

عمرو ثانياً. أو: ما جاءَني زيد ثانياً وعمرو أوَّلاً(1). ومثال شِبْه النفْي(2) قوله تعالى :(**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**)(3).

فإذا أفهمَ الفعل معيّة بأن كان ممّا يقتضِي الاشتراك جازَ أن تُزاد (لا) توكيداً للنّفي المتقدِّم(4)لِأَمْن اللبس إذِ الفعل للمعيّة لا غير ،نحو قوله تعالى : (**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ** ﴿١٩﴾ **وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ** ﴿٢٠﴾ **وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ**)(5) ف(لا) الثانية والرابعة والخامسة زوائد لِأَمْن اللبس(6)، وقوله سبحانَه(**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ**)(7)، وإذا كان المنفِي مستثنَى، نحو:قاموا إلّا زيدا وعَمرا، فهو بمعنى :قاموا لا زيد ولا عمرو،اسْتُغني عن (لا)لِعدم وجود لبْس تُزيلُه (لا)(8).

والتاسع: اقترانها ب(إمّا) مسبوقة بمِثْلها عندَ عطف المفرد ، نحو قوله تعالى : (**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**) (9)،ويندُر حذْف الواو للضرورة(10)، كقول الشاعر(11):

1- ينظر :شرح الرضي4 /384 .

2-ينظر : الأصول 2 /77، ونتائج الفكر ص259 ، والمغني 2 /18 .

3-سورة الفاتحة من الآية (7).

4-ينظر : شرح التسهيل لابن مالك 3 /351، وشرح الرضي 4 /383، وارتشاف الضرب 4 /1984 .

5-سورة فاطر الآيات (19 ،20 ،21).

6-ينظر : المغني 2/ .19

7-سورة فصلت من الآية (34)

8-ينظر : شرح التسهيل لابن مالك 3 /351 .

9-سورة الإنسان من الآية (3) .

10-ينظر : شرح التسهيل لابن مالك 3/344،وابن النحوية وحاشيته على كافية ابن الحاجب ص467(رسالة ماجستير)، والجنى الداني ص533 .

11 - هو سعد بن قرطكما في شرح الحماسة للأعلم الشنتمري 2 /1151، والبيت في شرح التسهيل لابن مالك3 /344 ، ورصف المباني ص185 ،والجنى الداني ص533

يَا لَيْتَمَا أُمَّنا شَالَتْ نَعَامَتُهَا إمَّا إلى جَنَّةً إمَّا إلى نَارِ

و العاشر:عطف (أيّ)على مثْلها، ذكرَه صاحب التصريح(1)، ومثَّل له بقول الشاعر(2):

أَيِّيوَ أيكَفارِسُالأَحْزاب

و الحادي عشر: عطف العِقْد على النيِّف(3) إذا رُكِّبا وجُعلا عددا واحدا،تقولُ :أحد و عشرون طالباً. ولا تقول: أحد فعشرون. أو: ثُمّ عشرون.

أمَّا عندَ استقلال كلّ واحد منهما فيُعطفانِ بكلّ عاطف، فتقول:ما انقضىَ ثلاثة فعشرون. أو:ثمّ عشرون بحَسَب ما تقْصِد(4).

والثانى عشر: عطف الشيْئ على مرادفه ،كقوله تعالى(**لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلاَ أَمْتًا**)(5)قال الخليل – فيما نقلَه الزركشي(6) عنه - : «العِوَج والأَمْت بمعنى واحد». وقوله سبحانَه:(**وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**)(7)قال الفراء(8) عندَ هذه الآية: «إنّ العرب لَتجمَع بينَ الحرفَيْن ،وإنَّهما لِواحد إذا اختَلفَ لفظاهما...وقولهم:بُعْداً وسُحْقاً،والبُعد والسُّحق واحد.»وممَّن ذهبَأيضا إلى عطف الشيئ على مرادفه بالواو

1-ينظر : التصريح 2 /138

2-لم أقف على اسم قائله ،والبيت في توضيح المقاصد2/272، وأوضح المسالك2/2.5

3-ينظر : المغني 2/ 19.

4-ينظر : المنصف على المغني 2 /1.6، وحاشية الدسوقي على المغني 2/ 18.

5-سورة طه الآية (107) .

6-ينظر : البرهان ص598 .

7-سورة البقرة من الآية (53) .

8-معاني القرآن 1 /37 .

خاصّة الزجّاج(1) ،والزمخشرى(2)،وابن عطية(3)والسمين الحلبي4)، وابن هشام(5) ، والزركشي(6).

ومنعَ ذلك قوم ، منهم أبو جعفر النحاس ،فقال(7) : «إنّما يجِيء في الشعر»، والسهيلي(8) ،وقال الزركشي(9):» أنكر المبرّد هذا النوع ، ومنعَ عطف الشيئ على مثْله ...ولعلّه مِمَّن أنكرَ أصْل الترادف في اللغة،كالعسكرى وغيره».

وقد يشارك الواو في هذا العطف (أوْ) ،قاله ثعلب- فيماحكاه صاحب المحكم(10) عنه-وكذا قاله ابن مالك(11).

والثالث عشر: عطف العامّ على الخاصّ و العكس(12)، فمثال الأوّل قوله تعالى : (**رَّبِّ أغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ**) (13)، ومثال الثاني، وهو عطف الخاصّ على العامّ قوله تعالى (**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِيثَـاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ**)(14).

1-ينظر : معاني القرآن وإعرابه 1/ .11.
2-ينظر : الكشاف1/ 159 .
3-ينظر : المحرر الوجيز 2 /36 .
4-ينظر :الدر المصون 2/ .187
5-ينظر :المغني 2/2. .
6- ينظر :البرهان ص597 .
7-ينظر : إعراب القرآن 1/ 59 .
8-ينظر : نتائج الفكر ص 274 .
9-ينظر : البرهان ص599 .
10-ينظر : البرهان ص6.. .
11-ينظر : شرح التسهيل لابن مالك 3/ 365 .
12-ينظر : شرح التسهيل لابن مالك 3 /35..و المغني 2/2..وارتشاف الضرب 4 /1983،وغنية الأريب 3/277،و التصريح 2 /138 .
13-سورة نوح من الآية (28) .
14-سورة الأحزاب من الآية (7) .

ويشارك الواوفي هذا الأخير (حتىَّ)،نحو:ماتَ الناس حتَّى العلماء،و:قدِم الحجَّاج حتَّى االمشاة، ،قاله ابن هشام(1)

و زعم أبو على الفارسي ،وابن جنيأنَّ ما جاءَ مِن ذلكَ المعطوف فيه قُصِد به غير المعطوف عليه ،ولم يندرجْ تحتَه إذِ المعطوف عندَهما لايكون إلّا غير المعطوف عليه(2) .

والرابع عشر : جواز حذفها عندَ أمْن اللبس :

اختُلف في جواز إضمار حرف الجرّ؛ فذهب بعض النحويين ، كأبي علي الفارسي(3)، وابن جني(4) في أحد قولَيه ،وابن فارس(5)،و أبي الحسن الباقولي(6، وابن الدَّهان(7)،وابن الأنباري(8)،وابن مالك(9)،

والرضي(10)،وابن إياز(11) ، وابن النّحويه(12)إلى جواز ذلك في الكلام وفي الشعر، واستَدلُّوا لمذهبهم بآيات منَ القرآن الكريم وما سُمعَ مِن ذلك في كلام العرب نثرا ونظما؛فَمِن الأوّل قوله تعالى: **(وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا)**(13) والتقدير:(وقلتَ

1-المغني 2/2. .
2- ينظر :المساعد 2 /445، و ارتشاف الضرب 4 /1983 .
3-ينظر : نتائج الفكر ص 263 .
4-ينظر : سر صناعة الإعراب 2/ 644
5-ينظر : الصاحبي صى 156 .
6-ينظر :كشف المشكلات وإيضاح المعضلات 1/ 1.31،1.28،734،497 .
7-ينظر : الغرة في شرح اللمعة2 /878 .
8-ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن ص571 .
9-ينظر : شرح الكافية الشافية 3 /126. .
10- ينظر : شرح الرضي 2 /349 .
11-ينظر : المحصول في شرح الفصول 2 /88. .
12-ينظر : ابن النحوية 2 /467 .
13-سورة التوبة من الآية (92) .

لا أجِد)، وجواب (إذا) حينَئذٍ قوله تعالى (تولوا)(1)، وقوله (**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ**)(2) والأصل :(صم وبكم وعمي)(3)، بدليل قوله سبحانَه: (**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـآيَـاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى الظُّلُمَـاتِ**)(4)، وقوله عزّ وجلّ:(**ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ**))(5)و(**خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ**)(6)،و التقدير فيهما:ثلاثة ورابعهم كلبهم،و:خمسة وسادسهم كلبهم،بدليل قوله تعالى:(**وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**) (7)،فظهور الواو فيه دلَّ على أنّ الواو في الجملتَيْن السابقتَيْن مقدَّر(ة(8). وغير ذلك منَ الآيات(9).

ومِمَّا استدَلّوا به مِن كلام العرب مِنَ النثر (أكلتُ لحْماً لبَناً تمْراً)(10)، ومِنَ النظْم قول الشاعر(11)

كَيْف أَصْبَحت ِ كَيْفَ أمْسَيْتَ مِمّا يَزْرَعُ الوُدَّ في فُؤَادِ الكَرِيمِ يريد: كيفَ أصبحتَ وكيفَ أمسيتَ(12)،وقول ابن الأعرابي(13)

1-ينظر : الصاحبي ص156، والغرة 2/ 878 .

2-سورة البقرة الآيتان(18،171) .

3-ينظر : البيان ص .467

4-سورة الأنعام من الآية (39) ، وينظر :البيان ص 467 .

5-سورة الكهف من الآية (22)

6-المصدر السابق .

7-المصدر نفسه .

8-ينظر: سر الصناعة 2/644،والبيان ص467.

9-ينظر :كشف المشكلات 1 /1.31،1.28،734،497 ،والغرة 2 /879، والفصول المفيدة ص125 .

10-ينظر :الخصائص 1 /29.، والغرة 2 /879، والفصول المفيدة ص 125 .

11- لم أهتد إلى قائله ، والبيت في التنبيه لابن جني ص341،131،والخصائص 1 /29.،ونتائج الفكر ص263، وشرح ابنعصفور 1/256، وشرح الكافية الشافية 3/ 126..

12-ينظر : ا لخصائص1 /28. ،وشرحابن عصفور 1 /256، وشرح الكافية الشافية 3/ 126.

13-ينظر :الخصائص1 /29. ،والمساعد 2/473، والدر المصون 5/192

وَكَيْفَ لاأَبْكِي عَلى عِلَّاتي صَبَائِحِي غَبَائِقي قَيْلَاتِي

التقدير:(صبائحي و غبائقي وقيلاتي) (1).

و أجاز قوم منهم ابن الشجري(2)-في ظاهر استدلاله-و ابن عصفور(3) حذْف الواو في الشعر خاصّة.

وذهبَتْ طائفة،منهم ابن جني -في قوله الثاني(4)، والسهيلي(5)، و أبو البقاء العُكْبري(6)،والمالقي(7)،و أبو حيان(8)،والسمين الحلبي(9)، وابن هشام(10) إلى أنّ إضمار واو العطف ضعيف لا يجُوز ،وما سُمع منه فهو شاذ لا يُقاس عليه ، وذكرُوا في ذلك أنّ حرف العطف حرفُ معنى، فالمعنى متعلّق به،فالواو موصِلة لمعنى العطف والتشريك،فحذْفها يخِلُّ بالمعنى،فتزُول فائدتها، كما أنّ حذْف حرف العطف يُوقِع في إشكال؛وذلكَ أنّك لو حذفتَ الواو في نحو قولكَ:ضربتُ زيدا وأبا عمرو. فقلتَ :ضربتُ زيدا أبا عمرو لكان وَهْم أنّ زيدا هو أبو عمرو(11).

1-ينظر : الخصائص1 /29. ، والبيان ص467

2-ينظر : أمالي ابن الشجري 2،1/117 /145

3-ينظر :ضرائر الشعر ص 161 .

4-ينظر : الخصائص 1 /29.،2 /28.،وسر الصناعة2/ 635.

5-ينظر :نتائج الفكر ص263.

6-ينظر :التبيان1 /263.

7-ينظر :رصف المباني ص477.

8-ينظر: البحر المحيط 2 /4.9.

9-ينظر : الدر المصون5 /192

10-ينظر : المغني2 /291.

11- ينظر :سر الصناعة2 /635، و الغرة 2 /88.، ورصف المباني ص477.

وتأوّلَ بعض مَن منعَ الإضمار ، كالسهيلي(1)، وغيره(2)شيئاً مِمَّا استَشهدَ به المجيزون فتأوّل السهيلي(3)الآية المذكورة سابقا على أنّ جواب (إذا)هو قوله : (**قُلْنَ لاَ أَجِدُ**)وقوله:(**تَوَلَّوا وَ أَعيُنُهُمْ**)إخبار عنهم، وذكرَ أنّ الكلام لايَحتاجُ إلى أن يُعطف بالواو لارتباطه بما قبلَه ،كالتفسير له، و ذكرَ أنّ الشاعر في بيته الأوّل لم يُرِدِ العطف بالواو، لأنَّه لو أرادَ ذلك لم يُعلَم معنى التمادي و الاستمرار على هذا الكلام ،ونَظَّرلذلك بقول الطبيب لِمَن لاحاجة له إلى الحِمية : « كلْ تمْرا سمَكاً لحْماً لَبَنًا ماشِئتَ». فإنّما أراد الاسترسال على جميع المطعومات ،ولو عَطف بالواو لَشَمِلت الإباحة ماذكر منها دون غيرها،وذهب أبو حيان(4)إلى أنَّ الشاعر في البيت المذكور لم يُرِدِ العطف بالواو لأَنَّ الجملتَيْن (كيف أصبحت؟كيف أمسيت ؟)جُعِلتا ممتزَجتَيْن امتزاج الجملة الواحدة ، كأن الشاعر قالَ: هذا الكلام مِمَّايزرَعُ الودّ . وأمّا ماحُكي مِن قولهم:» أكلتُ لحماً لبَناً تمرا»فحُمل على بدَل الإضراب(5)،و أمّا ما استَدلّ به المجوّزون على إضمار الواو في موضِع بظهورها في موضِع آخر فالذي يقْتَضيه التحقيق في ذلك ما ذكرَه بعضهم،كالسهيلي(6)والزمَلْكاني(7)،والعَلائى(8)، وابن القيّم (9) أنّ الصفات إذاقُصدَ تَعْدادها مِن غير نظَر إلى جمْع أو انفراد فليس ثَمَّتَ

1-ينظر :نتائج الفكر ص 263.
2-ينظر : البحر المحيط 2 /385، و الدر المصون 5 /192.
3-ينظر :نتائج الفكر ص264،و أمالي السهيلي ص1.4.
4-ينظر : البحر المحيط 2 /385 .
5-ينظر :نتائج الفكر ص238.
6-ينظر : الدر المصون 5 /192، والمغني 2 /291 .
7-ينظر : البرهان الكاشف ص283.
8-ينظر : الفصول المفيدة ص 142.
9-ينظر : بدائع الفوائد 247 .

عطْف ،نحو قوله تعالى: (**الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ**)(10)

وقوله تعالى: (**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ**)(11)لأنّالصفات وافقَتِ الذات في القِدَم، ولُزومُ الصفات ودَوامها بدَوام الذات ، فلذلك جرَتْ مَجْرى الأسماء المترادفة(12) .

وإن أُريد التنويع لعدم اجتماع الصفتَين لزِم العطف ، كقوله تعالى: (**ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا**)(13)فإنّ الثيُوبة والبِكارة لايجتمعانِ ، فكانَ العطف ،ولولم يُؤتَ بالواو لاختَلَّ المعنى(14)،وإن قُصدَ التنْبيه على تغايُر الصفتَيْن أو رفْع استبعاد اجتماعهما لموصوف واحد كانَ العطف أحسَنَ مِن ترْكه؛فَمِثال الأوّل قوله تعالى: (**غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ**)(15)فإنّه قدْ يَظُنُّ ظانّ أنّ (غافر)و(قابل) صفتانِ تجريان مَجرى الوصف الواحد لتلازمهما إذْمَن غفَر الذنْب قَبِل التوْب، فدخَل حرفالعطف لِبيان أنّهما وصفانِ مختلفانِ، ولتنزيلهما منزِلةَ الجملتَيْن تنبيهاً للعباد على أنَّه يجِب أن يُعطى لكلّ واحد حكْمه ، وأنَّه سبحانَه يفعَل هذا ،ويفعَل هذا لِيَرجوه(16)،ومثال الثاني وهوماقُصد فيه رفْع استبعاد اجتماع الصفتَيْن لموصوف واحد قوله

10-سورة الحشر من الآية (23) .

11-سورة الحشر من الآية(24) .

12-ينظر : نتائج الفكر ص239، والبرهان الكاشف ص283 .

13-سورة التحريم من الآية (5) .

14-ينظر الكشاف 4 /43.، والتبيان 2/265، والبرهان الكاشف ص283، والبحر المحيط 8/ 292

15-سورة غافر (2) .

16-ينظر :نتائج الفكر ص239، والبرهان الكاشف ص286، والفصول المفيدة ص143، وبدائع الفوائد ص25. .

عزَّوجلَّ: (**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْءَاخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**)(1)، وإنَّما كانَ العطف لأنَّها أسماء متضادَّة المعاني في أصْل الوضْع ؛ فإنَّ الشيء الواحد لا يكونُ ظاهراً باطناً مِن وجْهٍ واحد ، فرُفع بالعطْف الوهْم عمَّن يَستبعِد ذلك في ذات الله تعالى ،فكانَ العطف هنا أحسن مِن ترْكه(2).

وأمَّا قوله تعالى :(**ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ**)و(**خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ**) فإنَّمالم تدخُلِ الواو لأنَّهما جملتانِ مِن تتِمَّة القول، ولِذا أُتبِعتا بقوله تعالى:(**رَجْمًا بِالْغَيْبِ**)(3)تكذيباً لِتلك المقالة ودخَلتِ الواو في قوله تعالى : (**وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**)لفائدة ، وهي التقدير ؛ لأنَّ عدَّتهم سبْعة ، والواو قائمة مَقام التصديق لِذلك إذِ التقدير :نعَمْ هم سبْعة، و ثامنهم كلبهم(4) ولِذا قالَ تعالى بعدَه : (**قُل رَّبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ**)(5)وقال تعالى بعدَالجملتَيْن الأُوليَيْن :(**رَجْمًا بِالْغَيْبِ**).

وبعدُ ، فالذي تميل إليه النفس في هذه المسألة أنَّ الآيات المستشهَد بها على جواز إضمارواو العطف يمكن حمْلها على الاستئناف(6)،ولا ضرورة إلى تقدير العطف، وأمَّا الأبيات فكما قالَ العَلائي(7): «فيها كلامانِ؛ أحدهما: أنَّها قليلة جداً بالنسبة إلى باقي الكلام ؛فلايَقْتضي ذلك جوازا

1-سورة الحديد من الآية (3) .

2-ينظر :نتائج الفكرص239، والبرهان الكاشف ص283،والفصول المفيدةص144، وبدائع الفوائد ص248

3-سورة الكهف من الآية (22) .

4-ينظر : المحرر الوجيز 4 /484، والكشاف 2 /524 ،والبرهان الكاشف ص285، والفصول المفيدة ص144 والمغنى 2 /26.

5-سورة الكهف من الآية (22)

6-ينظر : الكشاف 2 /226،والفصول المفيدة ص127 ، وروح المعاني 1 /159

7-الفصول المفيدة ص127

عامَّاً .و الثاني: أنَّها وإن اقتَضت الجواز فينبغي أن يُقْتصر فيه على ما كانَ مثْلها حيْثُ يكون المعطوفانِ متجاوِرَين غير متراخٍ بعضهما عن بعض ، كما رَوى أبو زيد مِن قولهم :أكلتُ لحماً لَبَناً تمراً . لِيدُلّ ذلك دِلالة ظاهرة على تقدير العاطف ، بخلاف ما إذا تَخلَّل فصْل فإنَّه لايَبقَى في قوَّة الكلام دلالة على تقديره».

هذا، وقد اضْطَرب كلام ابن جني في مسألة حذف واو العطف ،فتارةً يذهَبُ إلى أنَّ حذْفها غير جائز قياساً معدومٌ في الاستعمال،ويذكُرُأنَّه مع ذلك قد حُذف، ويُورِد ما سُمع منه (1)، ثُمَّ يحكُم عليه بقوله(2): «وهذا كلُّه شاذّ،ولعلَّه جميعُ ما سُمع منه» وتارة يُقِرّ بإضماره في كلام الله تعالى في قوله سبحانَه: (**ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ**)ويرَجِّح الحذف على غيره مَن الأوجه فيقول(3) : «فإن قلتَ : فاجْعل (**رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ**)مبتدأ وخبراً ، واجْعلالجملة المنعقِدة منهما وصفاً ل(ثلاثة)...فذلك عندَنا في هذا الموقع غير سائغ ، ولا مختار ، و إن كان في غير هذا الموضع جائزا، والذي منع مِنإجازته هُنا وضعَّفها أنَّ الجملة التي في آخر الكلام فيها واو العطف ، وهو قوله عزَّ وجلَّ(**وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**)فكماظهرتِ الواو في آخر الكلام فكذلك –والله أعلم- هي مرادَة في أوّله لتَتَجنَّس الجمل في أحوالها والمرادبها...»وكلامه هذا يناقض كلامه السابق أنَّ حذْف واو العطف شاذّ في القياس معدوم في الاستعمال.

1-ينظر: الخصائص 1 /29.، وسر الصناعة 2 /635

2-ينظر :الخصائص 1 /291

3-سر الصناعة2 /644

ويشارك الواو في جواز الحذفالفاء ، قالَه قوم ،منهم ابن الشجري(1)، وابن عطية(2) ،و(أو) ذكرَه ابن مالك(3)، والرضي(4)، وابن إياز(5).والله تعالى أعلم.

والخامس عشر: لزوم تكرار العامل في نفْي الموجَب عندَ بناء الكلام على فعْلَين:

اعتبار المطابقة بينَ النفْي والإثبات في حروف العطف أمْر لا بدَّ منه؛ فإذا قلتَ: قامَ زيد فعمرو .كان النفي (ما قامَ زيد فعمرو) وإذا قلتَ: قامَ زيد ثم عمرو. كان النفي (ما قامَ زيد ثم عمرو)، وإذا قلتَ: قامَ زيد أوعمرو. كان النفي (ما قامَ زيد ، أوعمرو) ،فلابدَّ مِن اعتبار المطابقة في اللفظ(6) إلَّا الواو عندَسيبويه(7)، فإنَّها اختُصَّت عندَه دونَ حروف العطفبأنَّ التعويل معَها في ذلك على المعنى مِن غير حاجة إلى مطابقة اللفظ ، فإذا قالَ قائل: مررتُ بزيد و عمرو . فهذا يَحتمل وجهَين: أحدهما :أن يكون المرورواحداً ، فتقول في النفْي :ما مررتَ بزيد وعمرو . أي : ما جمعْتَهما في مرورواحد ، وثانيهما : أن يكون قصْده مرورَيْن ، فتقول في النفْي : ما مررتَ بزيد وما مررتَ بعمرو .

وإنَّما لم يكُن في الثاني بُدٌّمِن تَكرار العامل لِزوال اللَبس ، لأنَّه إذا لم يكُرَّر العامل احْتَملَ أنّه لم يمُرَّ بِهما ، ولا بِوَاحد منهما ، واحتَمل أنَّه

1-ينظر : أمالي ابن الشجري 2 /145
2-نظر : المحرر الوجيز 6/6..
3-ينظر : التسهيل ص178
4- ينظر :شرح الرضى 2 /349
5-ينظر : المحصول 2 /881
6-ينظر : شرح ابن عصفور 1 /261
7-ينظر : الكتاب 1 /438

يريدُ أنَّه لم يمُرَّ بِهما معاً، بلْ مرَّ بأحدهما ، فلَمَّا كان النفْي مِن غير إعادة العامل ملْبِساً لِذلكَ لم يَكُن بُدٌّ مِن إعادة العامل(1).

وذهب المازني(2)-وتبِعه المبرد(3)- إلى أنَّ حرف النَّفي لا يُغَيِّر ما بعدَه عمَّا كان عليه قبلَ دخوله ، نحو : ما قامَ زيد ، فإنَّه كانَ قبلَ دخول (ما) (قامَ زيد)(4).

وذهب ابن مالكفيمَا رواه عنه العلائي(5)- ونسَبه أبو حيان(6) إلى السهيلي – إلى أنَّه لا يَتعيَّنُ إعادة العامل في النفي عندَ بناء الكلام على فعْلَين ، بل يُكتفى بدخول (لا) بينَ الواووما بعدَها ، فيقال : مامررتُ بزيد ولا عمرو ، فيزُول بذلك اللَبس المحذور كما يزُولُ بتَكرار العامل .

وذهب ناظر الجيش(7) إلى أنَّ مَن أراد الإخبار بمرورَين نفْياً أو إثباتاً لزِمه تكرار العامل ، ومَن لم يُرِد استَغنى عن التكرار.وأخذ بقول سيبويه جماعة ، منهم ابن ولَّاد(8)، والأعلم الشنتمري(9) ، وابن عصفور(10) والعلائي(11) .

1-ينظر : المنهاج 1 /24.، والفصول المفيدة ص63
2- ينظر : الانتصار ص117، والمنهاج 1 /24.،والفصول المفيدةص64
3-ينظر :الانتصار ص117
4-ينظر : شرح ابن عصفور 1/262
5-ينظر :الفصول المفيدةص64
6-ينظر : ارتشاف الضرب 4 /1984
7-ينظر : تمهيد القواعد 7 /3522
8-ينظر :الانتصار ص117
9-ينظر : النكت ص214
10-ينظر : شرح ابن عصفور 1 /262
11-ينظر : الفصول المفيدة ص64

وذهب فريق ،منهم الرضي(1) ،و يحيى العلوي(2)، إلى أنَّ قول المازني هو الأقرب معَ الأخذ بقول سيبويه.

ورَدَّ ابن ولَّاد(3)–ووافَقه الأعلم الشنتمري(4)- قول المبرد:» إنَّ النفي إنَّما يكون على قدر الإيجاب « بِعَدم تحقيق ذلك في المسألة المتنازَع فيها، وذلك أنَّ النافي إنَّما يكَذِّب المثبِت فيما يثْبِتُه ويخبِرُ به ، فإذا كان الذي أَخبرَ به الموجِب مرورَيْن كان على النافي أن يأتي بكلام فيه نفْي المرورَيْن جميعاً ليس محتمِلاً غير هذا المعنى ، فإنِ احتَمل نفْي أحدهما دونَ الآخر – كما احتَملَ قول النافي :»ما مررتُ بزيد و عمرو»فإنَّه قد احتَمل أنيكون قد مرَّ بأحدهما – لم يكُنِ النافي حينَئذٍ مكذِّباء

كما ضعَّف ابن عصفور(5)، و غيره(6) قول المازني بأنَّه قد وُجد النفْي مُغيِّرا لِمَا دَخل عليه عن حاله قبلَ دخوله؛ فإنَّكَ تقولُ في نفْي (سيفْعل) : لنْ يفْعل. وفي نفي (قد فَعل): لَمَّا يفْعل. وفي نفْي (فَعل): لمْ يفْعل .ولا تقول:لنْ سيفْعل. ولا : لَمَّا قد فَعل . ولا:لم فَعل . فإذا كان التغيير حاصلاًمِن غير ضرورة تدعُو إليه فجوازه للضرورة - وهي خوف اللَبس -أَولى و أحرى.

و نازع ناظر الجيش(7) كلام ابن عصفور السابق بأنَّ الظاهر مِن مراد النحاة بقولهم:»(لن)

1-ينظر : شرح الرضي 4 /384

2-ينظر : المنهاج 1 /241

3-ينظر : الانتصار ص117

4-ينظر : النكت ص214

5-ينظر :شرح ابن عصفور 1 /262

6- ينظر :الفصول المفيدة ص64

7-ينظر : تمهيد القواعد 7 /3522

لنفْي (سيفعل) ، و(لَمَا)لنفْي (قد فعل)،و (لم) لنفْي (فعل)»أنَّ المنفِيّ ب(لن)

مستقبَل كما أنَّ المقرون بالسين مستقبَل ، و أنَّ(لَمَّا) لنفْي الماضي القريب زمنه مِن زمن

الحال ، و أنَّ (لم) لنفْي الماضي البعيد زمنه مِن زمن الحال .

والذي آخذ به في هذه المسألة قول سيبويه ،وأيضا القول المنسوب إلى السهيلي ؛ أمَّا الأوّل فلِأن تَكرار العامل يُزيل اللَبس المحذور به بتحقُّق كَون النفْي على قدْر الإيجاب ، وأمَّا القول الثاني فلِأنَّ دخول(لا) بينَ الواو والمعطوف يَزُول به اللَبس المحذور ،كما يَزُول بتكرار العامل ، والله تعالى أعلم .

والسادس عشر: جواز العطف على الجِوار في الجرّ خاصّة عندَ مَن يقُول به :

قد يَتبَع النعْتفي الجرّ غير ما هو له لمجاورته إياه(8)بشرط أمْن اللبس(9) ،ومدارهذه المسألة قول بعض العرب:» هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، ف(خرب) نعْت ل(جحْر) ، فحقُّه أن يرْتَفع مثْله لكنَّالعرب جرُّوه نعتا لِلضَبّ لأمْن اللبْس ، قال سيبويه(10): «لأنَّه نكرة كالضب، ولأنَّه في موضِع يقَعُ فيه نعْت للضب،ولأنَّه صارَ هو والضب بمنزِلة اسمٍ واحد ...» بخلاف (قامَ غلام زيد ِالعاقل) إذا كان (العاقل) نعتاً ل(غلام) فإنَّه يمْتنعُ جرُّه

8-ينظر : الكتاب 1/67، 436 ، والمقتضب 4 /73، وشرح التسهيل لابن مالك3 /3.8 وارتشاف الضرب 4 /1912

9-ينظر : شرح التسهيل لابن مالك3/3.8 ،وشرح الرضي 2 /328، وتمهيد القواعد 7 /3319

10- الكتاب 1 /436

على الجِوار لأجْل اللبس(1)، واشُترط أيضا في مسألة النعت على الجوار أن يكون بحيْثُ لو جُعل صفة لِمَا قُطع عن إعرابه لصَحَّ ، كقول العرب المذكور آنفاً ،ذكرَه السمين الحلبي(2)، و بالشرط الثاني رد السمين قول الفراء المجوّز في جرّ (عاصف) في قوله تعالى: (**اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ**) (3)أن يكون على الجوار ، قال السمين(4) : «لو جعلتَه صفة للريح لم يصِحّ لتخالفهما تعريفاً وتنكيراً في هذا التركيب الخاص.»

واختُلف في مسألة الجرّ على الجوار؛ فذهب فريق - منهم السيرافي(5)، وابن جني(6)في الخصائص، وأبوجعفرالنحاس(7)، ومكي القيسي(8)،وابن الحاجب(9)- إلى منْعه مطْلقاء أي: في النعْت وعطف النَّسَق . وأجازه فيهما فريق آخرأمثالالفرا(ء10)وأبي عبيدة (11)، والأخفش(12) ، وأبي منصور الثعالبي(13) ، والعكبري(14).

1-ينظر :الدرالمصون 4 /21.
2-ينظر : المصدرالسابق 7 /84
3-سورة إبراهيم من الآية (18)
4-الدرالمصون 7 /84
5-ينظر : شرح الكتاب للسيرافي 6 /68
6-ينظر : الخصائص 1 /192
7-ينظر : إعراب القرآن 1 /314
8-ينظر : المشكل لمكي ص2..
9-ينظر : الأمالي النحوية 1 /15.
10-ينظر : معاني القرآن 2 /74
11-ينظر : مجازالقرآن 1 /72، 155
12-ينظر : معاني القرآن 2 /466
13-ينظر : فقه اللغة وسر العربية ص326
14-ينظر : التبيان 1 /2.9

وابن هشام(1).وذهب فريق ثالث – منهم سيبويه(2) ، والمبرد(3)، وابن جني(4) في المحتسب ، و أبو حيان (5)في قول ، و السمين الحلبي(6) -إلى جوازه في النعت لا في عطف النسَق ،وذكرَ أبو حيان(7)أنَّ الجمهور على منْعه في عطْف النسَق.

وقد يَرِد في التوكيد نادراً(8)،ولم يسْمَع ذلكَ في البدل(9).

و أجاز بعض النحاة المتأخرين التبَعيَّة على الجِوار في المرفوع، و لم يحصُروه في الجرّ(10) ، وردَّه بعضهم ،كناظر الجيش(11).

واستَدلّ القائلون بجواز الجرّ على الجوار في عطف النسَق بِشُهرته عندَ العرب في الإعراب و الصفات وقلْب الحروف بعضها إلى بعض ، و التأنيث، و غير ذلك ؛فَمن الإعراب قوله تعالى : (**وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ**)(12)في قراءة (وأرجلكم) بالجرّ(13)،وهي قراءة مشهورة كشُهرة النصْب، و قدعُطف على الرؤوس في الإعراب ،و الرؤوس ممسوحة، و الأرْجل

1-ينظر : المغنى 2 /339

2-ينظر : الكتاب 1 /436،67

3-ينظر : المقتضب 4 /73

4-ينظر : المحتسب 2 /289

5-ينظر : البحر المحيط 2 /145

6-ينظر : الدر المصون 4 /212

7-ينظر : البحر المحيط 2 /145

8-ينظر : معاني القرآن للفراء 2 /75، والتسهيل ص 167 ،والمغني 2 /339،وتمهيد القواعد 7 /3321

9-ينظر : ارتشاف الضرب 4 /1914،وتمهيد القواعد 7 /3321

10-ينظر : ارتشاف الضرب 4 /1914،وتمهيد القواعد7 /3329

11-ينظر :تمهيد القواعد7 /333.

12-سورة المائدة من الآية (6)

13-قراءة غير نافع و ابن عامر و حفص و الكسائي و يعقوب و الحسن ، ينظر : البحر المحيط 3 /437، و اتحاف فضلاء البشر ص198.

مغسولة، و قوله سبحانَه: (**وَحُورٌ عِين**)(1)على قراءة مَن جرَّهما(2)، وهو معطوف على قوله تعالى:(**بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ**)(3)معَ اختلاف المعنى ؛إذِ المعنى:(يطوف عليهم ولدان مخلدون بحور عين)(4).

ومِمَّا وردَ منَ الصفات قوله عزّ وجلّ: (**اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ**) (5)وليس اليوم بمحيط، وإنَّما المحيط العذاب(6)، وقوله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**)(7)، بجرّ (المتين)(8) لمجاورته (القوّة)، و هو صفة ل(الرزَّاق)(9).

ومِن قلْب الحروف قوله –صلَّى الله عليه وسلَّم(10)-(**ارْجِعْنَ مَأْزُوراتٍ غيرَ مَأْجوراتٍ**) والأصل :(موزورات) ولكِنْ أُريد التآخي(11) ، ومنه قولهم: «**إنَّه لَيَأْتِينابالغَدايا و العَشَايا**»(12)، و مِنَ التأنيث قولهم : ذهبَتْ بعض أصابعه ، ف(بعض) مذكَّر ، لكِنْ لَمَّا جاورَ المؤنَّث ، و هو (أصابع)أُعطِي

1- سورة الواقعة الآية (22).

2- قراءة المفضل عن عاصم وحمزة والكسائي كما في كتاب السبعة ص622، والحجة للفارسي 6 /255.وفي الكشف لمكي(2 /3.4): قرأهما حمزة والكسائي .وفي النشر (2 /383): أبو جعفروحمزة والكسائي .

3-سورة الواقعة من الآية (18).

4-ينظر : التبيان 1/2.9، والمغني2/339 ،وتمهيد القواعد7 /3322.

5-سورة هود من الآية (84).

6-ينظر : التبيان1 /2.9،وتمهيد القواعد7 /3322 .

7-سورة الذاريات الآية (58) .

8-قراءة يحيي بن وثاب كما في مختصرفي شواذ القراءات لابن خالويه (145) ،وفي المحتسب (2 /289) :يحيى والأعمش.

9-ينظر :معاني القرآن للفراء 2/75، والدر المصون 4 /11

10-سنن ابن ماجه ص277 ،والعلل المتناهية 2 /42.،وكشف الخفاء و مزيل الإلباس1 /117 .

11-ينظر : التبيان 1 /2.9 ،والدر المصون 4 /213، وتمهيد القواعد 7 /3322

12-ينظر : التبيان 1 /2.9

فأجاز الإتباع فيهما جماعة مِن حُذَّاقهم قياساً على المفرد المسموع ، ولو كان لا وجهَ له في القياس لاقتَصروا فيه على السماع(1)، هذا ما يتَّصلُ بالنعْت ، وأمَّا ما يخُصُّ عطف النسَق فأقْوى الأدلَّة على جواز الجرّ فيه على الجوار – كما ذكرَ ناظر الجيش(2)- آية الوضوء المذكورة ، فإنَّ قراءة (وأرجلكم) بالجرّ ثابتة بالتواتر ، وغَسْل الأرْجل واجب بالأدلَّة القاطعة فوجَب أن يكون (وأرجلكم) بالجرّمعطوفة على ما تقدَّم مِن منصوب (فاغْسِلوا) ،فيكون مستحِقّا للنصْب معَ ثُبوت جرّه ، ولا وجهَ للجرّ إلَّا أن يكون لأجْل المجاوَرة ، ويعضِّدُ ذلك – كما ذكرَ العُكبري(3)-أنَّه قد أُجيز في الآية غير الجرّ ، وهو النصْب و الرفْع ، وهما غير قاطِعيْن ولا ظاهِرَين على أنَّ الأرجل حكْمها المسْح ، فوَجب أن يكون الجرّ كالنصْب والرفْع في الحكم دونَ الإعراب ، والله تعالى أعلم.

والسابع عشر:جواز تقديمها وتقديم معطوفها في الضرورة :

لا يجُوز تقديم المعطوف على المعطوف عليه إلّا في الواو خاصّة ، هذا قول البصريين(4)، ولا يكون إلّا بشروط:أحدها:أن لايؤدِّي ذلك إلى وقوع حرف العطف صدْرا(5)، فلا تقول:»وزيداً ضربت عَمرا ، ولا:والأسدَ إياك « وذلك لأنّ العامل إنّما يعْمَل في المعطوفبواسطة العاطف ، فالعاطف كالآلة للعَمل ، وهي يجِبُ تأخيرهابعدَ المستعْمِل لها ، و أيضا لقُبح وقوع التابع مقدَّماً على متبوعه وعلى العامل في متبوعه ، ذكرَه الرضي6.

1-ينظر : التبيان 1 /2.9

2-ينظر:تمهيد القواعد 7 /3326

3-ينظر :التبيان 1 /2.9

4-ينظر :المساعد 2 /476

5-ينظر : الغرة 2 /866، وشرح ابن عصفور 1 /248، وشرح الكافية الشافية 3 /1268، وشرح الرضي 2 /35.، والفصول المفيدة ص152

6-ينظر :شرح الرضي 2 /35.

حكْمه (1)، ومنه قولهم :قامتْ هند. فلم يُجيزوا حذْف التاء إلَّا عندَ الفصْل، ولا فرْق بينَهما إلَّا المجاوَرة وعدَم المجاورة(2)، وذُكرَ غيرذلك(3).

ونُوزع المجيزون في بعض ما استدلُّوا به ، و مِمَّن نازعَهم السمين الحلبي(4)، و ناظر الجيش(5)وعلَّل أبو حيان- فيما نقلَه عنه ناظر الجيش(6)– جوازالجرّ على الجوارفي النعت ،ومنْعه في عطْف النسَق بأنَّ الاسم في النعت تابع لِمَا قبلَه مباشرة ، فكان أشدَّ مجاورة، وأمَّا العطف فحَصلَ فيه فصْل بحرف العطف ، فكان مانعاً منَ المجاورة .

ويرُدُّه ما ذكرَه ناظر الجيش(7) مِن أنَّ حرفالعطف لا يُعَدُّ فاصلاً لأنَّ التبَعيَّة للأوّل لا تكونُإلَّا به وأنَّ الفصْل إنَّما يكون بِمَا يُستَغنى عنه أويكون قد ذُكرفي غيرمحلِّه .

والذي يقوَى عندي أنَّ الجرَّ على الجوارفي النعت وعطْف النسَق لا مانع مِنه مِن حيْثُ الصناعة ؛ وذلك لقوّة الأدلة التي أوردها العُكْبري(8) وناظرالجيش(9)عندَ الاحتجاج لمذهبهما، ومنها أنَّقول العرب : «هذا جُحْر ضَبٍّ خَرِب» قد جَعلَ النحويون له باباً ، ورتَّبوا عليه مسائل ، وأصَّلوه بقولهم : جُحر ضَبٍ خَرِب.حتَّى اختَلفوا في جواز جرّ التثنية و الجمْع ،

1-ينظر : التبيان 1 /2.9،والدرالمصون 4 /213

2-ينظر : المصدران السابقان .

3-ينظر : معاني القرآن للفراء2/74، والتبيان 1 /2.9،والدرالمصون4/212، وتمهيد القواعد 7 /3322

4-ينظر :الدرالمصون4 /214

5-ينظر :تمهيد القواعد 7 /3324

6-ينظر : المصدرالسابق7 /3321

7-ينظر : المصدرنفسه

8-ينظر : التبيان 1/ 2.9

9-ينظر : تمهيد القواعد 7 /3326

ثانيها: أن لا يتقدَّم على المعطوف عليه إذا كان مبتدأً بعدَه الخبر سواء أدَخلَه ناسخ(1) نحو : إنّ وعَمرا زيداً قائمانِ ،لضُعف الحرف، فلا يَعمَل معَ الفصْل بغير الظرف أو الجارّ و المجرور(2)، أمْ لم يدخُلْه حرفٌ ناسخ(3)، نحو: أمّا وعَمرو زيدٌ فمنطلقان، و :هلْ وزيد عَمرو قائمانِ؛ لأنّ المعطوف حينَئذٍ قدِّم على العامل، وهو الابتداء ، والعاطف لا يَتقدَّمُ على العامل(4)،كما سَبق.و ثالثها: أن لا يكون المعطوف مخفوضاً ،نحو:مررتُ و عَمرو بزيد(5).و رابعها:أن لا يكون المعطوف (إلَّا) أو معناها، فلا تقول: ما جاءَني و زيد إلّا عمرو . ولا : إنَّما جاءَني و زيد عَمرو(6).و عندَ الخُلُوّ مِن هذه الشروط يجُوز تقديم المعطوف بالواو على المعطوف عليه في الشعر خاصّة ، و هذا عندَ البصريين(7) ،ومِن ذلك قول الشاعر:

أَلَا يا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِعِرْقٍ عَلَيْكِ وَ رَحْمةُ اللهِ السَّلَام(8)

يريد: عليك السلامُ و رحمةُ الله. وتأوَّله بعضهم، كابن جني(9)، وغيره(10)على تقدير عطْف (رحمة الله) على الضمير في (عليك) ، و(السلا

1-ينظر :الأصول 2 /77، والغرة 2 /866،و شرح ابن عصفور1 /248،وشرح الكافية الشافية 3 /1268، والفصول المفيدة ص152

2-ينظر :شرح الرضي 2 /35.

3-ينظر :الأصول 2 /77، والغرة 2 /866، وشرح الرضي 2 /35.

4-ينظر :الأصول 2/77، و شرح الكافية الشافية 3 /1268

5-ينظر :الأصول 2/77 ،والغرة 2 /866، وشرح ابن عصفور 1 /249، والفصول المفيدة ص152

6- ينظر :شرح الرضي 2 /351

7-ينظر :المساعد 2/476 ،وينظر: المسائل المنثورة ص41 ،والفوائد والقواعد ص377

8-البيت في حواشي ديوان الأحوص ص19.،وفي الأصول 1 /326، والخصائص 2 /386، ,وأمالي ابن الشجري 1 /276 وشرح ابن عصفور 1 /249، والخزانة 2 / 3، 192 /131

9-ينظر : الخصائص 2 /386، والتنبيه لابن جني ص212

10-ينظر : الغرة 2 /866

م) مبتدأ، قال ابن جني(1)بعدَ ذكْره هذا الوجه : «لكنْ فيه العطف على المضمر المرفوع المتَّصِل مِن غير توكيد له ، و هذا أسهل عندي مِن تقديم المعطوف على المعطوف عليه» .

وأجاز قوم (2) تقديم المعطوف بالواو في السَّعة ، قال ابن عقيل(3) : «هو مذهب الكوفيين».

و أجاز جمْع(4)– منهم هشام ،و ثعلب،و الرضي(5)– تقديم المعطوف على المعطوف عليه معَ الفاء و (ثُمّ) و (أوْ) و (لا) ، و أجازه ابن عصفور(6) مع الفاء و (أو) ، و مِمَّا جاءَ فيه التقديم مع (أوْ) قول الشاعر(7) :

فَلَسْتُ بنَازِلٍ إلَّا أَلَمّتْ برِجْلي أَوْخَيالتُها الكَذوبُ

أراد :إلَّا أَلَمَّتْ الكَذوب بِرجلي أوخيالتها ، وتأوَّله ابن جني(8) وغيره(9) على أنَّ الكذوب صفة ل(خيالتها) ، وقوله :»أوخيالتها «عطْف على الضمير المستتِر في (أَلَمَّت)،ولم يلْزَم التأكيد لأنَّ الكلام طالَ بفصْل الجارّ والمجرور والمضاف إليه وهو (برجلي) .

1-ينظر : الخصائص2 /386

2-ينظر : الفصول المفيد ص154

3-ينظر : المساعد 2 /476

4-ينظر : الأصول 2 /77

5-ينظر : شرح الرضي 2 /35.

6-ينظر :ضرائر الشعر ص211

7-رجل من بني بحتر بن عتود كما في الخزانة (5 /119) ،والبيت في التنبيه لابن جني ص 112 ،وشرح ابن عصفور1 /25.

8-ينظر : التنبيه لابن جني ص112 .

9-ينظر : شرح ابن عصفور 1 /25. ،والفصول المفيدة ص 154.

والذي يظهَر لِي ما ذكرَه العلائي(1)، وهو أنّ كلّ ما ورد مِن تقديم المعطوف بالواوعلى المعطوف عليه إنَّما هوضرورة ألجَأَ الشاعرَ إليها الوزنُ والقافية, وأمَّا إجازة ذلك في السَّعة فيُضعِفه- كما ذكرَابن جني(2)–أنّك إذا قلت: «قام وزيد عمرو» فقد جمَعتَ أمامَ زيدٍ بينَ عاملَيْن (قام) والواو إذْ هي قائمةمَقام العامل قبلَها، فتكون كأنَّكَ أعملتَ في (زيد) عاملَيْن والله تعالى أعلم .والثامن عشر : العطف في التحذيروالإغراء ، نحو قوله تعالى: (**نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا**)(3).

1-ينظر : الفصول المفيدة ص 154 .
2-ينظر : الخصائص 2 /387 .
3-سورة الشمس من الآية (13) .وينظر : التصريح 2 /138

نتائج البحث

خلص البحث إلى نتائج ، من أهمها :

1 - أنّ ما نسبه بعض النحويين إلى الإمام الشافعي و الفراء و ثعلب مِن أنّ الواو تفيد الترتيب غير صحيح .

2 - أنّ الواو المختصة بعطف ما لا يَستغني عنه متبوعه هي الواو الجامعة غير المشرِّكة

3 - أنّ العطف بالواو خاصة في الفعل الذي لا يَستغني بفاعل واحد إنّما يكون متعيَّنا إذا أُريد عطف أحد الفاعلَين على الآخر ، و مِن ثَمّ يجوز أن تقول : رأيتُ زيدا يختصم . ولا تذكُر مَن خاصم ، وكذا تقول : اشترك اليوم زيد، و لا تدري مع مَن اشترك..

4 - أنّ الفعل مع العطف بالواو الجامعة غير المشرِّكة على حكم الاسم المتقدم لا بالتغليب ؛ فإنْ كان الاسم المتقدّم مؤنثاً أَلحقتَ بالفعل التاء ، وإلَّا فلا.

5 - أنّ الواو قد تُحذف مع معطوفها في الفعل الذي لا يَستغني بفاعل واحد إذا قامت قرينة ،كما في قوله تعالى :(لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ)

6 - أنّ استعمال الفعل (جمعَ) في الأعيان ، و (أجمَعَ) في المعاني هو الأكثر في اللغة ، وليس بمتعيّن .

7 - أنّ الجرّ على الجوار في النعت وعطف النسق جائز على الراجح مِن أقوال النحاة .

8 - أنّه لا يتعيَّن إعادة العامل النّفي عند بناء الكلام على فعلَين ، بل يُكتسب قول (لا) بين الواو و ما بعدها ، فيقال : ما مررتُ بزيد ولا عمرو .فيزول بذلك اللبس المحذور كما يزول بتكرار العامل .

9 - اضطراب كلام ابن جني في مسألة حذف واو العطف في السّعة ؛ فتارة يمنَع وتارة يُقرّ .

فهرس المصادروالمراجع:

أولا :الرسائل العلمية:

1. ابن النحوية وحاشيته على كافية ابن الحاجب، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير، بكلية اللغة العربية، بجامعة أم القرى، إعداد/ حسن محمد عبد الرحمن.

2. شرح جمل الزجاجي ، لابن خروف ، دراسة و تحقيق ، رسالة دكتوراة ، بكلية اللغة العربية ، بجامعة أم القرى ،إعداد/ سلوى محمد عرب .

3. شرح الكافية لابن الحاجب ، دراسة و تحقيق ، رسالة دكتوراة بكلية اللغة العربية ، بجامعة الأزهر ، إعداد / جمال مخيمر .

ثانيا: المطبوعات :

1. إتحاف فضلاء البشر في القرآت الأربع عشر ، للشيخ أحمد الدمياطي الشهيربالبناء ، دارالندوة ، بيروت ، لبنان .

2. ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق/ رجب عثمان محمد، الطبعة الأولى ، مطبعة المدني ، مصر، 1418 هـ=1998م .

3.الأصول في النحو ، لابن السراج، تحقيق / عبد الحسين الفتلي،الطبعة الرابعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،142.هـ=1999م.

4. إعراب القراءات السبع وعللها ، لابن خالويه ، تحقيق / عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1413هـ=1992م.

5. إعراب القرآن ، لأبى جعفر النحاس ، تحقيق/ محمد محمد تامر وغيره ، دار الحديث ، القاهرة ،1428هـ=2..7م.

6. أمالى ابن الشجري ، لهبة الله الحسني العلوي ، تحقيق / محمود محمد الطناحي ، الطبعة الأولى ، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1413هـ=1992م.

7. أمالي السهيلي ، تحقيق / محمد إبراهيم البنا ، مطبعة السعادة، القاهرة، 139.هـ=197.م

8. الأمالي النحوية (أمالي القرآن الكريم) لابن الحاجب ، تحقيق / هادي حسن حمودي ، الطبعة الأولى ،مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، بيروت، 14.5هـ=1985م.

9. الأم، للإمام الشافعي، تحقيق / علي محمد و غيره، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

10. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. الخامسة، دار الجيل، بيروت: 1399هـ =1979م.

11. إيضاح شواهد الإيضاح ، لأبي الحسن القيسي / تحقيق محمد بن حمود الدعجاني ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 14.8هـ = 1987م .

12. الإيضاح العضدي، لأبي علي الفارسي ، تحقيق / حسن شاذلي فرهود ، الطبعة الثانية ، دار العلوم ، القاهرة : 14.8هـ=1988م.

13. الإيضاح في شرح المفصل، لابن الحاجب، تحقيق / موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف العراقية.

14. الانتصار لسيبويه على المبرد ، لأبي ولاد التميمي ، تحقيق / زهير عبد المحسن سلطان ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت : 1416هـ =1996م.

15. البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، الطبعة الثانية ، دار الفكر، 1403هـ =1983م.

16. بدائع الفوائد ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق/ صالح اللحام و خلدون خالد ، الطبعة الأولى ، دار ابن حزم ، بيروت ،1426هـ =2..5م.

17. البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تحقيق / أبي الفضل الدمياطي ، دار الحديث ، القاهرة ، 1427هـ =2006م .

18. البرهان في أصول الفقه ، لإمام الحرمين الجويني ، تحقيق / عبد العظيم الديب ، الطبعة الثانية ، دار الأنصار ، القاهرة 1400هـ .

19. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، لعبد الواحد الزملكاني، تحقيق /خديجة الحديثي و أحمد مطلوب ، مطبعة العاني ، بغداد، 1394هـ= 1974م .

20. البسيط في شرح جمل الزجاجي ، تحقيق /عياد بن عيد الثبيتي ، الطبعة الأولى ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،14.7هـ =1986م .

21. البيان في إعراب غريب القرآن ، لابن الأنباري ، تحقيق /جودة مبروك محمد ، الطبعة الثانية، مكتبة الآداب، القاهرة ، 1431هـ2010.م.

22. التبصرة في القراءات السبع ، لمكي القيسي ، تصحيح وتعليق/ محمد غوث الندوي ، الدار السلفية، الهند .

23. التبصرة و التذكرة ، للصيمري ، تحقيق / فتحي أحمد مصطفى، الطبعة الأولى ، مركز البحث العلمي و إحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ،1402هـ=1982م .

24. التبيان في إعراب القرآن ، للعكبري ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية،بيروت، 1399هـ=1979م .

25. التذييل والتكميل ،لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق/ حسن هنداوي،الطبعة الأولى ، داركنوز إشبيليا ، الرياض، 1434هـ=2013م.

26. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك الأندلسي، تحقيق / محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي،القاهرة، 1387هـ = 1967 م .

27. التصريح بمضمون التوضيح، خالد الأزهري، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة.

28. تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد ، للدماميني ، تحقيق/ محمد بن عبد الرحمن المفدى ، الطبعة الثانية ، 1425هـ =2004م .

29. تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، لناظر الجيش، تحقيق /علي محمد فاخر وغيره ، الطبعة الأولى ، دار السلام ، مصر ، 1428هـ =2..7 م .

30. التنبيه في شرح مشكل أبيات الحماسة ، لابن جني ، تحقيق/ سيدة حامد عبد العال ، وتغريد حسن أحمد ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، 1431هـ =2.1. م .

31. توجيه اللمع ، لابن الخباز ، تحقيق / فايز زكي محمد دياب ، الطبعة الأولى ، دار السلام ، القاهرة 1423هـ =2..2 م .

32. توضيح المقاصد و المسالك بشرح ألفية ابن مالك ، للمرادي، تحقيق / عبد الرحمن بن على بن سليمان ، الطبعة الثانية، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .

33. الجمل في النحو، للزجاجي، تحقيق/ على توفيق الحمد، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 14.4 هـ = 1984 م .

34. جمهرة اللغة ، لابن دريد ، دارصادر ، بيروت .

35. الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ، تحقيق / فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، الطبعة الثانية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، 14.3هـ= 1983 م

36. حاشية الدسوقي وبهامشه متن مغني اللبيب، لابن هشام الأنصاري، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة .

37. حاشية يس على التصريح مع التصريح بمضمون التوضيح ، للشيخ خالد الأزهري ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة .

38. الحجة للقراء السبعة ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق/ بدر الدين قهوجي و جو يجاتي ، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث ، دمشق، بيروت،1411 هـ =1991م.

39. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر البغدادي، تحقيق وشرح / عبد السلام هارون ، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 14.6هـ = 1986 م .

40. الخصائص، لابن جنى ، تحقيق / محمد علي النجار ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ، بيروت ، 14.3هـ = 1983 م.

41. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي ، تحقبق / أحمد محمد الخراط ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، دمشق ، 14.6= 1986 م.

42. ديوان امرىء القيس،تحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر .

43. ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت ، 138.هـ = 196. م

44. رصف المباني في شرح حروف المعاني ، للمالقي ، تحقيق / أحمد محمد الخراط ، الطبعة الثانية ، دار القلم ، دمشق ، 14.5هـ =1985م.

45. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للألوسي البغدادي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

46. سر صناعة الإعراب ، لابن جني ،تحقيق /حسن هنداوي الطبعة الثانية ، دار القلم ، دمشق ، 1413هـ = 1993م

47. سنن ابن ماجه ، تعليق/ الشيخ الألباني، الطبعة الأولى ،مكتبة المعارف، الرياض.

48. شرح أبيات مغني اللبيب، لعبد القادر البغدادي، تحقيق/ عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، الطبعة الأولى ، دار المأمون للتراث، دمشق، 14.1هـ=1981م

49. شرح التسهيل، لابن مالك ، تحقيق /عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون ،الطبعة الأولى ،هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ،141.هـ = 199.م .

50. شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور، تحقيق /صاحب أبو جناح، الطبعة الأولى، عالم الكتب، 1419هـ= 1999 م.

51. شرح حماسة أبي تمام ، للأعلم الشنتمري ، تحقيق / على المفضل حمودان، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، 1413هـ =1992م .

52. شرح الرضي على الكافية ، تصحيح وتحقيق / يوسف حسن عمر، الطبعة الثانية ، جامعة قازيونس، بنغازي ،1996م

53. شرح عمدة الحافظ و عدة اللافظ ، لابن مالك،تحقق /عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة العاني ، بغداد ، 1397هـ = 1977م

54. شرح القصائد التسع ، لأبي جعفر النحا س ، الطبعة الأولى، دار الكتب ، بيروت ،14.5 هـ = 1985م

55. شرح الكافية الشافية ،لابن مالك ،تحقيق /عبد المنعم أحمد هريدي، الطبعة الأولى، مطبوعات مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى 14.2هـ=1982م

56. شرح كتاب سيبويه ، للسيرافي ، الجزء الخامس والسادس ، تحقيق / محمد عوني عبد الرؤوف وغيره ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، 143.هـ =2..9م .

57. شرح اللمع في النحو ، للواسطي الضرير ، تحقيق / رجب عثمان محمد و رمضان عبد التواب ، الطبعة الأولى ، الشركة الدولية للطباعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،؟ 1420.هـ =2000م.

58. شرح المفصل، لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت.

59. شرح المقدمة الجزولية الكبير ، لأبي علي الشلوبين ، دراسة وتحقيق / تركي بن سهو العتيبي ، الطبعة الأولى ، مكتبة الرشد، الرياض ، 1413هـ = 1993م .

60. شعر الأحوص الأنصاري ، تحقيق / عادل سليمان جمال ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، 139.هـ = 197.م.

61. شعر الراعي النميري وأخباره ، جمع وتعليق /ناصر الحاني ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ،1383هـ = 1964م.

62. الصاحبي ، لأحمد بن فارس ، تحقيق / السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة .

63. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، 1399هـ =1979م.

64. ضرائر الشعر، لابن عصفور، تحقيق / السيد إبراهيم محمد، الطبعة الأولى، دار الأندلس، 198.م

65. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، لابن الجوزي ، تحقيق / إرشاد الحق الأثري ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور

66. علل النحو ، لأبي الحسن الوراق ، دراسة وتحقيق /محمود جاسم محمد الدرويش الطبعة الأولى ، مكتبة الرشد ، الرياض ،142.هـ = 1999م.

67. الغرة في شرح اللمع ، لابن الدهان ، تحقيق / فريد عبد العزيز الزامل ، الطبعة الأولى ، دار التدمرية ، الرياض ، 1432 =2.11 م.

68. غنية الأريب عن شروح مغني اللبيب ، لمصطفى رمزي الأنطاكي دراسة وتحقيق/ حسين صالح محمد الدبوس وغيره ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 1432هـ = 2.11م.

69. الفصول المفيدة في الواو المزيدة ، لصلاح الدين خليل العلائي ، تحقيق /حسن موسى الشاعر ، الطبعة الأولى، دار البشير ، عمان ، 141. هـ = 199.م.

70. فقه اللغة وسر العربية ، لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق / مصطفى السقا وغيره ، 1392هـ=1972م.

71. الفوائد والقواعد ، للثمانيني ، تحقيق / عبد الوهاب محمود الكحلة ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1422، هـ =2..2م.

72. الكافية في النحو، لابن الحاجب ، تحقيق/ طارق نجم الدين عبد الله ، الطبعة الأولى ، مكتبة دار الوفاء ، جدة ،14.7هـ =1986م.

73. الكامل، للمبرد، تحقيق/ محمد أحمد الدالي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 1434هـ = 2.13م.

74. كتاب سيبويه ، تحقيق /عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي ، مصر، 1977م.

75. كتاب الحيوان للجاحظ، تحقيق وشرح /عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، مكتبة مصطفي الحلبي، القاهرة، 1356هـ = 1938م.

76. كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق /شوقي ضيف، دار المعارف، مصر.

77. كتاب الشعر (شرح الأبيات المشكلة الإعراب) للفارسي ، تحقيق / محمود محمد الطناحي ، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي ، القاهرة 14.8،هـ =1988م.

78. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، لإسماعيل الجراحي ، تصحيح وتعليق / أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

79. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، لمكي القيسي، تحقيق / محيي الدين رمضان ، الطبعة الرابعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 14.7هـ=1987م.

80. كشف المشكلات وإيضاح المعضلات ، لأبي الحسن الباقولي ، تحقيق / محمد أحمد الدالي ، الطبعة الأولى ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، مطبعة الصباح ،دمشق ، 1415 هـ =1995م.

81. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري ، ضبط وتوثيق / الداني بن منير آل زهوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت

82. لسان العرب،لابن منظور ، دارصادرللطباعة والنشر ، داربيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1375هـ= 1956م.

83. اللمحة في شرح الملحة ، لأبي الحسن الصايغ ، تحقيق / إبراهيم بن سالم الصاعدي ، الطبعة الثانية ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ،1431هـ 2010م.

84. اللمع في العربية ، لابن جني ، تحقيق / حامد مؤمن ، الطبعة الثانية ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ،14.5هـ=1985م.

85. مجاز القرآن، لأبي عبيدة ، تعليق/ محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

86. مجالس ثعلب، شرح وتحقيق / عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر.

87. ممل اللغة ، لأحمد بن فارس ، تحقيق / هادي حسن حمودي ، الطبعة الأولى ، معهد المخطوطات العربية ، الكويت، 14.5هـ =1985م.

88. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لابن جني تحقيق / على النجدي ناصف وغيره ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف ، القاهرة ، 142.هـ = 1999م .

89. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،لابن عطية الأندلسي تحقيق / عبد الله ابن إبراهيم الأنصاري و السيد عبد العال السيد، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .

90. المحصول في شرح الفصول ، لابن إياز البغدادي ، تحقيق / شريف عبد الكريم النجار ، الطبعة الأولى ، دار عمار ، مكة المكرمة ،1431هـ =2.1.م.

91. مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع ، لابن خالويه ، عني بنشره .ج.برجشستراس، المطبعة الرحمانية ، مصر ، 1934م.

92. المسائل المنثورة، للفارسي، تحقيق / شريف عبد الكريم النجار، الطبعة الأولى، دار عمار، عمان، الأردن، 1424هـ =2..4م.

93. المساعد على تسهيل الفوائد ، لابن عقيل ، تحقيق / محمد كامل بركات ، منشورات مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى ، دار الفكر ، دمشق ، 14..هـ =198.م.

94. معاني القرآن للفراء؛ ط. الثالثة، عالم الكتب، بيروت، 14.3هـ =1983م.

95. معاني القرآن للأخفش ، تحقيق / عبد الأمير محمد أمين ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ، 14.5هـ=1985م.

96. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تعليق / أحمد فتحي عبد الرحمن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1428هـ=2..7م.

97. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ= 1979م.

98. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة .

99. المفصل في علم العربية ، للزمخشري ، الطبعة الثانية ، دار الجيل بيروت

100. المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية ، للإمام الشاطبي ، تحقيق / عبد المجيد قطامش ، الطبعة الأولى ، مطبوعات معهد البحوث العلمية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1428 هـ= 2..7م.

101.المقتصد في شرح الإيضاح ، لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق / كاظم بحر المرجان ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، دار الرشيد ،1918م.

102.المنصف من الكلام على مغني ابن هشام ، للشمني ، وبهامشه شرح الدماميني على متن المغني المذكور، المطبعة البهية ، القاهرة

103.المنهاج في شرح جمل الزجاجي، ليحيى بن حمزة العلوي، مكتبة الرشد ناشرون، تحقيق / هادي عبد الله ناجي، الطبعة الأولى، الرياض، 143.هـ=2..9م.

104.الموشح على كافية ابن الحاجب في النحو ، للخبيصي ، تحقيق / شريف عبد الكريم النجار.

105.نتائج الفكر في النحو ، للسهيلي، تحقيق/ محمد إبراهيم البنا ، دار الاعتصام.

106.النكت في تفسيركتاب سيبويه ، للأعلم الشنتمري، ضبط / يحيى مراد، الطبعة الأولى ، دارالكتب العلمية ، بيروت ،1425هـ=2..5م.

107.النشرفي القراءات العشر ، لابن الجزري ، دارالفكر .

108.همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، للسيوطي، تحقيق /عبد السلام محمد هارون و عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، 1394هـ=1975م.

المفاخر إلى تخليص الإبريز (قلائد المفاخر، سابقة 49 - 50)، ومن الإشارتين يتضح أن الكتابين تكونا بالتوازي. كان الانتهاء من تأليف قلائد المفاخر سنة 1245هـ، وطبع بالقاهرة سنة 1249هـ (انظر 119 /120). يتكون قلائد المفاخر من قسمين بترقيمين مختلفين، أحدهما بعنوان «سابقة» ويقع 105 صفحة، وهذه السابقة من تأليف الطهطاوي، والقسم الثاني يقع في 112 صفحة، يضم ترجمة عربية لكتاب ألفه بالفرنسية دينج عن نظم الحياة وعادات الشعوب . عنوان الأصل الفرنسي.

G.B. Depping , Apercu historique sur les Mœurs et Coutumes des Nations, parin

(انظر لكتاب هذا البحث، ما نشره عنه في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 95، ماي 2002م، الصفحات 121 - 137). يوجد المصطلح في مداخل كثيرة في تلك السابقة، كما يوجد في فصول كثيرة في الترجمة. تضمنت السابقة مداخل موسوعية عن عدد البلدان والشعوب والآداب. وأهمية الترجمة تتضح من مقارنة الأصل الفرنسي والترجمة العربية، ومن المقارنة تتضح الدلالة المقصودة والمشكلات المصطلحية.

5 - المصدر الثاني لدراسة المصطلح عند الطهطاوي هو كتابه المشهور: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، (طبع القاهرة عدة مرات، الطبعة الأولى 1834م، الطبعة المعتمدة بتقديم وتعليق كاتب هذا البحث في القسم الثاني من كتاب أصول الفكر العربي الحديث، القاهرة 1975م). يضم هذا الكتاب معلومات مهمة في مجالات شتى، ومنها ترجمة كاملة لنصوص الميثاق الدستوري الفرنسي مع صفحات كتبها الطهطاوي عن أهمية الدستور وعن المؤسسات. لقد قدّم الطهطاوي في تخليص الإبريز

كلمات كثيرة عن الفنون وشرح المقصود بها، وذلك في الفصل السابع الذي خصصه للمتنزهات في مدينة باريس. كتب أنه لا يعرف اسمًا عربيًا يليق بمعنى السبكتاكل أو التيار، ضبط كل كلمة بالحروف والحركات، ثم شرح المقصود بالكلمة. الكلمات العربية في هذا السياق كثيرة، منها كلمة لعب وكلمة لعبة وكلمة لاعب ولاعبة ولاعبون ولاعبات. ومن الجانب الآخر قدّم الطهطاوي تعريفًا بالمؤسسات العلمية والثقافية، وقد عبر عنها بعبارة: مجامع العلماء والمدارس المشهورة وخزائن الكتب (تخليص 300). ومن مجامع العلماء ما يسمى أكدمة. ومنها ما يسمى مجمعاً أو مجلس. والانسطيطوت عندهم اسم علم يشتمل على جميع اجتماع الأكامدات أي المجالس الخمس، وهي أكاديمية اللغة الفرنساوية وأكاديمية العلوم الأدبية ومعرفة الأخبار والآثار «(تخليص 304) وفي هذا السياق نجد أيضًا عضو والجمع أعضاء (تخليص 304) المهم هنا عند ذكر مصطلحات كثيرة أن الطهطاوي كان يشرحها بكلمات عربية تقريبًا لها من القارئ، ويوضح المراد بالمقارنة أو بالإشارة إلى ما يماثلها أو يقترب منها في مصر أو في الحضارة العربية الإسلامية.

6 - كان إنجاز الطهطاوي كبيرًا في الترجمة من الفرنسية إلى العربية. ومن أكبر كتبه: تعريب القانون الفرنساوي المدني، قانون التجارة (القاهرة 1285هـ). وفي هذه المجلدات مصطلحات كثيرة جديرة بالعمل المعجمي. كتاب الجغرافية العمومية (طبع في أجزاء بالقاهرة 1835 - 1846) من تأليف ماطبرون. وفيه معلومات عن القارات والبلدان وحياة الناس، ولغاتها وثقافتها. وفي مواضع محدودة نجد معلومات عن اللغات والآداب (انظر المقالة 50 من تخطيط آسيا، الجزء الثالث 128 - 129). ومن ذلك

ما كتبه عن لغات العجم القديمة، ومنها «لغة زند وهولسان كتب الفرس المسماة زند أوستا»، كتب أيضًا عن السنسقريط أي السنسكريتية، وعن البهلوية والسريانية، وعن كتب المجوس الدينية، ثم كتب عن اللسان الفارسي، وعن الشعراء العظام وأرباب الخطابات وإنشاء الكلام، وعن اللغة الفارسية الجديدة. تناول بعد ذلك أوجه الشبه بين اللسان الفارسي القديم والجديد وبعض اللغات الأوروبية(129 - 130). وعندما ذكر آدابهم نجد عدة مصطلحات (132)، منها قصائد، بواعث نفسية، علوم اللغة، علم العروض(132). وعندما كتب عن روسيا(172) ذكر آداب أوروبا وعوائدها. وهنا نجد مصطلحات: آداب، فصاحة، ألعاب، تياترة، كما نجد الفعل لعب للتعبير عن الأداء على المسرح. وكتب أيضًا عن القلموك وعن اليابانيين والتعليم.

كتاب: مواقع الأفلاك في وقائع تلمياك (ط.بيروت1867-)، هذا الكتاب ترجمة الطهطاوي لرواية من تأليف,Les A ventures de Télémaque Paris 1717 Fenelon الأديب المفكر الفرنسي فينيلون.

نجد في مقدمة المترجم مصطلحات قليلة، منها/ قصة (23) و «أخبار» و «صناعة النثروالنظم»، ويصف فينيلون بأنه «ملك آداب» (ص5)، وأن «لآدابها ومعارفها ميزان» (ص5)، ثم يذكر «آداب اللغتين أي الأدبين العربي والتركي (ي6)، وأن حكم محمد علي «أيام علوم وآداب» (ي6).

7 - أما الكتب التي ألفها الطهطاوي في إطار الثقافة العربية الإسلامية فهي كثيرة. قدّمت فكرًا مستنيرًا يقوم على انتقاء ذكي من الثقافتين العربية والأوروبية، ومصطلحاتها أيضًا من التراث العربي. كتاب أنوار توفيق الجليل (1285 - 1868)، وهو كتاب في التاريخ وفيه قدر من المصطلحات.

يضم المجلد الأول من هذا الكتاب تاريخ مصر القديمة واليونان والرومان مع المقارنة بالتاريخ العربي والإسلامي، وخصص فيه عدة صفحات لتاريخ العرب القديم. أما الجزء الثاني من أنوار توفيق الجليل فهو بعنوان نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز (1290 /1873). خصصه الطهطاوي للسيرة النبوية(1 - 2 / 415 - 422) وعن السماع والغناء(2 /517 - 519). المصطلحات الواردة في هذه الصفحات كلها من المألوف في الثقافة العربية: شاعر، شعراء، هجاء، عارض، مآثر، مثالب، شعر، خطيب، خطب، افتخار، فاخر، جاوب بالشعر، سيرة. وتوجد مصطلحات عن الغناء والسماع، منها: مغنية، قينة، ترنم، مزامير، العود، أنشد الأشعار، سماع الألحان، سماع. والطهطاوي بحث مشكلة الغناء عند بعض الصوفية ورأيه أنه لا توجد مشكلة بسبب طبيعة «الغناء في حد ذاته». وأشار أيضا إلى كتاب آداب السماع لأبي حامد الغزالي عند الآلات (2 /522).

كتاب مناهج الألباب (القاهرة 1278 /1870م، وله طبعات بعد ذلك، منها القاهرة 2002 بإشراف أ.د.مصطفى لبيب). وهو كتاب في الثقافة الأدبية، ويضم –أيضا- موضوعات مهمة في الفكر السياسي في ضوء الفكر الأوروبي وفي ضوء خبرات الحضارة الإسلامية.

كتاب المرشد الأمين (ط القاهرة 1289 /1872). وهو كتاب قراءة وثقافة وفكر، ألفه للبنات والبنين، ولكن أهميته تتجاوز الهدف المدرسي إلى الثقافة العامة. خصص في الباب الثالث الفصل الثامن لموضوع العلاقة بين الفنون الأدبية والعلوم الحقيقية (86 - 88) والفصل التاسع في ذكر الطرق المسهلة لتقدم العلوم والآداب (88 - 90). وهنا نجد مصطلحات منها الفنون الأدبية، والأديب والأدباء، والأدب والآداب. أما كتب الطهطاوي

الأخرى، مثل القول السديد في الاجتهاد والتجديد (القاهرة) والتحفة المكتبية فإنها تتعامل بمصطلحات من التراث العربي في علم أصول الفقه وفي النحو العربي. دور الطهطاوي هنا مقصور على الانتقاء وتقديم الفكرة.

إن معرفة الطهطاوي بالمصطلحات العربية كانت قوية. دراسة اللغة العربية ظلت من أهداف الدراسة بالأزهر، إلى جانب التركيز على العلوم الإسلامية. وكانت سنوات الطهطاوي في فرنسا وقتًا مناسبًا للقاء المتخصصين هناك في اللغة العربية وآدابها وحافزًا جديدًا ومهمًا. عرف الطهطاوي الأستاذ الرائد دي ساسي (De Sacy(1758-1838

الذي كان مهتمًا بالأدب العربي وبالنحو والبلاغة. وهو أستاذ جيل كامل من المتخصصين الأوروبيين في الدراسات العربية. وشغل عدد تلاميذه بتاريخ العرب، منهم كوسان دي برسقال (1795 - 1871) .

(S . Fuck , Die arabischen. Leipzig . 1955,140) Caussin de Perceval

كان اعتماد الطهطاوي في الأزهر على المخطوطات العربية، وهكذا كان التعليم آنذاك. وعندما عاد الطهطاوي من باريس إلى مصر كانت الطباعة العربية قد بدأت في القاهرة، ولكنها كانت أول الأمر لأهداف عملية وتعليمية، ثم اهتمت بعد ذلك بالمطبوعات الثقافية.

8 - أما خير الدين التونسي (1810 - 1890) فالمصدر الأساسي لدراسة المصطلحات وألفاظ الحضارة عنده هو كتابه: «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك (تونس 1284 /1867م). المؤلف مفكر ورجل دولة، كان رائد التجديد في تونس. تضمن كتابه عدة موضوعات تتناول أساس التقدم في ضوء الخبرة الأوروبية الحديثة وخبرات الحضارة الإسلامية. تناول الكتاب الدولة العثمانية والدول الأوروبية الأخرى، ثم فرنسا، ثم إنكلترا،

ثم إيطاليا، ثم أسبانيا...الخ. تضمن الكتاب مصطلحات كثيرة لأنه كتب عن نظام كل دولة ومؤسساتها وثروتها وتقسيمها الإداري ومجالسها. ولهذا يعد مصدرًا مهمًا لدراسة المصطلحات السياسية والإدارية والاقتصادية وألفاظ الحضارة. خير الدين التونسي دعم رأيه في أهمية تعرف جوانب التقدم عند الأوروبيين بآراء مفكرين مسلمين إلى جانب إشارات إلى باحثين أوروبيين. ولكن أكثر المعلومات عن نظم الدول تعتمد على كتب وتقارير ومراجع إلى جانب ما لاحظه المؤلف وانطباعاته وآرائه. إن خير الدين التونسي ذكر في مقدمته عبارات لفقهاء مسامين في أهمية تعرف التقدم، وأشار في مواضع كثيرة إلى أسس وأهمية معرفة ما عند الآخرين من علم ونظم. تظهر ثقافة خير الدين التونسي في إشاراته لأفكار كثيرة معتمدًا على كتب التراث العربي، ومنها كتب في الفقه مثل سنن المهتدين للمواق المالكي (أقوم المسالك 6) وحاشية الدر المختار لمحمد بن عابدين الحنفي (أقوم المسالك 7)، ومنها في العقائد كتاب المولى سعد الدين. ولكن أكثر الإشارات كانت إلى كتب فلسفة التاريخ والتاريخ وكتب التراجم، وفي هذا الصدد نجد أسماء ابن خلدون (20) والمقريزي (21) وأبي الفدا والمسعودي والإدريسي (25) وابن الأثير (29) أما المعلومات الواردة عن الدول الأوروبية فتعتمد في المقام الأول على مصادر أوروبية وخبرات المؤلف الخاصة.

9 - مجالات المصطلحات وألفاظ الحضارة كثيرة في كتبهما وتختلف بطبيعة الحال من كتاب لآخر. وعندما أعددت منذ نحو أربعين عامًا الفهارس اللغوية والموضوعية لكتاب تخليص الإبريز كانت هذه الكلمات الأساسية في نحو أربعين مجالاً. وفي الكتب الأخرى للطهطاوي وخير الدين مجالات أخرى للمصطلحات وألفاظ الحضارة قد تصل إلى نحو مائة

مجال، وبداخل كل مجال عدد من المصطلحات وألفاظ الحضارة. وأهم هذه المجالات:

1 - الصحف والدوريات والمطبوعات الأخرى.

2 - فروع المعرفة والمهن والحرف.

3 - المؤسسات التعليمية ونظام التعليم.

4 - المؤسسات العلمية والمكتبات والمدارس والجمعيات العلمية.

5 - المصطلحات السياسية ومؤسسات الدولة.

6 - الأعلام الجغرافية والدول والمدن والشعوب.

7 - الحضارة المادية ووسائل الاتصال.

8 - الرعاية الصحية والمستشفيات.

9 - الأعياد والعطلات والأماكن العامة.

ويختلف وجود المصطلحات وألفاظ الحضارة وأعدادها ونسبتها من كتاب لآخر.

10 - الاحترام المتبادل بين الطهطاوي وخير الدين التونسي من سمات العلاقة بين شخصيتين كبيرتين في عصر ما قبل الاستعمار والتبعية. كتاب أقوم المسالك مؤلف في منتصف سنوات الإنتاج الفكري للطهطاوي ولهذا عرف خير الدين التونسي كتاب تخليص الإبريز للطهطاوي. كتب خير الدين التونسي عنه في الفصل الذي خصصه لتخليص المكتشفات والمخترعات، كتب: ومن تاقت نفسه إلى تفاصيل العلوم والفنون المشار إليها فعلية بمطالعة الفصل الثالث عشر من المقالة الثالثة من رحلة العالم البارع الشيخ رفاعة أحد علماء مصر المسماة بتخليص الإبريز إلى تلخيص باريز فقد كشف فيها الغطاء عن تدبير الأمة الفرنساوية التي رفعت راية

التمدن وأجاد في ذلك وأفاد «(أقوم المسالك 69). وبعد ذلك بسنين نجد الرد عند الطهطاوي في مناهج الألباب، كتب الطهطاوي: «وقد أتى بمثل ذلك نادرة عصره خير الدين باشا التونسي وذكر في كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ما لم يسبق به ونصح أهالي الأوطان في سائر الممالك الإسلامية بما لا ينكر لدين الإسلام من النفع خير فإنه حمل هموم أوطانه» (مناهج الألباب 260). وفي هذا المؤلف الراقي درس للمعارضين الذين لهم سلوك آخر في حالات كثيرة.

ثانيا: اتجاهات وضع المصطلحات:

اللغة العربية مستمرة وفيها تراث معجمي قديم وتراث مصطلحي تكوّن عبر قرون الحضارة الإسلامية ولها بنية صرفية واسعة تمكن من تكوين كلمات جديدة يقبلها الاستخدام العربي.

أ- المصطلحات المتوارثة عن عصور الحضارة الإسلامية تمثل مكونات أساسية في المصطلحات في بداية النهضة العربية الحديثة:

ديوان	(تخليص الإبريز 2020 ، 234).
خزانة = خزنة كتب	(تخليص الإبريز 171، 476).
علم الفلك	(أقوم المسالك 55).
الصدارة العظمى	(أقوم المسالك 98).
قواعد الفلاحة	(أقوم المسالك 17).
الأمة الإسلامية	(أقوم المسالك 21).
الشريعة الإسلامية	(أقوم المسالك 3).

هناك كلمات تتكرر مفردة ومركبة، ومنها كلمة مكتب والجمع مكاتب بمعنى مؤسسة تعليمية عامة أو متخصصة:

مكتب عمومي (أقوم المسالك 27)

مكاتب العلوم (أقوم المسالك 105، 345).

المكاتب الأولية (أقوم المسالك 372).

مكاتب المبتدئين (أقوم المسالك 401)

مكاتب لتعليم الفلاحة (أقوم المسالك 401).

مكاتب لتعليم الأبناء المنتسبين للجيش (أقوم المسالك 401).

مكاتب متوسطة (أقوم المسالك 401).

مكاتب خصوصية (أقوم المسالك 402).

مكتب مهندسي البلد (أقوم المسالك 402).

مكتب الصنائع (أقوم المسالك 402).

مكتب الحرب (أقوم المسالك 402).

المكتب الحربي السلطاني (أقوم المسالك 106).

مدرستان لتعليم العلوم العالية (أقوم المسالك 402).

ب- هناك كلمات كثيرة من أصول عربية استمر استخدامها، إنها المصطلحات المورثة والجديدة:

تقدم (أقوم المسالك 2، 28).

تأخر (أقوم المسالك 3، 5).

تمدن (أقوم المسالك 3/ 28، 31).

تهذب (أقوم المسالك 298).

تفويض (أقوم المسالك 15، 98).

وبصيغة الجمع، جمع التكسيروجمع المؤنث السالم:

تراتيب (أقوم المسالك 8).

تطويرات (أقوم المسالك 7).

تنظيمات (أقوم المسالك 8، 9).

صيغة المصدر الصناعي المنتهية نجدها في هذه الكتابات:

جمعية (تخليص الإبريز478).

إمبراطورية (أقوم المسالك125).

سابقية (أقوم المسالك 4).

حرية (أقوم المسالك 74).

جمهورية (أقوم المسالك 75).

طوبجية (أقوم المسالك 308).

الجندية (أقوم المسالك 148).

مأمورية (أقوم المسالك 101).

وبصيغة الجمع:

حريريات (أقوم المسالك 27).

جمعيات (أقوم المسالك 107).

النسب بالنهاية الشائعة في العامية آوي، ولها بطبيعة الحال أصل فصيح:

فرنساوي (أقوم المسالك 20، 106).

أورباوي (أقوم المسالك 51).

البلدان الأوروبية (أقوم المسالك 3).

الممالك الأوروبية (أقوم المسالك 4، 5).

اسم المكان بوزن مَفْعَل:

مكتب (أقوم المسالك 27).

مجمع (أقوم المسالك 54).

مطبعة (أقوم المسالك 1).

وبصيغة الجمع:

مكاتب (أقوم المسالك 105، 345).

مجامع (أقوم المسالك 54).

مطابع (أقوم المسالك 106، 146).

ج- بعض الأسماء مأخوذة من التراث العلمي العربي. كتاب: الفلاحة النبطية لابن وحشية، كلمة فلاحة مثال على استخدام الكلمة الممتد حتى اليوم في أكثر البلدان العربية للدلالة على كل العمليات الخاصة بالنبات في الأرض:

علم الفلاحة (تخليص الإبريز 499).

الفلاحة (أقوم المسالك 401).

أفاد خير الدين في تسمية الأنهار من كلمة عربية بدلالتها الأندلسية. وادي (بمعنى نهر) (أقوم المسالك 435 /440).

هناك مصطلحات في مجال العملية الديمقراطية تكونت في تلك المرحلة واستمرت حتى اليوم:

عضو (تخليص الإبريز 478).

مجمع اختباروانتخاب (تخليص الإبريز 469).

المنتخبين الكبار (تخليص الإبريز 469).

دفاتر أرباب الانتخاب (تخليص الإبريز 469).

مجلس النواب= مجلس النواب (أقوم المسالك 340).

مجلس بلدي (أقوم المسالك 343).

حقوق مدنية وسياسية (أقوم المسالك 301، 302).

منتخب (اسم مفعول) (أقوم المسالك 301).

انتخاب (أقوم المسالك 302).

وهذه الكلمات المهمة في الحياة السياسية يرجع الفضل في تحديد دلالاتها في المجال السياسي إلى هؤلاء الرواد

ومن هذا كله يتضح أن وضع المصطلحات وألفاظ الحضارة للتعبير عن الحياة الحديثة والعلوم الحديثة يقوم في المقام الأول على المكونات العربية: هناك مصطلحات وألفاظ حضارية موروثة، وأبنية صرفية مناسبة. أما الفروق والاختلافات في التطبيق فهي فردية، ولا تغير الأساس العام.

2 - اللغة العربية قبلت في عصور تاريخية كلمات من لغات أخرى، منها المعرّبات القديمة ومنها الدخيل في عصور الحضارة الإسلامية. وكان الطهطاوي واعيًا بضرورة الاقتراض المعجمي لتلبية التحولات الجديدة، وكتب عن ذلك في أول كتابه قلائد المفاخر.

1 - هناك مصطلحات لها تاريخها في الحضارة الإسلامية، وإن كانت معربة أو دخيلة:

سلطاني (=تابع للدولة) (تخليص الإبريز 479، 480).

مارستان (أقوم المسالك 27).

الفلسفة (أقوم المسالك 23).

الجغرافيا (أقوم المسالك 25).

الإفرنج، الإفرنجية (أقوم المسالك 4، 6).

كلمة أكدمية كانت مما شُغل به رواد النهضة الحديثة عندما كتب الطهطاوي عن المؤسسات العلمية الحديثة:

أكدمية = أكدمة = أقدمية	(تخليص الإبريز 304).
أكدمة الفرنسيس	(تخليص الإبريز 304).
أكدمة الفنون الأدبية	(تخليص الإبريز 305).
أكدمة مستظرفات الفنون	(تخليص الإبريز 305).
عضو (الأكاديمية)	(تخليص الإبريز 304).
أكدمية	(أقوم المسالك 68).
أكدمية فرنسا	(أقوم المسالك 68).
أكدمية الخطوط القديمة	(أقوم المسالك 68).
أكدمية العلوم	(أقوم المسالك 68).
أكدمية البوزار	(أقوم المسالك 68).
أكدمية السياسة وتهذيب الأخلاق	(أقوم المسالك 68).

هذه الكلمة نقلها رواد النهضة من الفرنسية Academie وأصلها يوناني شرحه الطهطاوي (تخليص الإبريز 304). عربها الطهطاوي بثلاث كلمات واختار خير الدين إحداها.

الوثائق الدستورية كانت من أهم ما عرف به رواد التجديد. عند رفاعة الطهطاوي نجد لذلك كلمة الشَّرطة. كلمة الشرطة عن الفرنسية Charte. كتب الطهطاوي: ومعناها في اللاتينية ورقة، ثم تسومح فيها فأطلقت على السجل المكتوب فيه الأحكام المقيدة (تخليص الإبريز 229). والكلمة التي عربها الطهطاوي هي الكلمة الفرنسية الأولى من تركيب وصفي: Charte constitutionelle أي الميثاق الدستوري. ولكن خير الدين التونسي جعل الكلمة الفرنسية الثانية أساسا للنقل إلى العربية وهي كلمة constitution :

الكونستيتوسيون (أقوم المسالك 77).

الممالك الكونستيتوسيونية (أقوم المسالك 83).

دولة كونستيتسيونية (أقوم المسالك 373).

كلا التعريبين لم يستقر، واستقرت كلمة دستور التي كانت تستخدم بمعنى نظام واحترام.

على عكس ذلك هناك كلمات دخيلة استخدمت ثم حلت محلها بمضي الوقت كلمات عربية:

جرنال (ج) جرنالات (تخليص الإبريز 239، 291، 310).

(أقوم المسالك 16، 146). Journal

وكان الطهطاوي قد شرحها: أوراق الوقائع (اليومية)

وحلت محلها كلمة صحيفة وكلمة جريدة

تربيونالات (أقوم المسالك 305) Tribunal

حلت منحلها محكمة.

موزيات (أقوم المسالك 68).

خزائن المستغربات (تخليص الإبريز 476).

حلت محلها كلمة متحف

الربوبليك (أقوم المسالك 124) République

حلت محلها كلمة جمهورية التي استخدمت عند الطهطاوي (تخليص الإبريز 356، 445)

فبريكات (أقوم المسالك 147، 316 Fabrique (Fr.) = It. Fabrica حلت محلها مصانع، جمع مصنع الترجمة المباشرة لمكونات المصطلح الأجنبي إلى العربية:

أكونومي بوليتيك أي الاقتصاد السياسي

(-أقوم المسالك 68) Economie Politique

رأس الرجاء الصالح (أقوم المسالك 61) Cape of Good Hope

ألبرت الكبير (أقوم المسالك 52) Ablertus Magnus

الممالك المتحدة بأمريكا United States of America (أقوم المسالك 64)، وذلك على عكس الطهطاوي الذي عرّبها عن الصيغة الفرنسية: الإيتازونيا (تخليص الإبريز 156، 157) عن الفرنسية Etats unis وكان الطهطاوي قد شرحها: الأقاليم المجتمعة.

البولتيقية (تخليص الإبريز 35، مناهج الأباب 233) = العلم بالسياسة وأحوال الناس (Itl) Politica. (Fr) Politique = السياسة (أقوم المسالك 15)

قوة تقنين القوانين (مناهج الألباب 232)

القوة التشريعية (أقوم المسالك 402)

كانت هناك مشكلة في ترجمة Les colonies نقلها الطهطاوي عندما ترجم الميثاق الدستوري الفرنسي: القبائل والنزلات الخارجة من فرنسا لتعمير بلاد أخرى وللاستيطان بها (تخليص الإبريز 468). ولكن خير الدين التونسي وضع لها: مستعمرات خارجية (أقوم المسالك 148)

تكونت بعض المصطلحات على أساس إعادة الترجمة من التركية إلى العربية . كان الطهطاوي كتب عن الرصيد السلطاني (تخليص الإبريز 476) أي المرصد، ولكن خير الدين عبر عن المؤسسة كلها:

محل رصد (أقوم المسالك 24) = رصدخانة في التركية

هناك اهتمام بشرح كلمات أساسية دخيلة:

الشرطة	(تخليص الإبريز 229) La Charte
أكدمة	(تخليص الإبريز 304) Academie
كرنتينة	(تخليص الإبريز 185) Quarantaine
إنسطيطوب	(تخليص الإبريز 303) Institut

ربوبليك République = الدولة الجمهورية (أقوم المسالك 142، 137)

بوزار Beaux Arts = الصناعات المستظرفة، صناعة الدهن والنقش وهندسة البناء والموسيقى (أقوم المسالك 55، 67)

الجزويت Jesuites = حزب يعرف باليسوعية (أقوم المسالك 56)

ميداليا (It) Medaglia, (Fr) Medaille = نيشان على شكل المسكوك (أقوم المسالك 68، 80)

صناعة الأرشتكتور Acehitecture = هندسة البناء (أقوم المسالك 25)

النوبليس Noblesse = كبراء الأمة (أقوم المسالك 364، 9)

دكتتور Dictator = مطلق التصرف (أقوم المسالك 87، 88)

وهذا الاسم القديم من عهد الرومان.

الموبيلية Mobilia = أثاث البيت (أقوم المسالك 136)

الجوري Jury = أمناء الحكم (أقوم المسالك 306)

كانت المؤسسات في الدولة الحديثة موضوع اهتمام رواد النهضة، وكانت منها كلمة قمرة في سياق النظم البرلمانية:

قمرة، قمرتان	(أقوم المسالك 30، 299)
قمرة خصوصة = مجلس النواب	(أقوم المسالك 321)
أهل القمرة	(أقوم المسالك 124)
قمرة النواب	(أقوم المسالك 301، 397)

قمرة المستشارين (أقوم المسالك 397)

نواب القمرة (أقوم المسالك 397)

هذه الكلمة تعريب للكلمة الإيطالية Camera وتقابلها في الفرنسية Chambre بمعنى غرفة أسماء الوحدات القياسية العالمية التي تكونت في أوربا استخدمها رواد التجديد:

كليومتر (أقوم المسالك 103)

دقمير (تخليص الإبريز 469)

دجمبر (أقوم المسالك 298)

فبراير (أقوم المسالك 299)

أغشت (أقوم المسالك 63، 299)

وهذا التعدد في بعض الأسماء مستمر حتى اليوم

كان النطق الفرنسي مصدر الافتراض لأسماء أعلام لا صلة لها بفرنسا:

أنيبال الأفريقي (أقوم المسالك 17)

شارلمان (أقوم المسالك 21)

أميرس (أقوم المسالك 53)

الاسم الأول في الفرنسية Hannibal عن اللاتينية عن الأصل الفينيقي حنان بعل

والاسم الثاني في الفرنسية Charlemange عن الألمانية Karl der Grosse

والاسم الثالث في الفرنسية Homére عن اليونانية Homeros

ثالثا: تدوين الأصوات الأجنبية بالحرف العربي:

تدوين الكلمات الدخيلة ومنها أسماء الأعلام يمثل بداية تكوين العرف العربي الجديد مع استمرار بعض التأثيرات من العرف القديم:

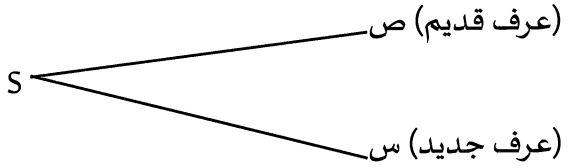

صان برنار	(أقوم المسالك 25) Saint Bernard
ستينوجرافي	(أقوم المسالك 65) Stenographie
بوسطة	(أقوم المسالك 61) Posta
فرنسا	(أقوم المسالك 68) France
السناتو	(أقوم المسالك 87) Senato
كومسيون	(أقوم المسالك 141) Commission

ج ـــــــــــــــــــــــ J

جرنال / جرنالات	(تخليص الإبريز 239، 291، 310) Journal
الجرنال، الجرنالات	(أقوم المسالك 146)
الجزويت	(أقوم المسالك 56) Jésuites

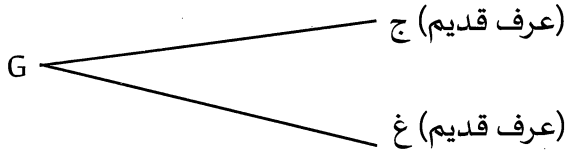

تيلغراف	(تخليص الإبريز 474) Telégraphe
تلغراف	(أقوم المسالك 146)

البرتعال (أقوم المسالك 436) Portugal

البرتوغال (تخليص الإبريز 154)

غليليو (أقوم المسالك 54) Fr. Galilée (It.) Galileo

علم الجغرافيا (تخليص الإبريز 392)

فوتغرافي (أقوم المسالك 15)Photographe

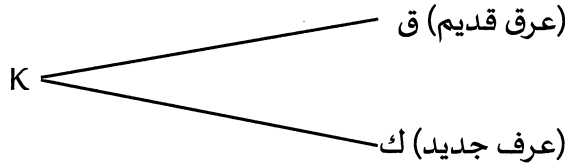

لمان العرف القديم بكتابة حرف القاف العربية، مثل: بوطيقا Poe-tica، ريطوريقا rhetorica، الطهطاوي كتب اسم القارة الكبيرة الجديدة: بالقاف: أمريقة America (تخليص الإبريز 146 - 198)، ولكنه كتب الاسم نفسه بالكاف أمريكة (تخليص الإبريز 155، 160، 161، 197)

دوق = (تخليص الإبريز 475)

فبريكا = (أقوم المسالك 316)

ماركو بولو = (أقوم المسالك 52)

موسقو (تخليص الإبريز 174، 370)

موسكو (أقوم المسالك 36)

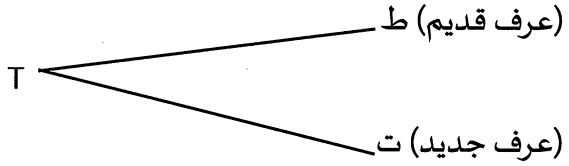

تياتر (تخليص الإبريز 471، 472) Théâtre

تياطرات (أقوم المسالك 54، 59)

نيوطن (أقوم المسالك 57) Newton

اللاطينية (تخليص الإبريز 215) Latin

اللاتيني (أقوم المسالك 51)

(عرف قديم) و

V

(عرف جديد) ف

بلوار (تخليص الإبريز 473) Boulevard

كونوال (تخليص الإبريز 472) Carnaval

فابور (أقوم المسالك 63، 64) Vapour

باواريا (أقوم المسالك 70، 115) Bavaria،

مع ملاحظة أن هذا هو الاسم الفرنسي، أما الاسم الأصلي لهذه المنطقة في الألمانية: Bayern

بعض الكلمات العالمة ذات الأصول اليونانية واللاتينية عند كتابتها بالحرف العربي تكتب منتهية بالتاء المربوطة في حالة الإضافة

علم الجغرافيا (تخليص الإبريز 392)

جغرافية ملطبرون (تخليص الإبريز 333)

ويبدو أن نهاية المسجوعة جعلت الطهطاوي يكتب عنوان أحد الكتب:

التعريبات الشافية لمريد الجغرافية (تخليص الإبريز 393).

الجغرافيا (أقوم المسالك 25)

ولكن الطهطاوي كتب كلمات من هذا النوع بالهاء وليس بالألف الممدودة أو التاء المربوطة (تخليص الإبريز 472):

أوبره Opera

بانورمه Panorama

ومن هذا يتضح أن الإفادة من الرافد الأجنبي في المصطلحات وألفاظ الحضارة كان من الأسس العامة، إلى أن يتم استخدام المقابل العربي. وهناك مشكلات، أهمها تتعدد صيغ تدوين الكلمة الدخيلة بالحروف العربية. ولا يرجع ذلك إلى تقابل في الاستخدام بين المشرق والمغرب، بل ترجع إلى استمرارعرف قديم وبداية عرف جديد في التدوين، وهوما استقر بعد ذلك. إن تدوين الكلمات الدخيلة كان مشكلة في بداية النهضة وتنوعت الحلول. بعض أسماء الدول والمدن مختلفة في النقل أو في التدوين:

بلاد افرنجستان (تخليص الإبريز 154)

بلاد الافرنج (أقوم المسالك 154)

سويسه.. عن الفرنسية La Suisse (تخليص الإبريز 154)

سويسرة.. عن الايطالية Svizzera (أقوم المسالك 41)

أسوج.. عن الاسم التركي (تخليص الإبريز 154)

السويد.. عن الفرنسية La Suède (أقوم المسالك 359)

والطريف أن اسم لندن لم يكن متداولا بهذه الصيغة، بل نقل عن الفرنسية Londrès:

لندرة (تخليص الإبريز 156، 160، 190))

لندرة (أقوم المسالك 435)

رابعا: خبرات وآفاق:

1 - اتضحت أهمية عمل دراسات عن الاستخدام اللغوي في مستويات العربية في بداية النهضة الحديثة. ومن المهم تعرف كل الخبرات ومنها

الخبرات المصطلحية المكتسبة في تاريخ العلم والحضارة الإسلامية. يضاف إلى ذلك أن في كل بلد عربي جهودًا وإضافات، ومن المهم تكاملها.

2 -من المهم تعرف ألفاظ الحضارة اعتمادًا على النصوص. إن اللغة العربية كونت عددًا كبيرًا من المصطلحات وألفاظ الحضارة. والمصطلحات لا تقتصر على ما ورد في المعاجم العامة والمتخصصة. جمع المصطلحات من الكتب أساس مهم لمعرفة إضافات المؤلفين. أهمية التدقيق في دلالة المصطلحات في إطار التخصص.

3 - الألفاظ الدخيلة الحديثة: الألفاظ الدخيلة جزء من التداخل الحضاري والعلمي. ومحاولات رواد التجديد تكاملت إلى حد بعيد. وفيها فروق فردية. وضبط الألفاظ الدخيلة مهم حرصا على قراءة مناسبة لها، وشرح الألفاظ الدخيلة من حيث الدلالات الاصطلاحية مهم لغويًا وثقافيًا وعلميًا. والكلمات الدخيلة كانت اقتراحات فردية، قُبل بعضها واستمر، ولكن بعضها اختفى أو قل باستخدام البديل العربي المناسب.

4 -اتضح أن مصادر المصطلحات وألفاظ الحضارة التي اعتمد عليها الطهطاوي وخير الدين متعددة، منها المصطلح التراثي العربي والمعرب، ومنها أيضًا المصطلحات المهنية المتداولة. تختلف الكتب من حيث الموضوعات والمجالات ومن حيث وجود المصطلحات العربية والمعربة والدخيلة أو من حيث وجود عدد كبير من المصطلحات المتداولة عند أصحاب المهن. ويبدو أن الطهطاوي كان في أثناء ترجمته لكتاب المعادن النافعة وما به من أسماء مواد كان ينظر أيضًا في كتب التراث العربي في الطب التي كانت تهتم بالمفردات الطبية أي المواد الطبية (المعادن النافعة18). المفردات كثيرة ومألوفة عند الحرفيين في مصر، مثل السلقون والاسبداج والزرنيخ

والتوتيا (ص23) والقيشاني (ص3)، وكذلك للدلالة على العاملين في الحرف: السباكين والنحاسين والحدادين والنقاشين والمذهبين (ص2)، كما نجد كلمات معروفة عند أهل الريف والعاملين بالزراعة: مثل شواشي عروق النباتات (ص8). وهذه رؤية علمية مهمة في تلك المرحلة بالاعتماد على هذا النوع من الكلمات في بعض المجالات.

5 -أهمية تنمية المعجم العربي بالجديد بالمصطلحات الأساسية وألفاظ الحضارة من الأفكار المبكرة. نجد في السابقة الطويلة جدًا التي كتبها الطهطاوي وأضافها إلى ترجمته لقائد المفاهر عددًا كبيرًا من الكلمات التي لا توجد في المعاجم العربية. هذه الكلمات الغريبة هي في الأغلب أعجمية ولم ترتب إلى الآن في كتب اللغة العربية. وأهم ما ورد في هذه الفكرة وفي تطبيقها ما يأتي:

أ-الكلمات الجديدة تتضمن أسماء بلدان أو أشخاص أو أشياء.

ب-التعريب يكون بأسهل ما يمكن النطق على وجه التقريب.

ج-يمكن أن تصير هذه الألفاظ دخيلة في لغتنا كغيرها من الألفاظ المعربة من الفارسية واليونانية.

د- لو صنع المترجمون نظير ذلك في كل كتاب تُرجم لانتهى الأمر بترتيبها فيقاموس.

هـ- هذه الألفاظ المستحدثة تكون دالة على مفاهيم لا يوجد لها مرادف أو مقابل في لغة العرب أو الترك.

و-هدف مثل هذا العمل التسهيل على الطلاب لفهم كل تخصص وكل كتاب.

ز-ضبط الكلمات الدخيلة مهم، وقد ضبطها الطهطاوي في هده السابقة بالكلمات لبيان الحركات والسكون.

ح-هناك كلمات دخيلة تكتب بالحرف العربي بعد صيغ، ومن المهم مراعاة ذلك. وهذه الكلمات الدخيلة تستخدم إذا لم تكن الكلمة العربية المناسبة متاحة (المعادن النافعة 3).

6 -من الأفكار المبكرة نسبيًا في موضوع المصطلحات وصناعة المعجم فكرة ترجمة معجم أوربي كبير إلى اللغة العربية وما به من مصطلحات علمية وألفاظ حضارية. نجد على هامش الصفحة الثالثة من الترجمة العربية لكتاب المعادن النافعة اقتراحا بترجمة قاموس وتحديدًا أن يكون هذا العمل: « قاموس أكدمية «. والمقصود ذلك المعجم الذي ارتبط عمله بجهود أكاديمية اللغة الفرنسية، وصدر في طبعاته المتعددة باسم: Dictionnaire de l'Academie1 وحققت طبعته السادسة المعدلة سنة 1835م نجاحا كبيرا. وعلق الطهطاوي على متطلبات تنفيذ ذلك، بأن يتفرغ المترجم لذلك تفرغًا تامًا في مكتبة وأن يكون معه مساعد فرنساوي. وهذا عمل عشرة أشخاص «حتى يكون العمل مستوفيًا ومستوعبًا للألفاظ الاصطلاحية «. وهذا اقتراح مبكر ومهم من عدة جوانب. أهمها اختيار المصطلحات. وكان مجمع اللغة العربية في سنوات الأولى واعيًا بهذه المشكلة. أما التعاون العربي الأوربي فتحقق بشكل نادر في الأعمال المعجمية، منها مشاركة كاتب هذا البحث (1962-1969) في عمل ألماني عربي كبير.

7 -دراسة نصوص الكتب التي ترجمها الطهطاوي من الفرنسية إلى العربية على نحو تقابلي بين الأصول الفرنسية والترجمات العربية مجال

1- Matoré. Histoire des dictionaires franc. Paris 1968.

مهم للدراسة المفصلة. لا يكفي أن ينظر الباحث في الترجمة العربية ويفهمها في ضوء القرن الحادي والعشرين، في حين أن المعنى يكون واضحًا بالنظر في الأصل الفرنسي المترجم، وما أكثر الكلمات التي تغيرت دلالاتها أو بادت أو تغير نظام كتابتها. هذا الموضوع جدير بمشروع علمي كبير لا يقتصر على كتب الطهطاوي وخير الدين، بل يتضمن أيضًا مئات الكتب التي ترجمت في تخصصات أخر من اللغات الأوربية إلى العربية.

8 - تدوين أسماء الأعلام الأجنبية: هناك تقاليد عربية في نقل أصوات موجودة في اللغات الأجنبية بالحرف العربي. وهناك قديم ونظام جديد إلى جانب فروق أخرى. وتتطلب التقنيات الحديثة تقنين هذا التدوين، ومن المهم وجود صيغة تدوين موحدة للأسماء الأجنبية عند كتابتها بالحروف العربية. وينبغي دعم المشروعات الدولية والعربية لعمل مراجع وأدلة عن تدوين أسماء الأماكن بصيغة مقننة واضحة ومعترف بها.

9 - من المهم دراسة المصطلحات في ضوء الترجمات، هناك أعمال كبيرة ترجمت في العصر الحديث إلى اللغة العربية، منها قوانين وكتب علمية، ومن المهم تعرف خبراتها. أما كتب الرحالة والكتب الثقافية المترجمة فتضم مصطلحات وألفاظا حضارية كثيرة، ومن المهم بحثا مع مراعاة مستوى استخدام المصطلح (للعلماء، للمستهلكين...الخ) عند تسجيل المصطلحات.

10 - المصطلحات وألفاظ الحضارة جزء من المعجم التاريخي. إن المصطلحات وألفاظ الحضارة كثيرة في كتب معربة وعربية، وتعد مكونات مهمة في تاريخ اللغة العربية. ألفاظ الحضارة مستخدمة في كتب التاريخ والأدب والرحالة. والمعجم التاريخي لا يقتصر على الألفاظ والدلالات

الواردة في الأعمال الأدبية. وفي هذا السياق من المهم متابعة المصطلحات وألفاظ الحضارة في الترجمات المعاصرة، الترجمات المعاصرة تتم على قلتها في عدة دول عربية وهناك عدد كبير من الاجتهادات الفردية بعضها بسبب عدم معرفة المترجم بجهود غيره. ودعم حركة الترجمة المعاصرة يتطلب معاونة المترجمين بإتاحة مصطلحات مقترحة. ويمكن تشجيع المترجمين على أن يقدموا قوائم مصطلحية ثنائية اللغة مع الكتب المترجمة.

***

وبعد، فإن متطلبات التعاون العربي أو العربي الأوربي في مجال المصطلحات وألفاظ تتضمن ما يأتي:

أ- ربط جهود المترجمين والمؤلفين بالمجامع والمؤسسات في الدول العربية بهدف جمع المصطلحات وبحثها وتقديمها.

ب- تشجيع عمل الكشافات المعجمية المزدوجة اللغة في الكتب لمترجمة والكتب الجامعية في المواد المختلفة.

ج- إنشاء بنك مصطلحات بهدف تسجيل المصطلحات المورثة والحديثة على أساس تصنيف موضوعي.

د- إتاحة المصطلحات المصنفة للمترجمين والمحررين والمترجمين في الدول العربية.

هـ- تنظر المجامع اللغوية في المصطلحات المتاحة طبقًا لخطة عمل وعلى أسس مصطلحية.

اللغة العربية في وسائل الاتصال الإلكتروني

د. عبد العزيز بن عثمان التويجري
مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية
والعلوم والثقافة - إيسيسكو -
-المملكة العربية السعودية-

إذا كانت اللغة كائنًا حيًّا، تخضع للعوامل المؤثرة سلبًا وإيجابًا، ضعفًا وقوةً، صعودًا وهبوطًا، التي تخضع لها الكائنات الحية، فإنه يسري على اللغة ما يسري على كل كائن حيّ من قوانين الطبيعة التي هي سنة الله في خلقه. فاللغة، كما قال ابن جني في (باب القول في اللغة وما هي) من كتابه (الخصائص)، (أما حددها فإنها أصوات يعبر بها كلُّ قوم عن أغراضهم)[1]، وهو تعبير واقعي دقيق وتوصيف موضوعي عميق، لأنها (منظومة مؤلفة من أصوات منطوقة ومكتوبة، مترابطة وفقًا لقواعد بناية في سبيل تحقيق الاتصال الفكري والعاطفي بين الناطقين بها)[2] . وفي هذا السياق يقول الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (دلالة الألفاظ): « الألفاظ لا تعدو في حقيقتها أن تكون بمثابة الرموز على الدلالات، كل لفظ للتعبير عن أي معنى من المعاني، فما يسمى بالشجرة يمكن أن يسمى بأي لفظ آخر متى

1- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، المكتبة العلمية، القاهرة، 1952م.
2- الدكتور فتحي إبراهيم خضر، في حوار معه نشر يوم 25 نوفمبر 2014م، في (منتدى مجمع اللغة العربية بفلسطين) على الشبكة العالمية

اصطلح الناس عليه، وتواضعوا على استعماله»[1] وفي ذلك تقاربُ بين مقولة العالم اللغوي القديم وبين ما ذهب إليه العالم اللغوي المعاصر.

فاللغة إذن، كما هي نتاج بيئتها، فأهلها هم الذين يصنعون ألفاظها، فهي بذلك تتطور كما هي تتدهور، وتعلو في درجات القوة، كما هي تهبط إلى درجات الضعف، تبعًا لمستويات النهوض والتعافي والتقدم، أو النكوص والتأخر التي يعيشها أهل اللغة، أو يكون عليها الناطقون بها، وإنْ لم يكونوا من أهلها.

فلا تنفصل اللغة عن حضانتها الاجتماعية وبيئتها الفكرية ومحيطها العام الذي تنتشر فيه. ولا تشذّ عن هذه القاعد لغة من اللغات؛ لأن الرقيّ في الحياة لا يتجزأ، فلا تبلغ اللغة درجة الرقيّ إلا إذا نمت وترعرعت في مجتمعات راقية بلغت مستوى عاليًا من التمدن والحضارة. ولا تنحدر اللغة وتضعف بنيتها ويبهت نسيجُها، إلا إذا سرى الضعف في كيان المجتمع، وانطفأت شعلة الإبداع في مجالات العلوم والمعارف والفنون والآداب، وفي ميادين الصناعة والزراعة والتجارة. فالقوة التي تكتسبها اللغة تأتي من قوة المجتمع، وضعفُها ينبع من ضعفه. فالمجتمع هو الذي يعلو باللغة أو ينحدر بها. فلا تتجدد اللغة وتتطور بعوامل ذاتية فقط، ولكنها تتجدّد وتعلو أيضًا عندما يتطور المجتمع ويتقدم في ميادين الحياة كافة.

وإذا كانت اللغة العربية قد عرفت في عصور متعاقبة، أطوارًا من التجديد وَاكَبَت بها المتغيّرات التي عرفتها البيئات العربية في المشرق

1- د. إبراهيم أنيس، (دلالة الألفاظ)، نقلا عن د. عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية 1986

والمغرب، حتى في المراحل الصعبة التي مرَّت بها الأمة العربية الإسلامية، فإن ما وصلت إليه من امتلاكٍ لشروط القوة الذاتية والتميز والغنى في التراكيب والمفردات في عصرنا الحاضر، لا يجد له داعمًا وراعيًا في عدد من الدول العربية، يمكّن له في مجالات الحياة المختلفة بحيث تصبح اللغة العربية لغة السياسة والإدارة والعلم والاقتصاد والتعليم في مراحله ومجالاته كافة.

ولما كانت حياة اللغة وحافظها الذاتي على مقوّمات البقاء، يعكسان صحة كيانها وسلامة بنيانها وصلابة مناعتها، فبهذه المقومات تغلبت لغة الضاد على المؤثرات السلبية وعوامل التهميش والاختراق والغزو، واجتازت الموانع التي كانت تعترض سبيلها نحو الذيوع والانتشار، حتى وجدنا اللغة العربية في هذا العصر، تعرف توسعًا لا ينتهي عند حد، يصل إلى أصقاع الأرض جميعًا بدون حدود. لدرجة أن اللغة العربية لم تعرف انتشارًا في العالم وامتدادًا في الأرض كما تعرفهما في عصرنا هذا. وهذا الانتشار الذي تحققه اللغة العربية، سببه الأول كونها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتراث الفكري الإسلامي الضخم. ولهذا يقبل المسلمون في جميع أنحاء العالم على تعلمها كلّ حسب قدرته وفي ضوء الظروف المتاحة له، رغم ضعف أهل اللغة أنفسهم وذهاب ريحهم.

فبينما تنتشر اللغة العربية في أقطار الأرض، وتُعتمد لغةً عالميةً، وتصدر اليونسكو قرارها بتحديد اليوم الثامن عشر من شهر ديسمبر كل سنة، يومًا عالميًا للغة العربية، تعيش أمتنا العربية مراحل حرجة، وتواجه تحديات عنيفة من كل صوب، وتشهد صراعاتٍ محتدمة، وأزماتٍ تكاد أن تكون مزمنة، وتعاني أشدّ المعاناة، من قلاقل وفتن ومشكلات تضعف

من قدراتها وتنهك قواها. فيتراجع من جراء ذلك كله، دورها في ميادين السياسة الدولية.

وعلى تعدّد المجالات الحيوية التي يتعزز فيها الحضورُ المؤثر والفاعل للغة العربية في هذا العصر، فإن المجال الإعلامي على تنوع فضاءاته، يشهد تدفقًا واسعًا وامتدادًا متصاعدًا للغة الضاد. ولما كانت تقانات الإعلام تعرف تطورًا مطردًا، جعل الإعلام الالكتروني يَتَجَاوَزُ الإعلام التقليدي بمسافات شديدة البعد، بحيث يمكن القول، حسب ما تكشفه الدراسات المتخصصة للخبراء الإعلاميين من حقائق مذهلة، إن مجال الإعلام الإلكتروني أصبح أكثر اتساعًا وأعمق توفقًا وأجمل رشاقةً، بسبب ما أصبح بين أيدينا من وسائل التبليغ والعرض، وبصفة عامة تقديم خدمات متنوعة، وفي الوقت نفسه، مخاطبة جماهير متعددة بلغات متعددة، كل جمهور يتلقى الرسالة بلغته، مع القدرة على إغناء تلك الخدمات بمعطيات وشروح مستمدة من أمهات المصادر الغنية، والمحمَّلة بأهم ما أنتجته المعرفة الإنسانية على مر العصور، من خلال معلومات مرقمة[1].

لقد جعلت الطفرة الإعلامية الهائلة في وسائل الاتصال الالكتروني من العالم قرية صغيرة، بحيث تبدَّل الافتراضُ إلى الحقيقة من وجوه كثيرة، وأصبحت الأبواب مفتوحة أمام مَن يريد التزوّد بالمعرفة في شتى الحقول وبدون استثناء، فصارت المعرفة متاحةً للجميع وبين يدي من يدخل إلى الفضاء الافتراضي. وهذا تطور عظيم القيمة، له بالغ التأثير في الحياة الإنسانية، ولربما سيكون له انعكاسات أقوى وأشدّ تأثيرا في المستقبل القريب على البشرية.

1- محمد العربي المساري، إعلام بديل أم صيغة جديدة للإعلام؟ مداخلة له في الدورة الثالثة عشر لـ (مؤتمر فكر)، الصخيرات، المملكة المغربية، ديسمبر 2014م

وفي هذا المجال أصبح للغة العربية حضور ملحوظ في الفضاء الافتراضي. ولكن إن كان له امتدادٌ من حيث الكم، فهو ليس له الامتداد نفسُه من حيث الكيف. فالارتفاع في عدد الزائرين للمواقع العربية على الشبكة العالمية، وفي كثرة هذه المواقع وتنوع اتجاهاتها وأهدافها ومستوياتها، وفي حجم المكتنزات الثقافية والفكرية والأدبية والعلمية والتراثية من المراجع المخزنة في الفضاء الافتراضي القابلة للتحميل، أي متاحة لمن يشاء وفي متناوله للنقل والتخزين والتسجيل والاسترجاع. كل ذلك لا يدل على أن لغة الضاد التي يمتلئ بها هذا الفضاء اللامحدود، هي في حال من القوة والمتانة والصحة. فالعربية معروضةٌ في الفضاء بقدر محدود، في واقع الأمر، بالمقارنة مع الوضع الذي عليه لغات أخرى، خصوصًا اللغات الثلاث الرئيسية التي تتصدَّر قائمة اللغات الرائجة في وسائل الاتصال الإلكتروني، وهي الإنجليزية، والصينية، والإسبانية.

ولا يمكن أن ننكر المستوى غير اللائق باللغة العربية الذي تتبوأه في العالم الواقعي وفي الفضاء الافتراضي. ولا بد من أن يكون في هذا الاعتراف ما يحفزنا لبذل الجهد وإفراغ الوسع للارتقاء بالمستوى العام للغة الضاد من جميع الوجوه.

وبالنظر إلى ترتيب اللغات في العالم على شبكة الانترنت، نجد أن اللغة الانجليزية تحتل المرتبة الأولى على الصعيد العالمي. وفي ذلك دليل على أهمية هذه اللغة التي أصبحت تفرض نفسها بشكل كبير في ميادين عدة. إلاَّ أن ما يثير الانتباه ويتوجب الوقوف عنده، هو موقع اللغة العربية التي احتلت الرتبة الرابعة من بين اللغات المستخدمة على شبكة الانترنت، كما يبينه الرسم البياني التالي:

وحرصًا على مزيد من التوضيح، نشير إلى أن الإحصاءات العامة في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا (اللذين يتشكل منهما العالم العربي)، تؤكد على ما يلي:

- يجري يوميًا أكثر من 100 مليون بحث باللغة العربية على محرك جوجل (النسخة العربية) مقابل 4 مليارات بحث في جميع أنحاء العالم بمختلف اللغات.

- يتم إنشاء أكثر من 36.000 حساب جديد « للفيسبوك» كل يوم.

- يتم عرض أكثر من 100 مليون مقطع فيديو على يوتيوب كل يوم.

- يتم 13 ٪ من عمليات البحث باللغة العربية من خلال الأجهزة النقالة، مع توقعات تشير إلى أن هذه النسبة قد تصل إلى 30 ٪ في عام 2017

- يقوم 45.9 مليون من مستخدمي الانترنت في الدول العربية بأبحاث على محرك البحث جوجل باللغة العربية، إضافة إلى 9 ملايين من خارج منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، والتي هي غالبًا من الجاليات العربية[1]

ويمكن القول إجمالاً وفي ظل هذه البيانات، إن بناء المحتوى الرقمي العربي بات ضرورة ملحة وأهمية قصوى من أجل مجاراة لغات العالم وتعزيز مفهوم المنافسة الثقافية والمرجعيات الفكرية واللسانية، انطلاقًا من عالم الانترنت. مما يدفعنا إلى طرح سؤال حول الأساس الذي يقوم عليه المحتوى العربي الرقمي. وحول مدى حضور اللغة العربية على شبكة الأنترنت.

1 - من تقرير حول (حضور اللغة العربية على شبكة الأنترنت)، من إنجاز ياسر فهمي صلاح مدير عام شركة (خبراء الرباط، 2014م، - المملكة المغربية.B2P EXPERT تطوير خطط الأعمال)،

وليس من شك في أن التفوق العددي للغة العربية قد يدفع إلى مزيد من الاستثمار في المحتوى العربي على الشبكة العالمية، خاصة من قبل الشركات العالمية مثل جوجل، ياهو، ومايكروسوفت، والتي بدأت بالاهتمام بالسوق العربية منذ سنوات قليلة[1]

وهذا موضوع يندرج في اقتصاديات المعرفة سيخرج بنا عن موضوعنا إذا ما استفضنا في الحديث عنه.

ولكن لابد من القول إن المحتوى العربي على الشبكة العالمية، لا يرقى إلى مستوى التفاعل المؤثر الذي يتوقع في مثل هذه الحالة، لأنه بعبارة جامعة، محتوى يقوم على العرض فقط دون الأخذ والعطاء، ولا يقدم خدمات مفتوحة لرواد الفضاء الافتراضي، على غرار ما هو عليه الوضع بالنسبة للغات الأخرى.

إن وعاء المعرفة هو اللغة التي أصبحنا نسقيها في حياتنا اليومية من مختلف الوسائل، وأهمها شبكة الإنترنت. وكل معلومة تتشكل بلغة ما في قالب رقمي مثل الحواسيب والهواتف الذكية، يطلق عليها الخبراء اسم (المحتوى الرقمي)، فمحتوى اللغة العربية الموجود على الإنترنت يمثل مجموع المعلومات المتوفرة على الشبكة العالمية بشكل رقمي في شتى مجالات المعرفة والحياة. ولذلك فإن أهمية المحتوى في أي لغة يعود بفوائد جمة على أهلها، كالفوائد الاقتصادية من المحتوى المتعلق بالتجارة الإلكترونية، وفوائد ثقافية من وجود محتوى ثقافي وتراثي، وفوائد إدارية وخدماتية من محتوى الإلكترونية.وهكذا دواليك[2]

1- www.blafrancia.comموقع بلا فرنسية

2- الرباطB2P EXPERT

وحساب المحتوى على الانترنت يعرف بعدد الصفحات، كما أن إغناء المحتوى الرقمي لا يتم إلا بالإبداع والتجديد والابتكار، الذي يليه في الأهمية تزايد عدد زيارات الأشخاص لتلك الشبكات.

وينتشر المحتوى العربي الرقمي على الانترنت مثل جميع اللغات، وفق مجالات مختلفة، نذكر منها التي وجب تكثيف الجهود للزيادة في التعامل معها وزيادة المحتوى العربي فيها:

- التراث: كتب التراث العربي الإسلام.--
- النشر: الكتب، المجلات، الدوريات العلمية. --
- الإعلام: الإذاعات، التلفزيونات، الفضائيات. -
-العلم والتكنولوجيا: الجامعات، مراكز البحوث، الجامعات الافتراضية.--
- المكتبات: نص، صوت، صور، فيلم، كتب إلكترونية.--
- الثقافة: متاحف، بوابات الثقافة، فكروموسيقى وأدب ورسم.-
- الأعمال: مواقع الشركات، دليل الشركات، دليل المصدرين، دليل المصنع، دليل البنوك.
- الحكومة الإلكترونية: البوابة الحكومية، مواقع الوزارات والمؤسسات العامة.
- الصحة: العيادات، المستشفيات، التطبيب عن بعد.
- منشورات المنظمات: غير الحكومية، الإقليمية، الدولية.
- السياحة: المواقع السياحية والتاريخية والطبيعية، المطاعم والفنادق والنقل.

- التسلية، ألعاب أطفال، أفلام كرتونية.

- ولتنشيط زيادة هذه المحتويات العربية الكثيرة، يتطلب الأمر مبادرات فعالة تستهدف كل مجال على حدة من هذه المجالات المذكورة.

ويمر المحتوى العربي بعدد من العمليات، بدءًا من توليده، ووصولاً إلى استثماره، ونوجز هذه العمليات كما يراها الخبراء المتخصصون، كما يلي:

- عملية توليد المحتوى الجديد: تنطلق بدايةً من الرغبة والإرادة ثم من مجموع ما ينتجه أهل اللغة على المستوى الفكري والثقافي والإبداعي والعلمي والتكنولوجي وَفق ما يتطلبه الأمر من تمويل للبحث العلمي وحرية الفكر والتعبير.

- عملية تحويل المحتوى المتوفر، حديثًا أو قديمًا، إلى شكل رقمي: هي جمع المعارف من كتب ووثائق وفنون وآثار ومعلومات، وتحويلها إلى شكل رقمي وتخزينها في حاسوب أو أقراص مدمجة، ثم وضعها ومقاسمتها على الانترنت، لأجل أن تعزز من حضور اللغة العربية في العالم الافتراضي.

- عملية تخزين المحتوى وتبويبه ومعالجته: وتساعد هذه العملية في تسهيل الوصول إلى المعلومة عن طريق برمجات منظمة يتم على إثرها تبويبُ المعلومات حتى تتوفر بسهولة إذا ما تم استعمال كلمة المفتاح أو السر (وثيقة، كتاب، بحث...الخ) .

- عملية عرض المحتوى أو طباعته: وهي عملية تتعلق بعرض أشكال الحروف العربية وإظهارها بمقاييس مناسبة ونسخها وطباعتها عبر شبكة الانترنت، سواء في الحاسوب، أو الهواتف الذكية، أو في أية تقنية تكنولوجية حديثة.

- عملية نشر المحتوى العربي: أهم ما في هذه المرحلة هو توزيع المحتوى العربي الرقمي على كل المجالات المذكورة[1]

فتلك مؤشرات، أو علامات تبيّن المستوى الذي وصلت إليه اللغة العربية في الفضاء الافتراضي، وتوضح المجالات التي تثبت فيه حضورها، وتعرض بعض المقترحات التي يرى الخبراء في هذا المجال، أنها مفيدة، ولها صلة بتعزيز الحضور القوي للغة العربية في الفضاء الافتراضي، مما يؤدي إلى تطوير اللغة العربية والنهوض بها. وحتى لا تبقى اللغة العربية لغةً معروضةً، ساكنة غير متحركة، وليست فاعلةً ومتفاعلة مع متغيرات العصر، كما هو الشأن بالنسبة للغات الحية الست الآنفة الذكر، التي هي متحركة، ومتفاعلة، وتقدم نفسها لمن يبحث بها بسهولة ويسر. وهذا الجانب هو الذي يعكس الأحوال التي يعيش فيها أهل اللغة العربية. فالعبرة ليست في الوفرة، ولكنها في الجودة. فإذا قمنا بجولة في وسائل الاتصال الإلكتروني لقياس المحتوى العربي، سنفاجأ بظواهر تثير الاستغراب، وهي جديرة بأن تدرس لتحليلها وللوقوف على أسبابها. ولعل أول ما نكتشفه، هو أن اللغة العربية في وسائل الاتصال الإلكتروني، ليست على مستويات واحدة، وأن الضعف (تختلط فيها الركاكة مع الهشاشة أحيانًا) هو الغالب عليها، وأنها ليست بلغة متحركة ومتفاعلة وقابلة للتكيف مع المستويات اللغوية المزاحمة لها في الفضاء الافتراضي، والمتفوقة عليها بدرجات متناهية. وهذا انعكاسٌ للوضع الذي عليه اللغة العربية في الفضاء الواقعي.

إنّ حركية اللغة، أي لغة، في الفضاء الافتراضي، تتمثل في قدرتها على الأخذ والعطاء، بما أن يكون حضورها أخذًا وعطاء، تأثيراً وتأثيرًا، انفعالاً وتفاعلاً. وهذا لا يتوافر إلا للغة الحية المتجددة المسايرة للتطور والفاعلة

1- المصدر السابق

والمؤثرة في الواقع المعيش، التي تمتلك القدرات العالية للتأثير في الحياة على جميع المستويات، وفي إبداع المعرفة، وفي توظيف العلوم والابتكار في إنتاج التكنولوجيا. وهو الأمر الذي يؤكد من وجوه عديدة، ارتباط اللغة بالتنمية الشاملة المستدامة ويعزز مفهوم التنمية اللغوية الذي نقول به، ويثبت بشكل قاطع، العلاقة الوطيدة بين اللغة وبين التقدم المطرد في المجالات كافة وفي الأحوال كلها بدون استثناء، في العالم الواقعي وفي الفضاء الافتراضي، مما يُكسب هذه القاعدةَ الرسوخَ والثبات والاطراد.

وحضور اللغة العربية في الشبكة العالمية، على تفاوتٍ في مستويات هذا الحضور ومدى كونه إبداعًا وتميزًا، يثبت لنا أن هذه اللغة قادرة على مواجهة التحديات، وإثبات الذات في مختلف الواجهات، مُتجاوزةً بهذه الخاصية الفريدة التي لا أتردد في أن أسميها (خاصية الصمود الذاتي)، الواقعَ الذي يعيشه أهلها، والذي هو ليس في المستوى اللائق بالحضارة العربية الإسلامية وبعطاءاتها التي أغنت بها الحضارات الإنسانية المتعاقبة. فهذا الانتشار العربي الواسع في الفضاء الافتراضي، لا يصبُّ دائمًا، وبالقدر الكافي والمطلوب، في اتجاه إغناء اللغة العربية وتطويرها والنهوض بها على النحو الذي يُكسبها المزيد من القوة والمناعة والقدرة على العطاء. وذلك لأسباب كثيرة، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: ضعف مستوى اللغة العربية الرائجة في الفضاء الافتراضي، سواء على الشبكة العالمية، أو على وسائل التواصل الاجتماعي، الذي هو انعكاس للضعف الذي يسري في كيان المجتمعات العربية في الفضاء الواقعي.

ثانيًا: ضمور الإبداع في أغلب ما يبث باللغة العربية المستخدمة في الفضاء الافتراضي، لقصورٍ في القدرات التي تَتَوَافَرُ لدى المتعاملين مع الشبكة العالمية ووسائل التواصل الاجتماعي، على التطور ومسايرة المتغيّرات في عالم الفكر والثقافة والآداب والفنون، وناهيك عن ملاحقة التطوّرات في حقول العلوم والتكنولوجيا والابتكار.

ثالثًا: التعارض بين الواقع وبين الافتراض على مستوى اعتماد اللغة العربية لغةً للتواصل، بسببٍ من التباعد بين اللغة السائدة في الحياة العامة، وبين اللغة التي تستخدم في وسائل الاتصال الإلكتروني. مما ينعكس سلبًا على قدرة اللغة على التجدّد الذاتي الذي يرتقي بها.

رابعًا: اكتساح اللغات الأجنبية القوية على الشبكة العالمية للغات الأقل تأثيرًا والأضعف حضوراً، ومنها اللغة العربية، مما يحدّ من إمكانات النموّ اللغوي، أو التوليد اللغوي، تحت تأثير الهيمنة اللغوية الغالبة والكاسحة.

خامسًا: قلّة الاهتمام الذي تُوليه المؤسسات المعنية باللغة العربية (المجامع العربية، كليات الآداب، كليات اللغة العربية، مراكز البحوث الثقافية والأدبية جمعيات حماية اللغة العربية...الخ) للنهوض باللغة العربية في الفضاء الافتراضي بالقدر الذي يحقق الهدف انتشارها فضائيًا وواقعيًا.

وعلى الرغم من أن الوضع الذي توجد فيه اللغة العربية حاليًا هو كما أوضحنا، فإن هذه اللغة تملك إمكانات كثيرة لمزيد من التوسع والانتشار في وسائل الاتصال الإلكتروني، إذا ما توفرت الإرادة المصممة على تطوير اللغة العربية والنهوض بها. نوجز بعضًا منها فيما يلي:

- اللغة العربية رابع اللغات الأكثر استعمالاً في العالم.
- معدل الولوج إلى الانترنت والهاتف المحمول عالٍ جدًا.
- حضور جيد لمستخدمي الانترنت على شبكات التواصل الاجتماعي.
- ثلث سكان العالم العربي هم من المستخدمين النشيطين لوسائل الاتصال الإلكتروني.
- وجود محتوى جيّد وغنيّ وقابل لإغناء المعارف الإنسانية بلغة عربية سليمة[1]

ولكن اللغة العربية في وسائل الاتصال الإلكتروني، وعلى الرغم من كل السلبيات التي سبق الإشارة المختصرة إلى بعضها، فإنها تقدم الخدمات الثقافية، بالمفهوم الشامل والعميق للثقافة، والمعلومات عن الخدمات المؤسساتية، للجمهور الواسع من المتعاملين مع الفضاء الافتراضي، من العرب أهل اللغة، ومن الناطقين بغير العربية الذين يعرفونها ويملكون القدرات المعرفية للاستفادة بها. ولعل التطور الذي تعيشه المجتمعات العربية على عديد من المستويات، وحالة النهوض التي تعرفها اللغة العربية، سيدفعان في اتجاهٍ يتَجَاوَزُ تلك السلبيات مع مرور الزمن، لتستكمل لغة الضاد شروط القوة والمتانة والقدرة على التأثير والمزاحمة في مضمار التنافس غلى التفوق والتميّز والإبداع في الفضاء الافتراضي.

---

1 -اعتمدنا في إيراد هذه البيانات والمعلومات على المواقع التالية:

*http://www.go-gulf.ae/

*http://www.stateofdigital.com/

*http://www.stateofdigital.com/

*http://wearesocial.net/

فقد اختار الباحث المصري الدكتور نبيل عليّ مصطلح (الخائلي: VIR-TUAL) الذي يعني كل ما يحاكى الواقع أو يناظره إلى درجة يخيل لنا معها أنه واقع. ويعني به أيضًا، ما يتجاوز هذا الواقع، لكنه وعلى الرغم من تجاوزه، يؤخذ مأخذ الواقعي، ويُتعامل معه على أنه في حكم الفعل القائم. ويقول الباحث في كتابه(الثقافة العربية وعصر المعلومات): ((تعددت المصطلحات العربية المقابلة للمصطلح الإنجليزي VIRTUAL REALITY ، من الواقع الافتراضي إلى العالم الوهمي والواقع الخيالي، وكلها مصطلحاتٍ لا تعبر عن المفهوم المحوري، علاوةً على كونها جميعًا مصطلحاتٍ مركبةً صصعب الاشتقاق منها. ولذلك اخترت اسم الفاعل (خائل) كمقابل --VIR TUAL – مما يسمح باشتقاق: خائلية، خائلي، يُخيئل، مخيئل،خيألة، وخائليات. وكل ذلك مشتق من فعل (خال) المتعدي (في مثال خال السراب ماء)[1] . ولعل الباحث المصري نبيل عليّ، باجتهاده في نحث هذا المصطلح الذي انفرد به فيما يظهر، يثبت القابلية المرنة والقدرات الذاتية التي تتوفر للغة العربية، للارتقاء إلى مستويات أفضل في العالم الواقعي، وفي الفضاء الافتراضي، أو الفضاء (الخائلي) حسب تعبيره. وبذلك يتاح تحويل الخيال المغرق في الافتراض إلى الواقع المعيش. كما يمكن تطويع الواقع وفق إرادة البشر وبما يحقق مصالحهم ويفي بحاجاتهم، وتطويره والارتقاء به على جناح الخيال ذي القوة النافذة والمؤثرة، على قاعدة أن الأعمال الكبيرة والتحولات العميقة تنطلق من الفكرة التي تبدأ خيالاً يراود عقول المبدعين، وربما من خاطرة تهيمن على أدمغة المبتكرين المخترعين صناع التقدم.

1- د. نبيل عليّ، الثقافة العربية وعصر المعلومات، سلسلة كتاب (عالم المعرفة)، العدد 276، ديسمبر 2001م، الكويت.

ومما لاشك فيه أن النهوض باللغة العربية الذي يراد منه تحقيقُ النهضة اللغوية، واقعيًا وخائليًا، مرهونٌ بالتغيير في الأفكار، والمبادرات، والسياسات، والاستراتيجيات، ومناهج العمل، ووسائل التنفيذ للوصول إلى النهضة الحضارية الشاملة المستدامة. ويشمل هذا التغيير اللغة في المقام الأول.

إن الاهتمام باللغة العربية على جميع المستويات والانخراط بها في عصر المعلومات، وتعزيز مكانتها في حياة المجتمع، أساسٌ لترسيخ الهوية والارتباط بالإرث الثقافي والحضاري، وهذا لا يمنع بتاتًا تعلم اللغات الأجنبية وإتقانها والاستفادة منها في تقوية العلوم والمعارف والانفتاح على العالم.

فالعناية باللغة العربية، وتطوير إمكاناتها، وتشريع القوانين الحامية لها، لهي السبيل إلى النهوض بها في هذه المرحلة الصعبة التي تهدّد كيان الأمة الإسلامية. وكما قلت في المؤتمر الوطني للغة العربية، الذي عقد دوريته الأولى والثانية في الرباط عاصمة المملكة المغربية، في السنتين 2013و2014 م، فإن الحفاظ على اللغة العربية واجبٌ ومسؤولية ورسالة وضرورةٌ تحتّمها طبيعة المواجهة مع التحديات المختلفة التي تستهدف الهوية الوطنية من الأساس، كما تفرضها متطلبات دعم التنمية الشاملة المستدامة التي من شروطها الموضوعية سلامةُ الجبهة الداخلية، بإشاعة روح الانسجام والتناعم والتوافق والتوازن، ونشر ثقافة التعايش والحوار والاحترام المتبادل للخصوصيات الثقافية والحضارية، وقبل ذلك كله، الاحترامُ للمقتضيات القانونية الواجبة النفاذ.

والحفاظ على اللغة العربية يبدأ من المنطق الأساس، ألا وهو إيجاد الحل للمسألة اللغوية في التعليم، حتى لا تظل هذه المسألة معلقة تثير

الخلافات، وتبعث على القلق، وتعطل العملية التعليمية، وتفرغها من محتواها. على أن يتم ذلك في أجواء من التوافق والشفافية، وبروح المواطنة الحق، وبتغليب المصلحة العليا للوطن فوق كل مصلحة، ومن أجل بناء المستقبل الآمن والمزدهر الذي تسود فيه روح التسامح والتعايش والحوار بين الأجيال. فإذا اعتمدت اللغة العربية لغةً للتعليم، من رياض الأطفال والمدارس والمعاهد والثانويات إلى الكليات الجامعية، اكتسبت مزيدًا من القوة والمناعة والقدرة على الأخذ والعطاء والتفاعل مع المتغيرات، مما ينعكس بصورة تلقائية وبشكل مباشر، على مستويات اللغة العربية في وسائل الاتصال الإلكتروني، فلا تبقى لغة قاصرة عن الوفاء بالحاجات المتجددة، وعاجزة عن مسايرة التطورات المتلاحقة التي يحفل بها عالمنا اليوم.

إسهامات ابن سينا في اللغة العربية وأدبها

أ.د. سيد رحمن سليمانوف
عضو مراسل لمجمع اللغة العربية المصري
-جمهورية تاكجستان-

اشتهر قليل من المفكرين في تاريخ الحضارة العالمية بآثارهم العلمية والأدبية في القرون الوسطى فجمعوا العديد من العلوم، وتركوا بعدهم آثارًا علمية كثيرة وضخمة، ومن بين هؤلاء الشيخ الرئيس ابن سينا. ذكر العالم الإيراني: سعيد نفيسي[1] أن ابن سينا ألف 406 أو يُنسب إليه 406 مؤلفا باللغة العربية و 32 مؤلفا باللغة الفارسية (التاجكية) وأيًّ أن كان عدد المؤلفات لابن سينا، فإنه يحصى له في فهارس مكتبات العالم أكثر من 160 مؤلفًا محفوظة إلى يومنا هذا.

وأحصى الأب جورج شحاتة قنواتي[2] في عام 1950 مؤلفات ابن سينا فبلغ بها 276 كتابًا، ولعله لم يستوف في إحصائه كل ما ألفه الفيلسوف العظيم، ومن الحق أن لابن سينا رسائل ومؤلفات صغيرة ومختصرات، كما له مؤلفات مبسوطة كل البسط، تُقدم لك إحاطة بالموضوعات التي يكتبها شاملةً تامةً، وتُلخص لك المعرفة الإنسانية حتى نهاية عصره،

1- سعيد نفيسي. زندكي وكارواندیشه وروزكاربور سينا. طهران، 1333 ش. ص30-9 (باللغة الفارسية)

2-الأب جورج شحاته قنواتي. مؤلفات ابن سينا. القاهرة، 1950. ص 322-2.

لتضم إليها نظرات الفيلسوف الحكيم من خلال مشاهداته وتجاربه وبصيرته النافذة وفكرة المبدع.

وقد قضى ابن سينا شطرًا طيبًا من حياته في صحبة الملوك والأمراء والرؤساء ومجالستهم، فشغل ذلك كثيرا من أوقاته ولم يَدَعْه يتفرغ للعلم والتأليف والتدريس التفرغ الذي كان يَوَدُّهُ له تلاميذه ومريدوه وعلماء عصره، ورغم ذلك يفجؤك أمر الشيخ الرئيس بغزارة إنتاجه وتنوعه وإحاطته وابتكاره، كما يُبْهرك في الشيخ قدرته الفائقة التي لا تُحَدُّ في سرعة التأليف مع التجويد والإتقان.

إن السمة الرئيسة في ابن سينا أنه كان من أولئك العباقرة الموسوعيين، لم تقف همته على علم واحد برأسه بل كانت إحاطته بالعلوم شاملةً وكان شغفه بالمعرفة لا حدود له، درس وأوعب وجمع فأوعى، وواتته موهبة مسعفة وحافظة قوية، وذكاء نادر وعقل نيّر متفتّح، فإذا هو يضع مؤلفات في شتى العلوم التي عرفها عصره، بلغت الغاية في دقتها وعمقها واستيعابها وتقصيها، لم يكتف فيها بتحرير الموروث من المعارف وتهذيبه، بل كان يضيف مسائل غفل عنها الأولون، ويذكر أشياء لم يسبق إليها، ألَّف في الطب والمدواة والفلسفة بكل أبوابها المعروفة في عصره على سعتها وتعددها، وألَّف في الدين والزهد والتصرف والعشق، وألَّف في الكيمياء والأسرار وتأويل الرؤيا، وألَّف في الفلك وفي تدبير الجند وخراج الممالك، وألَّف في الموسيقى، وألَّف في اللغة والنحو والعروض، وألَّف القصص واصطنع فيها الرمز، وكتب الرسائل الجميلة هو البحر من أي النواحي أتيتَها.

قال عنه الفيلسوف الإنجليزي المشهور روڈجير بيكان (1214-1292م) وهو من أكثر العلماء الأوربيين معرفة بابن سينا في القرن الثالث عشر، قال عن شخصيه: «إن المعرفة قد انتقلت إلى العالم مرتين بشكل عام باللغة العبرية، الأولى: عن طريق الأنبياء، والثانية: عن طريق ابن سينا باللغة العربية»[1]

ولكثرة الآثار العلمية التي تركها ابن سينا، فإننا نحاول من خلال تخصصنا أن نكشف ونحدد ماهية وأهمية دور ابن سينا في اللغة العربية وأدبها، وبالرغم من إنه كان فيلسوفًا كبيرًا، وطبيبًا حاذقًا، وطبيعيًّا دقيقًا كان له أيضًا معرفة عميقة بأسرار اللغة العربية وأدبها.

وكان لابن سينا إسهامات جليلة وعظيمة في العلوم الفيلولوجية ومن أبرزها:

1 – طور ابن سينا المصطلح الفلسفي العربي الذي هو جزء من العلوم الفيلولوجية العربية فبعد انتهاء الفتوحات الإسلامية في إيران وآسيا الوسطى في بداية القرن الثامن، سرعان ما صارت اللغة العربية لغة دولة الخلافة في جميع نواحي الحياة الثقافية، والعلمية وحتى الإدارية. ولم يقتصر استخدام اللغة العربية في كتابة التاريخ القديم والأدب العربي فقط، بل كانوا يكتبون بها الآثار الفلسفية والدينية، والحقوقية والأدبية، وكان ازدهار العلم في الشرق في القرون الوسطى متعلقًا بدراسة ألفاظ ومعاني النصوص العتيقة ومن خلال هذه الدراسة حدث تطور في ترتيب المصطلحات الفلسفية للغة العربية، فكان من إسهامات ابن

1- فينيانوس: غسان فينيانوس. فلسفة الوجود ابن سينا. التراث العربي. مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب. عدد خاص يصدر بمناسبة الذكرى الألفية لابن سينا. دمشق العددان: 5/6. بدون سنة الطبع. ص 60

سينا العلمية لفيلولوجية اللغة العربية أنه كان أحد المبادرين بإنشاء المصطلحات الفلسفية في اللغة العربية، وإننا إذا تصفَّحنا تاريخ الفلسفة العربية واصطلاحاتها شاهدنا أن الاصطلاحات في الفلسفة العربية هي نفس الاصطلاحات بعينها التي كوَّنها الكندي والفرابي وابن سينا، وعندما أنشأوا اصطلاحات جديدة كانت هذه الاصطلاحات تُمثّل اتجاهات فلسفية جديدة، مع استخدام الاصطلاحات القديمة كما هي دون تغيير.

وكوَّن ابن سينا كعالم موسوعي صورة عامة لمصطلحات الفروع الآتية للعلم: الطب، والفلسفة والمنطق، وعلم المعادن، وعلم الآثار العلوية، والكيمياء، والرياضيات، والهندسة، والجيولوجيا، وعلم النجوم، وعلم الحيل، والأثقال، والموسيقى... إلخ. الأمر الذي هيأ الإمكانيات الجيدة لإيجاد اصطلاحات للعلوم المعاصرة حيث إن من المعلوم في علم اللسانيات أن حيوية الاصطلاح تتعلق بكثرة استعماله، ونستطيع أن نقول: أن أغلبية هذه الاصطلاحات العلمية والفلسفية التي صاغها ابن سينا مستعملة إلى يومنا الحاضر في نواحي العلوم المختلفة من العلوم المعاصرة.

2 - كتب ابن سينا بعد الفرابي كجميع المفكرين الإسلاميين لآرائه اللغوية في الأقسام المختلفة للمنطق وآثاره الفلسفية العديدة، وكتب مؤلفاتٍ مهمةً في علم الصوتيات وفقه اللغة العربية والمعاجم في القرون الوسطى، ورسَّخَ ابن سينا هذه المصطلحات الفلسفية العربية وأكملها وصيغَت نحويًّا فأصبحت أكثر كمالاً وقوة، وإن حدث وتعرضت هذه المصطلحات للتغيير بعد ذلك فهذا التغيير يتعلق بموقف وشروط المدرسة الفلسفية أو الفيلسوف نفسه.

3 - تتميز المؤلفات الفلسفية لابن سينا باللغة العربية بأنها خالية من المصطلحات الفلسفية الأصيلة اليونانية، يعني أن ابن سينا عاش وألف في العصر الذي كانت اللغة العربية تطورت تطورًا كبيرًا خلال القرنين الثامن والتاسع.

4 - قام ابن سينا ينشر المعارف الفلسفية خاصة الألفاظ الاصطلاحية، واستعمل الأغلبية الساحقة من الفلاسفة سواء كانوا من معارضيه أو أتباعه هذه المصطلحات في المسائل الفلسفية الرئيسية، ودليل على ذلك قول أحد الفلاسفة المشهورين في القرون الوسطى الإمام أبو حامد الغزالي وهو كان أحد مخالفي ابن سينا: قال:» الذين آتوا لنا بفلسفة أرسطو إمّا جاءوا بها حرفيًّا أو أضافوا عليها من أنفسهم، ومن بين فلاسفة الإسلام الذين نعتمد عليهم ونثق بهم أكثر من الآخرين هما الأستاذان الكبيران: الفرابي وابن سينا، إذ درسا المسائل الفلسفية بدقة كبيرة تيسرًا على الآخرين، لذلك نحن ندرس فلسفة المعلم الأول عن طريق دراسات الفرابي وابن سينا.1

5 - فسَّر ابن سينا المصطلحات الفلسفية في اللغة العربية، وهذه المصطلحات توجد في كثير من آثاره وخاصة رسالته الصغير الحجم، كثيرة المعنى في الحدود أو التعريفات، فقد صار أحد مؤسسي الطريقة الهيرمينيفتية في تفسير للاصطلاحات في اللغة العربية.

وأنا كباحث ومتخصص في اللغة العربية وخاصة اصطلاحاتها العلمية والفلسفية، ترجمتُ من العربية إلى اللغة التاجكية (الفارسية) والروسية عددًا كبيرًا من مؤلفاته الفلسفية مثل: الحكمة المشرقية ، وكتاب النجاة،

1- ابن سينا. ترجمة وشرح إشارت وتنبيهات. ج.2، منطق. نكارش حسن ملكشاهي. طهران، 1367 ش،ص 94 (باللغة الفارسية).

وعيون الحكمة، وكتاب الهداية والمباحثات ، ومجموعة رسائله الفلسفية والأجزاء من كتاب الشفا مثل المغالطة والعبارة والقياس، والكون والفساد، وأستطيع أن أقول: إن الأغلبية الساحقة للمعاجم الفلسفية والمتون الفلسفية باللغة العربية تستند إلى آثار ابن سينا في تعريفات وتحريرات المصطلحات حيث يشرح معنى المصطلح ثم يرجع إلى الفلاسفة والفيلولوجيين الآخرين، وهذا لم يكن موجود في المصادر القديمة فقط، بل في أعمال علماء الأدب المعاصرين، والدليل على ذلك صدور الموسوعة الفلسفية الكبيرة تحث عنوان «موسوعة مصطلحات ابن سينا» التي صدرت في سنة 2004 في بيروت والتي تشهد بصورة واضحة إلى مسيس الحاجة لاصطلاحاته العلمية والفلسفية باللغة العربية.1

-6 في صعيد الفيلولوجية العربية ألّف ابن سينا معجمًا كبيرًا عن اللغة العربية تحت عنوان «لسان العرب» في مصطلحات اللغة العربية. وذكر ذلك ابن أبي أصيبعة، والقفطي والبيهقي، وقد ألف هذا المعجم جوابًا لأحد اللغويين وهو أبو منصور الجبائي النحوي ولذلك حكاية أوردها ابن أبي أصيبعة، قال الجوزجاني تلميذ الشيخ الرئيس: كان الشيخ جالسًا يومًا من الأيامِ بين يدي الأميرِ علاءِ الدولةِ، وأبو منصور الجبائي حاضرٌ، فجري في اللغةِ مسألةَ تكلمَ الشيخ فيها بما حضرهُ، فالتفتَ أبو منصور إلى الشيخ يقول: إنك فيلسوفً وحكيمٌ، ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضينا بكلامك فيها، فاستنكف الشيخ من الكلام، وتوفرَ على درس كتب اللغة ثلاث سنين، واستهدى كتاب تهذيب اللغة من خراسان من تصنيف أبي منصور الأزهري، فبلغ الشيخُ في اللغة طبقةً قلما يتفقُ مثلها، وأنشأ ثلاثَ

1- جهامي: جيرار جهامي. موسوعة مصطلحات ابن سينا (الشيخ الرئيس). الطبعة الأولى)، بيروت،,2004

قصائدَ ضمَّنها ألفاظًا غريبةً من اللغة، وكتب ثلاثةَ كتبٍ أحدُها على طريقة ابن العميد، والآخرُ على طريقة الصابي، والثالثُ على طريقة الصاحب، وأمر بتجليدها وإخلاق جلدِها، ثم اوعزَ الأمير فعرض تلك المجلدة على أبي منصور الجبائي، وذكر أنَّا ظفرنا بهذه المجلدة في الصحراء وقت الصيد، فيجب أن تتفقَّدها وتقول لنا ما فيها، فنظر فيها أبو منصور وأُشْكِلَ عليه كثيرٌ مما فيها، فقال له الشيخ: أن ما تجهلهُ من هذا الكتاب فهو مذكورٌ في الموضوع الفلاني من كتب اللغة، وذكر له كثيرًا من الكتب المعروفة في اللغة، كان الشيخ حفظ تلك الألفاظَ منها، وكان منصور مُجْزَفًا فيما يورده من اللغة غير ثقة فيها، أي كان كلامه بدون دليل صحيح، ففطن أبو منصور أن تلك الرسائل من تأليف الشيخ، وأن الذي حملَهُ على تأليفها ما جَبَهَهُ به في ذلك اليوم، فتَنَصلَ واعتذر إليه، ثم صنَّف الشيخ كتابًا سماه لسان العرب لم يُصَنَّفْ في اللغة مثلُهُ ولم ينقله في البياض حتى تُوفي، فبقي على مسودته لا يهتدي أحد إلى ترتيبه.[1]

7 - ومن إسهامات ابن سينا في اللغة العربية كتابة رسالة قيمة عن مخارج الحروف العربية ويبدو أن عناية ابن سينا بالطب والتشريح وسائر العلوم الطبيعية قادته إلي إدراك ما للصوت من أهمية في فهم النظام اللغوي والوقوف على أسراره ودقائقه اللطيفة التي يدق الالمام بها حتى على جهابذة اللغة من أمثال الخليل وسيبويه وغيرهما من اللغويين والنحويين، فالخليل بن أحمد الفراهيدي(1750هـ) هو أول من وضع للأصوات العربية ترتيبًا اعتمد عليه نصر بن عاصم في القرن الأول الهجري وحذا حذوه

1- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء (3 /11)، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة، دار الثقافة، بيروت، لبنان. 1399هـ/ 1979م.

سيبويه في كتابه: الكتاب، وإن خالفه في مخارج الأصوات وفي الترتيب بأن جعل الهمزة أول الأصوات التي تخرج من الحلق. ويبدو في القرن الخامس الهجري أن البحث الصوتي اتجه على يدي الشيخ الرئيس اتجاها جديداً. فقد تناول الأصوات تناول العارف الكبير بكنه الصوت وأسبابه والملم بتشريح جهاز النطق المطَّلع على تركيب أعضائه وتميز كلامه عن ذلك كله باصطلاحات لم يعرفها سيبويه ولا غيره.[1]

وإذا كانت دراسة الأصوات قد اقترنت لدى كل من الخليل وسيبويه والمبرد وابن سراج وابن جني وسواهم بالنحو فقد اتسمت لدى ابن سينا بالاستقلال عن مسائل اللغة، فعني عناية شديدة بأعضاء النطق وطرائق هذه الأعضاء في أداء وظيفتها النطقية. ومدارج الأصوات التي تصدر عنها وأفراد لكل صفة من الصفات كتابًا مستقلاً، وهو نوع من التراث اللغوي العربي سماها رسالة: «في أسباب حدوث الحروف»2 وهو في هذا يُشْبه العالم اللغوي السنسكريتي بانيني الذي وضع أول كتاب في أصوات اللغة السنسكريتية بعد أن ظل سابقوه يخلطون دراسة الأصوات بقواعد الصرف والنحو.3

8 - ومن جملة ما اهتم به الشيخ الرئيس تحقيق المعرفة العلمية لعلم المنطق الذي يتصل اتصالاً وثيقًا بعلم اللسانيات حيث عالج ابن سينا في كثير من كتبه الأحكام الرئيسية لعلم المنطق وانتبه انتباهًا كبيرًا للمسائل المتعلقة بالمنطق وعلم اللسانيات، كما عالج اصطلاحات المنطق في كتابه

1- أنيس، إبراهيم. الأصوات اللغوية. القاهرة، 1979، ص. 136

2- عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب. بيروت، 1972، ص. 33.

АхвЛеднанн В,Г, Фонетннескнн трактат Авнценны(Абу Алн Нбн Снна- Тбнлнср,1966, с7-8 (اللغة الروسية)

الكبير العبارة من منطق كتاب الشفاء، كما اهتم اهتمامًا كبيرًا بموضوع تَكَوُّن اللغة وهو يعتبر تكونها بالتوافق والاصطلاح، وكذلك الموضوعات المتعلقة بالصرف، مثل: مكانة حرف التعريف في اللغة العربية، ووظيفة حروف الجر، والحروف في الجملة، والفهم المنطقي واللساني للاسم والحرف، والمسائل النحوية، كل ذلك يحتاج إلى دراسة لغوية مستقلة.

9 - لم يَفُت ابن سينا أن يعدَّ قائمة خاصة بالآثار العلوية والمعادن، وأنه اهتم اهتمامًا كبيراً بهذه العلوم في جميع آثاره الفلسفية، كتاب الشفاء، وكتاب النجاة، والحكمة المشرقية، ودانش نامه أي كتاب المعرفة باللغة الفارسية، وترجم بيلينيتكسي[1] وارتو سعديوف 2جزءًا من كتاب المعادن من كتاب الشفاء إلى اللغة الروسية، كما ترجمتُ أنا[3] هذا الجزء بعينه من كتاب الحكمة المشرفية وكتاب النحاة وبالرغم إنهما ليسا كبير الحجم لكنه مهم من جهة تاريخ العلم، لم تعرف قبل ابن سينا في القرون الوسطى الكتب الخاصة بالعلوم الجيولوجية.

10 - ومن إسهامات ابن سينا إنشاء المصطلحات العرفانية والرمزية فقد عرض ابن سينا في رسائله المشهورة حي ابن يقظان، ورسالة الطير، وسلامان وأبسال غاية الملك العادل الخيالية، وغلبة العقل، والصداقة، والأخوة، والمساواة و...إلخ، ويعدُّ ذلك تطويرًا للأفكار الفلاسفة اليونانية

1- ъеленнцкнн А,М, Геолого- мннерелогннескнн трактатаНбн Снны ,Журн, АН РТ вып, 1953/4, с,41-54(اللغة الروسية)

2- Сагадеев А,В, Об образованнн Гор н мннералов, Фрагменты нз «Кннгннсценння, В кн.: Нзбранные пронзведення мылнтелен стран ълнжнего н Срецелння, Востока XX-XV ввМ., 1961,с. 276-28(اللغة الروسية) والتاجيكية

3- Абу Алн нбн Снна. Сонннення. Душанбе; донниш, 2005,с.353-369

لأرسطو، وأفلاطون والفيلسوف الإسلامي الفارابي عن الدولة المُثُولية، وقصد ابن سينا مملكة العدالة.

11 - ويعتبر ابن سينا هو أول من أسَّس النوع الأدبي الأرجوزة في تاريخ أدب اللغة العربية، وتتضمن أراجيز ابن سينا 2372 بيتًا أو 4744 سطرًا من الشعر وتتكون من سبعة رسائل طبية مختلفة المواضع وهذه الأراجيز هي قوانين الطب المينوتورية في الأشعار، وكان يعتبر ابن سينا الشعراء سلاطين الكلام والأطباء ملائك الصحة، وذلك لأن الأول يعالج الروح، والثاني يعالج بإخلاص ومحبة الأبدان. وقد سعى ابن سينا في أراجيزه الطبية إلى اجتماع الصناعتين الطب والشعر الذين يعرفهما بصورة واحدة وقد تُرجمت هذه الأراجيز الطبية في القرن الثاني عشر إلى اللغة اللاتينية.1

12 - كما أصبح ابن سينا جسرًا بين الأدب القديم والنهضة الأوربية حيث عرض في رسالة «العشق» أفكاره وآرائه الأخلاقية والجمالية، وتنحصر أهمية هذه الرسالة في قيام ابن سينا بإنشاء مصطلحات هذا النوع الأدبي، ويعتبر العلماء أن ابن سينا هو أول من كتب البحث النظري باللغة العربية.

13 - من الكتب الجليلة التي وصلت إلينا عن ابن سينا في الشعر، كتاب فن الشعر، وفي الفصول السبعة من كتاب فن الشعر قَاسَ ابن سينا الشعر العربي بالشعر اليوناني، وبَيَّن أنواعه الأدبية بالتفصيل، وقد أورد في هذا الكتاب مصطلحات فن الشعر.

14 - ومن إسهامات ابن سينا في كتابة الشعر باللغة العربية استخدامه غرائب الألفاظ في اللغة العربية على نحو ما جاء في القصيدة العينة، فقد

1- من مؤلفات ابن سينا الطبية. درسات وتحقيق د. محمد زهير البابا. دمشق، 1404هـ/1984م.

جمع الشاعر ابن سينا في النص بين ألفاظ سهلة وبسيطة الفهم لا تحتاج إلى المعجم لشرحها (هبطت، نسيت، ذكرت، قفص، الترب، الغطاء، شاهق...) وألفاظ تراثية تستعصي على الفهم من دون العودة إلى المعجم العربي (ورقاء، تتبرقع، البلقع، الأجرع، تهمي، ساجعة، الحمى، الهجع لازب، الأروع...)، وهو ما يؤكد على أصالة الشاعر وأصالة لغته وثقافته العربيتين.

وأظهر ابن سينا براعته الشعرية في استعمال حروف للإشارة إلى كلمات: «هَاءِ هُبُوطِهَا، مِيمِ مَرْكَزِهَا، ثَاءُ الثَّقِيلِ»، وهذا لم يكن معهودًا في الشعر العربي من قبل.

ونوَّع ابن سينا في استخدام الأساليب اللغوية، فاستخدم الجمل الخبرية، نحو: (هبطت إليك من المحل الأعظم- محجوبة عن كل مقلة عارف- أنفت وما أنفت- تبكي إذا ذكرت عهودا بالحمى...).

واستخدم الجمل الإنشائية التي ترمي إلى تثبيت وتأكيد معاني القصيدة في لب القارئ من قبيل: الشرط، مثل: (إذا قرب...سجعت)، النفي، مثل: ما ليس يدرك بالعيون، لم يرفع، لم يرقع) الاستفهام، مثل:(فلأي شيء أهبطت من شامخ).

واستخدم الأفعال التي تدل على الحركة، حيث وصل عددها تقريبًا أربعين فعلاً نمثل لها (هبطت، سافرت، وصلت، أنفت، ألفت، أنست، أظنها، تقنع، اتصلت، علقت، أصبحت...) واستخدم الأسماء التي تدل على الثبات، إذ تجاوز عددها في القصيدة أربعين اسمًا، كما استخدم الكثير من الضمائر مثل: ضمير الغائب المؤنث المشير إلى الروح (هبطت، هي، سافرت، وصلت، أنفت، ألفت، واصلت، لم تقنع، تظل، غدت،

تبكي، غنت...). والضمائر تعتبر من الثوابت أيضًا. واستخدم ابن سينا هذه الأساليب لتعطي النص الحضور والفاعلية. كما استعمل كثير من المرادفات، مثل:(عاقها وصدها، قرب ودنا، شاهق وشامخ وعالٍ، الفذ واللبيب، الخراب والبلقع والأجرع).

وكانت نزعته الفلسفية حاضرة بقوة في النص من خلال استعماله لألفاظ وإشارات فلسفية مثل هاء هبوطها، وميم مركزها، وثاء ثقيلة، وهذا أسلوب فلسفي لم يماثل أحد من شعراء العرب ابن سينا قديمًا أو حديثًا؛ لأن الرجل كان فيلسوفًا متعمقا في الفلسفة وهذا يؤثر عليه فيما يقول أو يكتب تأثيرًا مباشرًا.

15 - إسهامات ابن سينا في الاقتباس من القرآن الكريم والأحاديث النبوية في أشعاره، ومن ذلك: قوله: « **وَهِيَ الَّتِي سَفَرَتْ وَلَمْ تَتَبَرْقَعْ**» ففي البيت اقتباس في التصريح في قوله: «**مَحْجُبَةٌ**»، حيث أن النفس ستظل مبهمة على الناس وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ (الإسراء: 85).

في قول الشاعر: « ثَاءُ الثَّقِيلِ» اقتباس، فهو يقصد بالثقيل «الأرض» التي نزلت إليها النفس من عَلْيَائِهَا فتعلقت بها الأرض وذلك في قوله تعالى: ﴿**اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ**﴾ (التوبة 38).

في قوله: « **العِلْمَ يَرْفَعُ كُلَّ مَنْ لَمْ يُرْفَعِ**» اقتباس من القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ (المجادلة: 11).

ونستخلص مما سبق لابن سينا إسهامات كبيرة في مجال اللغة العربية وأدبها فكان أحد نوابغ زمنه في الفلسفة والطب والعلوم الأخرى وأنه لم

يترك لنا إرثًا ضخما في العلم والفلسفة والطب فحسب بل أسهم إسهامات جليلة في إيجاد وتطوير الآثار الفلسفية حيث عالج المسائل المتعلقة بالفيلولوجية العربية. وكوَّن الاصطلاحات العلمية والفلسفية في اللغة العربية والفارسية (التاجيكية) وهذا ما هو المطلوب اليوم لما له من أهمية قصوى ولذا يقع اسمه جنب أكبر عظماء المفكرين المشهورين في تاريخ البشرية جمعاء بل يعدُّ أكبر فيلولوجي في فقه اللغة العربية الذي كون أهم العناصر العلمية في اللغة وهي الاصطلاحات العلمية والفلسفية.

المسارد اللسانية وأهميتها في صناعة المعاجم المتخصّصة

د. حاج هنّي محمد
أستاذ محاضر- ب
قسم: اللغة العربية وآدابها-كلية: الآداب واللغات
جامعة/ حسيبة بن بوعلي-الشلف- الجزائر-

ملخص:

يواجه البحث اللساني العربي عدة صعوبات، لعلّ أهمها قضية المصطلح؛ وذلك بسبب تأخّر اللسانيات العربية عن مواكبة مستجدات هذا الحقل المعرفي، ونتيجة لذلك أضحى توظيف المسرد في الكتابات اللسانية ضرورةً حتميةً؛ إذ يلجأ المختصون إلى تذييل مصنّفاتهم بثبت اصطلاحي ثنائي اللغة (إنجليزي- عربي) أو(فرنسي- عربي) يتضمن المصطلحات المفاتيح الواردة في المتن؛ بغية تسهيل استيعاب المفاهيم اللسانية، وتيسير إشاعتها بين الدارسين، ومع مرور الزمن شكّل المسرد مصدراً هاماً من مصادر تأليف المعاجم اللسانية، وما هذا البحث إلاّ محاولةً لإظهار أهميته في وضع المعاجم المتخصّصة؛ وذلك من خلال تعيين وظائفه، وتحديد مكانته في البحث المصطلحي، وصولاً إلى إبراز أشكال استثماره في صناعة المعجم اللساني.

مقدمة:

تحتل اللسانيات اليوم مركز الصدارة في سلم العلوم الإنسانية والاجتماعية؛ نتيجة ما أحدثته من ثورة على مستوى المناهج والتصورات، حيث تعدى تأثيرها إلى قطاعات علمية دقيقة على غرار: الرياضيات والجيولوجيا والحاسوب، وصاحب هذا التفاعل المعرفي استحداث آلاف المصطلحات الغربية للتعبير عن المفاهيم المستجدة في هذا الحقل.

ولقد سعى اللسانيون العرب لنقل هذه المفاهيم إلى اللغة العربية؛ لاستيعابها واستكناه خباياها، ومن ثَم استثمارها عمليًا في المجالات التطبيقية، ولكن الأمر اصطدم بعقبات عديدة، لعلّ أهمها قضية المصطلح؛ وهنا كانت الحاجة ماسة لاعتماد آليات تساعد القارئ العربي على تذليل هذه الصعوبة؛ ومن ذلك مثلاً وضع المسارد اللسانية.

فما هو المسرد اللساني؟ وما هي وظائفه؟ وما مكانته في التوثيق المصطلحي؟ وما هي أشكال استثماره في صناعة المعاجم المتخصّصة؟

1 - المسرد: المصطلح والمفهوم:

أ- عند الغربيين:

طلطق على المسرد في اللغتين الإنجليزية والفرنسية مصطلحا (Glossa-ry/ Glossaire)؛ الذي يدلّ في أصل الوضع على «مصنّف من الملاحظات تفسيرًا أو شرحًا لكلمات غير معروفة عند القارئ، خصوصاً في مقدمات النصوص اللاتينيّة في القرون الوسطى»[1].

1 - Georges Mounin, Dictionnaire de la linguistique, Presses universitaires de France, 4éd, 2004, p :154-155.

والمصطلح مشتق من الكلمة اللاتينية (glossarium)[1]؛ وبالضبط من الجذر (Gloss)؛ الذي يحمل ثلاثة معانٍ هي:

- تعليق على كلمة أو عبارة، أو تفسير لها، ولاسيما على هوامش المخطوطات والنصوص القديمة، أو بين أسطر متونها.

- كلمة في لغة ما تُستخدم مقابلاً لكلمة أخرى في لغة أخرى، فتوضح معناها أو تحدّد ترجمتها.

- قائمة ألفبائية تجمع الكلمات العسيرة في نصّ ما مع شرح لها[2].

أمّا مفهومه اصطلاحاً في معجم ديبوا فهو: «معجم يأخذ شكل ترجمة بسيطة لمعاني الكلمات النادرة أو غير المعروفة»[3].

في حين يرى جورج مونان أنّ (Glossaire) يدلّ على:

-قوائم معجميّة تقع في نهاية مؤلَّف ما، ويعطي قائمة أبجديّة لكلمات معجم المفردات المتخصّص المستخدَم.

-قواميس موجزة مزدوجة اللغة موضوعة في ختام مقتطفات مدرسية.

-قوائم أبجديّة لمعجم مفردات متخصّص أو لهجيّ[4].

ولقد وضع اللسانيون الغربيون عدّة مسارد في مختلف علوم اللغة، ومن ذلك هذه النماذج:

1- Voir : Jacqueline Picoche, Dictionnaire Étymologique Du Français, Dictionnaires le Robert, Paris, 1994, p :268.

2- ينظر: رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية (إنكليزي-عربي) مع 16 مسرداً عربياً، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط:1، 1990م، ص:212.

3-Jean Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique, Librairie Larousse, Paris, 1973, p :234 .

4 -Voir : Georges Mounin, Dictionnaire de la linguistique, p :155.

-A glossary of American technical linguistic usage, 1925-1950, Hamp ,EP, spectrum: Utrecht, 1963.

-A Glossary of Language Learning Terms, Blaire (J.H), London, 1963.

- A glossary of linguistic terminology, Pei, M, New York, doubleday- Anchor, 1966.

-A glossary of grammatical terms, Gerson, S.A, St. Lucia: University of Queensland Press, 1969.

- A glossary of grammar and linguistics, Andrew Macleish, New York, The University Library, Grosset and Dunlap Inc, 1974.

- A glossary of Semantics and Pragmatics, Alan Cruse, Edinburg University Press, 2006.

ب- عند العرب:

1 - المصطلح:

اختلفت المعاجم اللسانية الفردية وتباينت مقابلاتها بشأن مصطلح (Glossary-Glossaire)، سواءً من حيث عددها، أولفظها، وهذا ما تبرزه هذه العينة:

معجم	الخولي	بعلبكي	المسدي	بركة	مبارك	عيّاد
المقابلات	مسرد المفردات[1]	مسرد[2]	كشف[3]	معجم	تفسير	المعجم الخاص
	/	/	/	مسرد المفردات الصعبة[4]	معجم[5]	المعجم المفسِر[6]

مما سلف يتضح الاختلاف الواضح بين واضعي المعاجم اللسانيّة الفردية في تحديد المصطلح الدال على (Glossary/Glossaire):

---

1 - ينظر: محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري (إنكليزي- عربي) مع مسرد عربي- إنكليزي، مكتبة لبنان، بيروت، ط:1، 1982م، ص:107.

2 - ينظر: رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، ص:212.

3 - ينظر: عبد السلام المسدّي، قاموس اللسانيات (عربي- فرنسي وفرنسي- عربي) مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، د ط، 1984م، ص:152، 219.

4 - ينظر: بسام بركة، معجم اللسانية (فرنسي-عربي) مع مسرد ألفبائي بالألفاظ العربية، منشورات جروس- برس، طرابلس، لبنان، ط:1، 1985، ص:92.

5 - ينظر: مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية (فرنسي- إنجليزي-عربي)، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط:1، 1995، ص:121.

6 - ينظر: علية عزت عيّاد، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية (ألماني- إنجليزي- عربي) مع كشّافين بالإنجليزية والعربية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط:1، 1994م، ص:58.

- من بين ستة معاجم لسانية، نجد ثلاثة منها؛ ويتعلّق الأمر بمصنّفات الخولي، وبعلبكي، والمسدي، تورد مقابلاً واحدًا لهذا المصطلح؛ أي ما يمثل نسبة مئوية قدرها (50 %) من مجموع المعاجم، فيما اجتهد النصف الباقي في إعطاء مقابلَيْن عربيين كاملين لنفس المصطلح، وهذا التباين مظهر من مظاهر التشتت المصطلحي الذي تشهده العربية في هذا الحقل المعرفي.

- وُظفت كلمة «معجم» أربعة مرات في تسعة مقابلات تمّ اقتراحها؛ اثنان منها وضعتهما علية عزت عيّاد في «معجم المصطلحات اللغوية والأدبية»؛ وردتا في صيغة التركيب الوصفي؛ «المعجم الخاص» و «المعجم المفسّر»، أمّا لفظتي «معجم» الباقيتين فاستعمل إحداها بسام بركة وأردفها بالعبارة الاصطلاحية «مسرد المفردات الصعبة»، والأخرى وردت في معجم مبارك مبارك عقب مصطلح «تفسير».

- تمّ استعمال مصطلح «مسرد» في ثلاثة معاجم لسانية فردية؛ وردت في صيغة الإفراد في معجم بعلبكي، ومركبّة تركيباً إضافياً في «معجم علم اللغة النظري» للخولي، وفي شكل عبارة اصطلاحية في «معجم اللسانية» لبسام بركة.

ولكن على الرغم من هذه الاختلافات الاصطلاحية إلاّ أنّ هناك اتفاق بين واضعي المعاجم اللسانية الفردية على مفهوم (Glossary-Glossaire)؛ فهو «مسرد»، أو «كشف»، أو «تفسير»، أو «معجم» مهمته التوضيح والبيان.

وبالمقابل توحّدت- ولو نسبياً- المصطلحات الدالة على المسرد في المعاجم اللّسانية العربية الجماعية؛ وهذا ما توضحه هذه الإحصائية:

معجم	باكلا ورفاقه	الموحّد - 1	الموحّد - 2	الفاسي الفهري ونادية العمري
المقابل	المسرد[1]	مسرد لغوي[2]	مَلْسَنَة[3]	مسرد المفردات[4]

من الجدول يمكن أن نستنتج عدة نتائج، منها:

- حظي مصطلح «مسرد» حظي بنسبة استعمال واسعة بين واضعي المعاجم اللسانية الجماعية؛ فقد أوردته ثلاثة معاجم كاملة، مع اختلاف طفيف في بنية المصطلح المركّب؛ إذ استخدم المعجم الموحّد في طبعته الأولى «مسرد لغوي»؛ وهو مصطلح مركّب تركيبًا وصفيًا، أما معجم المصطلحات اللسانية للفاسي الفهري ورفاقه فقابله بـ«مسرد المفردات»؛ وهذا الأخير مصطلح مركّب تركيباً إضافياً.

- خالف المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات في طبعته الثانية مبدأ الشيوع؛ فقد استخدم المقابل «مَلْسَنة»؛ وهو مصطلح مشتقّ من لفظة (لسان) على وزن (مفعَلة) قياساً على الأوزان الدالة على أسماء المكان؛ وهذا الأخير لا يتم تداوله بصورة واسعة خلافًا للمسرد.

1 - ينظر: محمد حسن باكلا وآخرون، معجم مصطلحات علم اللغة الحديث (عربي-إنجليزي وإنجليزي-عربي)، مكتبة لبنان، بيروت، ط:1، 1983م، ص:91.

2 - ينظر: مكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات (إنجليزي-فرنسي-عربي)، مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ط:1، 1989م، المصطلح 1101، ص:57.

3 - ينظر: مكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات (إنجليزي-فرنسي-عربي)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط:2، 2002م، المصطلح 680، ص:62.

4 - ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري بمشاركة نادية العمري، معجم المصطلحات اللسانية (إنجليزي- فرنسي- عربي)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط:1، 2009م، ص:120.

وعليه يمكن القول أنّ المعاجم اللسانية الجماعية اتفقت على جعل «المسرد» مقابلاً للمصطلح الأجنبي (Glossary-Glossaire)، مع اختلاف طفيف في بنية المصطلح المركّب.

ومن الجدولين السابقيْن يمكن القول أنّ مصطلح «مسرد» حظي باستعمال واسع؛ فمن بين عشرة معاجم لسانية– جماعية وفردية- نجد ستة (6) منها تجعله مقابلاً للفظ الأجنبي (Glossary-Glossaire)، مع اختلاف واضح في بنية المصطلح المركّب، فهناك مسرد مفردات، ومسرد المفردات الصعبة، ومسرد لغوي.

أمّا في مجال الاستعمال فإنّ المؤلفين العرب وظّفوا هذا المصطلح في كتاباتهم اللسانية بعدّة أشكال؛ فنجد «معجم المصطلحات»[1]، أو» قائمة بالمصطلحات»[2]،أو «فهرس المصطلحات» [3]، أو»ثبت المصطلحات»[4]، أو «مسرد للمصطلحات»[5]، أو «قائمة الكلمات المفتاحية والمصطلحات الاشتراطية»[6].

1- ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط:1، 1962م، ص:414-381.

2- ينظر: ماريوباي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختارعمر، عالم الكتب، ط:1، 1973، ص:273.

3- ينظر: جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، د ط، 1995م، ص:-273 281.

4- ينظر: عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط:3، 2009م، ص:446.

5- ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص:60.

6- ينظر: الجيلالي حلام، تقنيات التعريف بالمعاجم العربية المعاصرة، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 1999م، ص:369.

2 - المفهوم:

ومن التعاريف التي أطلقها المختصون على النوع من الكشافات المصطلحية، نورد:

- «قائمة بالكلمات الصعبة في نص أو كتاب مع تفسير لها»[1].

- «نوع من المعجم يعطي معنى كلمات صعبة»[2].

- «قائمة ألفبائية، غالبًا، تجمع المصطلحات المستعملة في حقل ما من المعرفة مع شرح لها»[3].

- «معجم لمصطلحات فرع من فروع المعرفة أو لهجة من اللهجات، وذلك مثل: معجم الجيولوجيا لمجمع اللغة العربية بالقاهرة»[4].

- «مسرد لغويّ متضمّن لمعاني الكلمات النادرة أو غير المعروفة»[5].

ومن هذه التعريفات نستخلص أنّ المسرد يأخذ أحد الشكلين:

-قائمة ألفبائية تشرح الكلمات الصعبة أو الغامضة الواردة في ذيل كتاب أو نصّ، بغرض تيسير الفهم.

-أو قائمة ألفبائية لمصطلحات مجال معرفيّ معيّن، إمّا أحاديّة اللغة أو ثنائيتها.

وعليه فالمسرد- عمومًا- عبارة عن قائمة ألفبائية للمصطلحات أو الكلمات الصعبة، تُوضَع في نهاية مؤلَّف ما تسهيلاً للاستفادة منه، وتيسيرًا لاستيعاب مفاهيمه.

1- محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، ص:107.

2- مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص:121.

3- رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، ص:212.

4- علية عزت عيّاد، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، ص:58.

5- مكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ط:2، ص:62.

2 - المسرد والأنماط المعجمية الأخرى:

لمّا كان المسرد يتضمّن عناصر المعجم ممثلة في قائمة الألفاظ، واعتماد الترتيب، وإعطاء الشرح أحياناً، فإنّه بذلك يتداخل مع الأشكال المعجميّة الأخرى، لذا لابدّ من التمييز بينه وبين هذه الأنماط المعجمية:

أ- المعجم المتخصّص:

(Specialized Dictionary/Dictionnaire spécialisé)

يعرّفه علي القاسمي انطلاقاً من مادّته ووظيفته بأنّه معجم «يعالج قسماً واحداً من المفردات المختصّة بأحد فروع المعرفة بهدف مساعدة القارئ على معرفة معاني لغة حقل معيّن من حقول المعرفة ومصطلحاته»[1].

وفي نفس المساق يسير المسدي إذ «يرتكز القاموس المختصّ- أو ما يسمّى بالقاموس الفنّي- على محاولة إحصاء المنظومة الاصطلاحيّة التي يقوم عليها علم من العلوم»[2].

في حين يرى جواد حسني سماعنة أنّ المعجم المتخصّص عبارة عن «كتاب يتضمن رصيداً مصطلحيّاً لموضوع ما مرتّباً ترتيباً معيّناً، ومصحوباً بالتعريفات الدقيقة الموجزة، ومعزّزاً– ما أمكن- ببعض الوسائل البيانيّة المرافقة (كشّافات، سياقات، صور، جداول) التي تساعد على توصيل المفهوم إلى المتلقي بأفضل صورة ممكنة»[3].

1- علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، جامعة الملك سعود، الرياض، ط:2، 1411هـ- 1991م ص: 46.

2- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص:87.

3- جواد حسني سماعنة، المعجم العلمي المختص- (المنهج والمصطلح)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، عدد خاص بندوة «إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح» 25 - 28 /11 /1999، المجلد75، ج:4، رجب 1421هـ– تشرين الأول (أكتوبر)2000م، ص:964 - 965.

وبناء على ما تقدّم، فإنّ المعجم المتخصّص هو مؤلَّف يختصّ بحقل معيّن من حقول المعرفة، يرصد مصطلحاته وفق ترتيب معيّن، ويحدّدها بتعاريف دقيقة، مع الاستعانة ببعض الوسائل التوضيحيّة كالصور والجداول.

ب- مِلفظة: (Vocabulary/Vocabulaire):

ومفهومها في علم المصطلح» قائمة أحاديّة اللغة، تحصي المصطلحات الواردة في ميدان ما وتكون مصحوبة بالتعاريف ومرتبة إمّا ألفبائيّاً أو تصنيفيّاً»[1].

فهي بذلك رصيد مصطلحيّ يحدد مفاهيم قطاع معرفيّ، ويضبطها بالتعاريف، ومن نماذجها ما أورده خالد الأشهب في ختام ترجمته لكتاب «دليل المصطلحية» لمؤلفيه سيلفيا بافيل وديان نوليت؛ إذ يرصد مصطلحات حقل المصطلحيات مرتبة ألفبائياً مع تعريفها؛ ومثال ذلك: «أحادية المعنى: علاقة أحادية بين مفهوم مختص والمصطلحات التي تسميه حيث كل تسمية لا تمثّل سوى المفهوم المعني»[2].

وتأسيساً على ما سبق، يمكن استنتاج عدّة فروق بين الأنماط المعجمية حينما ترتبط بحقل معيّن، سواءً من حيث طبيعتها، أو شكل إصدارها، أو عدد لغاتها، أو نمط تعريفها[3]:

1- مكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ط:2، المصطلح 1718، ص:166.

2- سيلفيا بافيل وديان نوليت، دليل المصطلحية، ترجمة: خالد الأشهب، وزارة الأشغال العمومية والمصالح الحكومية، كندا، 2001م، ص:103.

3- علامة (-): غياب التعريف، علامة (+): وجود التعريف.

الخصائص / النمط	طبيعته	شكل إصداره	لغاته	التعريف
المسرد	قائمة	مستقل/ مُلحَق	أحادي/متعدّد	-
المعجم المتخصّص	كتاب	مستقل	أحادي/متعدّد	+
المِلْفظة	قائمة	مستقلة/ مُلحَقة	أحادية	+

يتضح من الجدول أنّ المسرد نمط معجميّ غايته شرح الألفاظ الصعبة، أو إعطاء المقابل المصطلحي في تخصّص ما، شأنه في ذلك شأن الحواشي التي توضع في هوامش الكتب، في حين يقتصر المعجم المتخصّص على إيراد مصطلحات مجال معرفي مرتّبة معرّفة، أمّا المِلفظة فغايتها حصر مصطلحات ميدان معرفيّ وتعريفها.

وهكذا يتضح جليّا أنّ المسرد يشترك مع القاموس والملفظة في اعتماد الترتيب الألفبائي، وبالمقابل يختلف عنهما من ناحية نوعية المفردات وعددها، وطريقة التعريف.

3 - أشكال المسارد:

يمكن تصنيف المسارد التي وضعها الباحثون العرب في حقل الدراسات اللسانية إلى عدّة أنواع تبعا لثلاثة معايير هي: عدد اللغات، جهة الوضع، وشكل الإصدار.

أ- باعتبار عدد اللغات: نميّز بين مسارد أحاديّة اللغة، وأخرى متعددة اللغات (ثنائية أو ثلاثية).

1 - مسارد أحاديّة اللغة: تتألف من المصطلحات الأساسية أو الكلمات المفتاحية التي تشكل أهمّ مفاهيم ذلك المتن، ويمكن أن يحتوي الكتاب على مسرد عربي وآخر أجنبيّ في الوقت نفسه؛ على غرار ما أورده إبراهيم بن مراد في مؤلفه «مقدمة لنظرية المعجم».

2 - مسارد ثنائية اللغة: وهي قوائم ألفبائية ثنائية اللغة، تعطي المصطلح الأجنبي- إنجليزيّاً كان أو فرنسيّاً- و مقابله العربي في حقل بعينه؛ ومن ذلك مثلا مسارد:

- الطيب دبة في «مبادئ اللسانيات البنوية»: (فرنسي- عربي)، يحتوي 214 مصطلحاً.

- حلاّم الجيلالي في «تقنيات التعريف بالمعاجم العربية المعاصرة»(عربي- فرنسي) وفيه 93 مصطلحاً.

- عبد العلي الودغيري في ترجمته لكتاب «منهج المعجمية»لماطوري (فرنسي- عربي) وبه 371مصطلحاً.

- خولة طالب الإبراهيمي في «مبادئ في اللسانيات» (عربي- فرنسي) ضم 312 مصطلحاً.

ب- باعتبار جهة الوضع: يمكن التفريق بين:

1 - مسارد جماعيّة: وضعتها الهيئات العلميّة المتخصّصة؛ على غرار قوائم المصطلحات اللغوية التي أصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ ومن ذلك مثلا مصطلحات في علمي الأصوات واللغة[1].

1- ينظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد 4، 1962، ص:97-91.

2 - مسارد فردية: اجتهد في وضعها المختصون في شتّى حقول الدرس اللساني الحديث، سواء في خواتم الكتب العربية أو في نهايات المصنّفات المترجمة؛كمسرد المصطلحات الصوتية (إنجليزي- عربي) لكتاب الصوتيات (Phonetics) لمالمبرج السويدي، ترجمه إلى العربية محمد حلمي هليل[1].

ج- باعتبار شكل الإصدار: يتم التمييز بين المسارد المستقلة والمسارد المُلحقَة.

1 - المسارد المستقلة: ومن ذلك مسرد: عبد الرسول شاني (إنجليزي- عربي) ويضم 890 مصطلحاً.

2 - المسارد المُلحقة: وهي كثيرة ومتنوعة تغطي معظم فروع الدرس اللساني ومستوياته، وهي في الغالب من وضع الأفراد؛ سواء في الكتابات العربية أو المترجمة إلى العربية، ومنها مسارد: حلام والودغيري السالفة الذكر.

4 - نماذجه:

تعدّدت المسارد اللسانية بتعدّد مجالات الدرس اللساني، واختلفت لغاتها تبعاً لاختلاف أصولها المعرفية، فمن الكتب المشتملة على مسارد (إنجليزية- عربية) نورد:

الكتاب	المؤلف	مصطلحاته
علم اللغة مقدمة للقارئ العربي	محمود السعران	574
أسس علم اللغة- ماريوباي	أحمد مختارعمر	423
دراسة الصوت اللغوي	//	561

1- ينظر: محمد حلمي هليل، معجم المصطلحات الصوتية (إنجليزي- عربي) لكتاب الصوتيات: (Phonetics) لمالمبرج، مجلة اللسان العربي، العدد:23، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، 1983م، ص:137-107.

معجم علوم اللغة	عبد الرسول شاني	890
مدخل إلى علم اللغة	محمود فهمي حجازي	214
الكلمة دراسة لغوية معجمية	حلمي خليل	256
علم الدلالة	أحمد مختارعمر	159
اللسانيات واللغة العربية[11]	عبد القادر الفاسي الفهري	627
نظرية تشومسكي اللغوية- ليونز	حلمي خليل	450
البنى النحوية- تشومسكي	يوئيل يوسف عزيز	119

أمّا المؤلفات اللسانية العربية التي احتوت مسارد (فرنسية- عربية) فاتخذت المصادر الفرنسية منطلقا لها، فهي كثيرة، ومن بينها هذه النماذج:

الكتاب	المؤلف	مصطلحاته
دروس في علم الأصوات العربية- كانتينو	صالح القرمادي	280
الأسلوبية والأسلوب	عبد السلام المسدي	400
معجم لمصطلحات النقد الحديث	حمادي صمود	80
الألسنية أحدث العلوم الإنسانية	مجلة الفكر	238
التعليم الهيكلي للعربية الحيّة	رضا السويسي	230
البنيوية في اللسانيات	محمد الحناش	270
التفكير اللساني في الحضارة العربية	عبد السلام المسدي	256
مفاتيح الألسنيّة- مارتيني	الطيب البكوش	539

ومن الجدولين يتبيّن أنّ هناك تفاوتاً في عدد مصطلحات المسارد اللسانية؛ فهناك مؤلفات جمعت رصيدًا مصطلحيًّا هائلاً على غرار «مصنّفات: عبد الرسول شاني ومحمود السعران وأحمد مختار عمر والطيب البكوش والفاسي الفهري؛ لأنّ أعمال هؤلاء تمثل أرضيةً علميّةً متينةً لهذا العلم اللغوي الوافد إلى العربية آنذاك.

فيما اكتفى البقية بإيراد المصطلحات الأساسية فقط في المتن المدروس، كما هو الشأن لدى: حمادي صمود، وأحمد مختار عمر في كتابه «علم الدلالة»؛ لأنّ المجال المعرفي لهذه الكتب حديث النشأة في اللغة العربية؛ وبالتالي لازالت مفاهيمه في نمو وتطور، وذلك طبيعي جداً لأنّها تختصّ بفرع من فروع الدرس اللساني الحديث، أو أحد مناهجه.

5 - المسارد في الكتابات المصطلحية:

إذا كانت المسارد في المصنفات اللسانية عظيمة الفائدة، فإنّ توظيفها في مجال الدرسات المصطلحية من أوجب الواجبات؛ لأنّ المصطلح في هذا الحقل هو لغة الخاصة، التي بها يتحقق التواصل بين المختصين؛ ومن جملة المسارد الموضوعة في هذا المجال:

- محمد حلمي هليل: أردف ترجمته «مقدمة في المصطلحية» لهريبرت بيشت وجنيفر دراسكاو بمسرد (إنجليزي- عربي) اشتمل على 292 مصطلحاً.

- السعيد بوطاجين: ذيّل كتابه «الترجمة والتواصل: دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد» بمسرد (فرنسي- عربي) جمع فيه 201 مصطلحاً.

- خالد الأشهب: ألحق مصنّفه «المصطلح العربي البنية والتمثيل» بمسرد (إنجليزي- فرنسي- عربي) تضمن 266 مصطلحاً.

- صافية زفنكي: أرفقت مؤلفها «المناهج المصطلحية: مشكلاتها التطبيقية ونهج معالجتها» بمسردين؛ أحدهما عربي، والآخر إنجليزي، يشتمل كل واحد منهما على 414 مصطلحاً.

رجاء وحيد دويدري: ختمت كتابها «المصطلح العلمي في اللغة العربية» بمسرد (إنجليزي- عربي) احتوى 452 مصطلحاً.

6 - وظائف المسرد:

إنّ استخدام المسارد في المصنفات اللسانية العربية كفيل بتحقيق هذه الوظائف:

أ- الوظيفة التعليمية:

يمثل تزويد الكتاب بمسرد– ولاسيما إن كان ثنائيّ اللغة- كشفاً اصطلاحيّاً مهمته مساعدة القارئ- مبتدئاً كان أم متخصّصاً- على حسن استيعاب المفاهيم الواردة في المتن؛ وذلك لأنّ «مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفيّة وعنوان ما به يتميّز كلّ واحد منها عمّا سواه»[1]، ولهذا فمن الطبيعيّ أن يكون تحديد المصطلحات الأساسية مساعدة للمتلقي حتّى يتمكن من فكّ شفرات النص، وتحليل جزئياته، وبالتالي بناء المعرفة؛ على اعتبار ننّ المصطلحات في المسرد تؤدي وظيفة ما وراء اللغة (Fonction Méta-linguistique)، والتي تظهر من خلال الحديث عن اللغة باستعمال اللغة نفسها[2].

فالمصطلح هو محور العملية التعلميّة، لذا أضحت «المشاركة الواعية في مجال التخصص تتطلب الإفادة من هذه المعارف النظرية لتكون مرنة

1- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص:11.

2- ينظر: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:1، 1413هـ1993-م، ص:67-66.

عند التطبيق»[1]، وعليه يمثل امتلاك منظومة مصطلحات العلم جوهر العمليّة التعليميّة؛ لأنّ إدراك العلم يمرّ حتماً عبر استيعاب مصطلحاته، وهذا ما يوفره المسرد المُلحق بالكتاب.

ب- الوظيفة التداولية:

يسمح المسرد الموجود في خواتم المؤلفات اللسانية بتحقيق وظيفة تداولية؛ تتجلّى في قدرته الفائقة على نشر مصطلحات المجال المعرفي، وتيسير إشاعتها بين الدارسين والباحثين؛ وذلك لكون المصطلحات المبثوثة في ثنايا الكتاب تتخللّها ألفاظ اللغة العامّة، ممّا يجعلها تفقد ميزة التخصّص.

ولكن جردها في قائمة ألفبائيّة واحدة هو عمل على غربلتها، وتمحيصها بغية تقديمها للمتلقي في قالب ينسجم مع سياقات ذلك الحقل المعرفي، وهذا ما تؤكده التجربة؛ على اعتبار»أنّ كثيراً من المبتدئين لا يلجأون إلى القواميس المتخصّصة لأنّها وإن ساعدتهم قليلاً فإنّ الطريقة التي يكتسبون بها دلالة تلك المصطلحات هي تلقيها عن أساتذتهم أثناء فترة الدراسة، ويأتي هذا الاكتساب متدرّجاً وبطريقة غير واعية في كثير من الأحيان»[2].

وهذا ما يتجسّد بالفعل على أرض الواقع؛ فالباحث في المغرب مثلاً يوظّف مصطلحات أساتذته على غرار عبد القادر الفاسي الفهري، وأحمد المتوكل، في حين يستعمل دارسو اللسانيات في الجزائر مصطلحات عبد

1- محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط:1، د ت، ص:210.

2- حمزة بن قبلان المزيني، التحيز اللغوي وقضايا اللغة، سلسلة كتاب الرياض، العدد 125، ط:1، 1425-2004، ص:227.

الرحمن الحاج صالح، والحال نفسه لدى باحثي تونس الذين يستخدمون مصطلحات عبد السلام المسدي، وصالح القرمادي والطيب البكوش.

ومنه نستنتج أنّ ما يعرضه هؤلاء الأعلام من رصيد مصطلحي لساني في محاضراتهم أمام الطلبة هو نفسه ما يرد في مؤلفاتهم اللسانية في شكل مسارد، وهذا ما يسمح للمصطلحات اللسانية من الانتشار الواسع بفعل نشاط التعلّم، ومن ثم يتمّ ترسيخها في الأذهان.

ج- الوظيفة اللغوية:

تتجسّد في قدرة اللغة العربية على توليد المصطلحات العلميّة الدالّة على المستجدّات الفكرية؛ فواضع المصطلح يعمل جاهدا على نقل المفهوم الغربيّ وإعطائه مقابلاً عربيّاً، وله في ذلك عدّة طرائق منها: الاشتقاق، المجاز، النحت، الترجمة، التعريب، والاقتراض.

ويتجلّى هذا الأمر في اللسانيات بوضوح في ترجمة المؤلَّفات الغربية إلى العربية، ولهذا نجد أنّ كثيراً منهم يعملون على تذييل ترجماتهم بمسارد؛ فهي علاوة على كونها دليلاً لفهم مباحث المصنّف، تمثل في الوقت نفسه تجسيداً لإمكانية اللغة العربية في مواكبة البحث اللساني الحديث، ولو اطلعت على الكتب الموضوعة في هذا المجال لوجدتها زاخرةً بشتّى المصطلحات اللسانية في مختلف فروعها ومناهجها ومدارسها.

د- الوظيفة الثقافية:

تشكّل المسارد اللسانية نوعاً من التفاعل الثقافي والامتزاج الحضاري بين مقولات الدرس اللغوي التراثي، ونظريات البحث اللساني الحديث؛ فالباحث في هذا المجال بوضعه للمسرد يكون بإزاء خلق توأمة فكرية بين لغتين تتبادلان التأثير التأثّر؛ فاللغة العربية لمّا كانت في عصرها الذهبيّ

حاملةً لمشعل الحضارة، هاهي اليوم تستفيد من نظيراتها الغربية- إنجليزية وفرنسية وألمانية- في إثراء مخزونها المصطلحي في هذا الحقل المعرفي الغزير، فلا يجد الباحثون العرب اليوم أيّ حرج في ترجمة النظريات اللسانية الغربية الحديثة إلى اللغة العربية، لأنّ ذلك- في الحقيقة- هو مساهمة في ترقية هذه اللغة، وجعلها مواكبةً للتطوّر الحضاري في العالم.

وفي أثناء هذه العملية يجد المسرد اللسانيّ مكانته، من خلال مساهمته في ضبط المفاهيم، واختزال المسافات، وبالتالي تحقيق التقارب بين الثقافات المختلفة.

7 - المسرد ومكانته في البحث المصطلحي:

يفرّق المختصون في حقل الدراسة المصطلحيّة بين علمين متكاملين، أحدهما المصطلحيات(1) (Terminologie)؛ وهو علم نظري «ببحث العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية»(2)، والثاني صناعة المصطلح(3) (Terminographie) ويمثل إجراءً تطبيقياً تكمن مهمته في «العمل الذي ينصب على توثيق المصطلحات، وتوثيق مصادرها والمعلومات المتعلقة بها، ونشرها في شكل معاجم مختصة، إلكترونية أوورقية»(4).

جاء هذا التفريق قياساً على التمييز الحاصل بين المعجميات (Lexi-cologie) وصناعة المعجم (Lexicographie)؛ وكان ألان راي أوّل من أشار إلى ذلك[5].

1- يطلق عليها كذلك: علم المصطلح، المصطلحية، علم المصطلحات.

2- علي القاسمي، علم المصطلح- أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط:1، 2008، ص:263.

3- ومن تسمياتها: المصطلحية، المصطلحاتية، التدوين المصطلحي، الاصطلاحية، التوثيق المصطلحي.

4- علي القاسمي، علم المصطلح- أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ص:264-263.

5- ينظر: خالد اليعبودي، المصطلحيّة وواقع العمل المصطلحي في العالم العربي، دار

فالمسرد وثيق الصلة بصناعة المصطلح؛ فهو أحد المصادر الأساسية لجمع البيانات المصطلحية؛ والتي جاء ترتيبها في التصنيف العشري للمركز الدولي لعلم المصطلحات الإنفوترم (Infoterm)[1] على هذا النحو[2]:

330 مجموعات البيانات المصطلحية

331 المسارد أحادية اللغة

332 المسارد متعددة اللغات

333 المعاجم

334 المكانز

ومما تقدم تتبين مكانة المسرد بنوعيه– أحادي اللغة ومتعددها– في توثيق البيانات المصطلحية، وجمعها؛ فهو من أهم مصادر جمع البيانات المصطلحية؛ لذا جاء تصنيفه قبل المعاجم والمكانز، يتم اعتماده في بناء المعاجم المتخصّصة، ورقية كانت أم إلكترونية.

8 - استثمار المسرد في صناعة المعاجم اللسانية:

تشكّل المسارد مصادر مصطلحية يلجأ إليها واضعو المعاجم اللسانية، فمنها يستقون مادتهم؛ وهذا ما أشار إليه مؤلفو «معجم مصطلحات علم اللغة الحديث» في مقدمة عملهم حينما أشاروا إلى أنّهم استعانوا بالمسارد المستقلة التي أصدرها كلّ من: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعبد الرسول شاني، إضافة إلى اعتمادهم على المسارد الواردة في كتب أحمد مختار عمر

ما بعد الحداثة، فاس، ط:1، 2004م، ص:67-66.

1- نشأ المركز بفضل اتفاقية منظمة اليونيسكو والحكومة النمساوية سنة 1971، ويهدف إلى الإعلام بالأنشطة المصطلحية في العالم، ونشر البيانات المصطلحية بشتى اللغات، والمساعدة على ترقية اللغات الخاصة.

2 -46 ينظر: هربيرت بيشت وجنيفر دراسكاو، مقدمة في المصطلحية، ترجمة: محمد حلمي هليل، لجنة التأليف والتعريب والنشر، الكويت، ط:1، 2000م، ص:306.

وعلي القاسمي ومحمود السعران(1)، وفي ذلك دلالة واضحة على مكانة هذا الكشف الاصطلاحي في صناعة المعجم اللساني، فهو لا يقلّ شأناً عن المصادر الأخرى، كالمعاجم بنوعيها، عامةً كانت أم متخصّصةً.

ويمكن استثمار المسرد اللساني في عدة أوجه؛ يمكن إبرازها في أربعة مظاهر متكاملة، هي: تنمية الرصيد المصطلحي، وتسهيل إيجاد المقابلات، وتوحيد المصطلحات، وسدّ الثغرات المعجمية.

أ- تنمية الرصيد المصطلحي:

تمثل المسارد الملحقة بالكتب اللسانية كشّافات لمصطلحات هذا العلم، على اختلاف مصادره وتعدد مشاربه وتنوّع لغاته، ويبدو أنّ اعتمادها في صناعة المعجم إثراء للرصيد المصطلحي العربي في هذا الحقل المعرفي الجديد، طالما أنّ هذا المجال الحيوي ما فتئت مفاهيمه تنمو، ونظرياته تتطوّر نتيجة تطوّر مدارسه في أوروبا وأمريكا.

ويبدو أنّ المسارد اللسانية شكلت في الكتابات الأولى- لاسيما في فترة السبعينات والثمانينات من القرن الماضي- مرجعاً هامّاً لبناء معاجم هذا العلم؛ نتيجة ما تضمنته من مصطلحات أساسية في مباحث اللسانيات على اختلاف مستوياتها، وفروعها ومناهجها(2)، أو من خلال لسانيات التراث(3)، بل وحتّى في العلوم المنبثقة عن تطوّر مفاهيم الدرس اللساني على غرار السيميائيات والأسلوبيات.

1- ينظر: محمد حسن باكلا وآخرون، معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، ص: ل- م.

2- تمثله كتب: محمود السعران، أحمد مختار عمر، محمود فهمي حجازي.

3- من خلال كتابي: عبد السلام المسدي، وعبد القادر الفاسي الفهري.

ب- تسهيل إيجاد المقابلات:

تسمح المسارد اللسانية بإيجاد المقابلات العربية للمصطلحات- إنجليزية كانت أم فرنسية- بكلّ سهولة؛ بفضل انتظامها في ترتيب ألفبائيّ، ممّا ينعكس إيجاباً على صناعة المعجم المتخصّص، وذلك من خلال ربح الوقت، والاقتصاد في الجهد؛ فلا حاجة للمعجمي لاقتراح مقابلات جديدة، لأنّ الواضع لديه مدوّنةً مصطلحيّةً متداولةً بين أهل الاختصاص.

ج- توحيد المصطلحات:

إنّ الاعتماد على المسارد المصطلحية التي وضعها المختصون العرب في مجال الدرس اللساني كفيلة بالحد من الاضطراب المصطلحي؛ مادام هذا العمل في جوهره هو تجميع لما تم تداوله فعلاً، ولكن الواقع يبيّن عكس ذلك؛ فاللسانيون العرب «عمدوا إلى (طرح) مواد جديدة من المفردات التي لا يرقى أكثرها إلى مصاف المصطلحات في (سوق) التداول اللساني الذي يشكو اكتظاظاً وازدحاماً خانقاً»(1)، فلو اكتفى مصنّفو المعاجم اللسانية بما وُضع سلفاً من مصطلحات، لما وصل بهم الأمر إلى هذا الترادف المصطلحي الذي انعكس سلباً على استيعاب مقولات العلم، وتمثل مفاهيمه.

فالواقع يوحي وكأنّ مؤلفي هذه المعاجم ينطلقون من العدم؛ فتراهم يجتهدون في وضع مقابلات عربية لمصطلحات شاعت وتمّ تداولها على أوسع نطاق في الوطن العربي، والحاصل أنّه عِوض أن يتقدّم البحث اللساني خطوة إلى الأمام، يتقهقر خطوتين إلى الوراء.

1- أحمد محمد قدور، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سورية، ط:1، 2001، ص:20.

وعلى عكس ذلك فإنّ المعاجم اللسانية الغربية[1]- على غرار ما وضعه جورج مونان ورفاقه- انطلقت من جرد مصطلحات اللسانيات من مساردها في مؤلفات: دي سوسير ويلمسف ومارتيني ومارورزو وباي وغينور وفاشك وبيرون، أو في المسارد التي تطلب الأمر تكوينها كما في حالة: بلومفيلد وياكبسون وهاريس وتشومسكي[2].

وفي هذا السياق يكفي الاطلاع على ما أُلف من معاجم لسانية لإدراك حقيقة الترادف المصطلحي الذي ينخر جسد العربيّة، ويعيق تقدّمها في هذا الحقل المعرفي[3].

معجم	بسام بركة	إميل يعقوب ورفاقه	المعجم الموحّد1	مبارك مبارك
سنة وضعه	1984	1987	1989	1995
مداخله	فرنسية:2732	إنجليزية:**1902**	إنجليزية:**3059**	فرنسية:**2904**
مقابلاتها	4821	5132	3589	3809
الفارق	2089	3230	530	905

1 - وهي جماعية الوضع غالباً: معجم اللسانيات الذي أشرف عليه جورج مونان، شارك في صناعته 20 مختصاً، ومعجم ديبوا ساهم في وضعه 5 مختصين.

2 - voir : Georges Mounin, Dictionnaire de la linguistique, p : xxv.

3 - ينظر: خالد اليعبودي، آليات توليد المصطلح وبناء المعاجم اللسانية الثنائية والمتعددة اللغات، منشورات ما بعد الحداثة، فاس، ط:1، 2006م، ص:195-187.

وعليه يمثل المسرد اللساني حلاً ناجحاً للتقليل من التشتت المصطلحي؛ فلو اقتصر عمل المعجمي على استقراء ما وضعه المختصون من مصطلحات لسانية في شتى المدارس والفروع والمناهج، لما وصل الأمر إلى ما هو عليه اليوم؛ طالما أنّ مهمة واضع المعجم اللساني ليست محصورةً في وضع المقابلات اللسانية، بقدر ما هي رصد وتصنيف للمفاهيم المتداولة في ذلك المجال المعرفي؛ وذلك من خلال قيامه بتجميع المصطلحات التي وضعها أهل الاختصاص للدلالة على تلك المفاهيم في مؤلَّف.

د- سدّ الثغرات المعجمية:

تعد الثغرات المعجمية (Lexical gap/Trou lexical)[1] أحد الإشكاليات التي يسعى المعجمي إلى معالجتها؛ ولاسيما عندما يتعلق الأمر بالترجمة من لغة إلى أخرى، وذلك باعتماد التوليد لسدّ الخانات الفارغة في التعبير عن المفاهيم والأشياء الجديدة، والخانات نوعان:

- طبيعية: يحدثها التحول الاجتماعي أو الذهني في الداخل، كمفاهيم العلوم والحرف وسائر أنماط النشاط الاجتماعي.

- اضطرارية: ناشئة عن علاقات التأثير والتأثر المتبادلة بين العربية وغيرها من اللغات، نتيجة عوامل ثقافية وحضارية[2].

وفي مجال اللسانيات يظهر حرص المختصين على نقل المفاهيم الغربية الوافدة إلى العربية من خلال اختيار الوسيلة المناسبة لذلك؛ بغية وضع مقابلات تتسم بالدقة والوضوح، طالما أنّ عملية الاصطلاح مقاربة اسمية

1- هي «عدم وجود كلمة واحدة للدلالة على مفهوم معين، وفي هذه الحالة تستعين اللغة بعدة كلمات»، ينظر: محمد علي الخولي، معجم علم اللغة التطبيقي (إنكليزي-عربي) مع مسرد عربي- إنكليزي، مكتبة لبنان، بيروت، ط:1، 1986، ص:68.

2- ينظر: إبراهيم بن مراد، مسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:1، 1997، ص:46.

(onomasiological) تنطلق من المفاهيم لبحث تسميات لها، خلافاً للمعالجة المعجمية التي تعتمد مقاربةً معنويةً (Semasiological) تنطلق من الكلمة وتبحث عن معناها[1].

ولما كانت المسارد مصادر مصطلحية ثرية فهي قادرة على معالجة الثغرات المعجمية التي تعترض المعجميين حين يريدون التعبير عن مستجدات البحث اللغوي، في شتى نظرياته ومناهجه؛ فالمتصفح لمسرد عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه «اللسانيات واللغة العربية» يجده حافلاً بالعديد من مصطلحات اللسانيات التوليدية التحويلية التي أرسى مبادئها اللساني الأمريكي نعوم تشومسكي، وكان اجتهاد الفاسي الفهري واضحاً في اقتراح مقابلات عربية لمفاهيم هذا الاتجاه اللساني الجديد؛ ومن ذلك مصطلحات:

سسرّب (accessibility)، تطابق (agreement)، تشجيرة (configura-tion)، توارد (co-occur)، تفكيك (dislocation)، توارّث إعرابي (inheri-tance case)، تأليف معجمي (lexical composition)، تماكن (location)، تشذيب (pruning)، تسوير (quantification)، تمثيل (representation)، تفريع مقولي (sub categorization)، مكوّن إعرابي ((case component)، وسم إعرابي (case marking)[2].

فهذه المصطلحات وغيرها تشكل مفاهيم النظرية التوليدية التحويلية عبر مراحل تطورها المتعاقبة.

1- ينظر: خالد الأشهب، المصطلح العربي البنية والتمثيل، عالم الكتب، إربد، الأردن، ط:1، 1432هـ2011-م، ص:86.

2- ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية– نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ومنشورات عويدات، بيروت، باريس، ط:1، 1985، ج:2، ص:439-419.

فالمسارد تعد خير وسيلة لملء الفجوات المعجمية التي تعترض اللغة العربية أثناء مواكبتها لتطورات الدرس اللساني الحديث؛ لأنّها تتضمن المصطلحات التي اقترحها اللسانيون العرب للدلالة على المفاهيم المستحدثة في هذا الحقل اللغوي.

9 - المسارد مصادر في المعاجم اللسانية:

يمكن توضيح مدى توظيف المسارد في وضع المعاجم اللسانية العربية الحديثة انطلاقاً من هذه العينة، التي شملت المؤلفات اللسانية العربية الأولى التي ظهرت طيلة ثلاثين سنة (1960-1989)، بغية رصد مدى استفادة المعجميين من المسارد من جهة، وكشف حجم توزيعها من جهة أخرى، وذلك منذ 1977 سنة تأليف أول معجم لساني عربي؛ ويتعلق الأمر بمؤلف الحمزاوي، حتى عام 2009؛ تاريخ ظهور معجم الفاسي الفهري كاملاً.

مسارد معاجم	مجمع القاهرة	السعران	مختارعمر	شاني	القرمادي	المسدي	الفهري	مساردة
الحمزاوي	+	+	-	+	+	-	-	4
الخولي	+	-	+	-	-	-	-	2
باكلا ورفاقه	+	+	+	+	-	-	-	4
بسام بركة	+	+	+	+	-	+	-	5
بعلبكي	+	+	+	+	+	+	+	7
عياد حنا	+	-	+	-	-	-	-	2
الفهري	+	-	-	-	-	-	+	2
الاستخدام	7	4	5	4	2	2	1	

من الجدول يتضح تفاوت المعاجم في اعتماد المسارد اللسانية؛ فكل المعاجم تضمنت مسارد مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ لأنّ هذه الأخيرة جماعية الوضع تم إقرارها بناء على منهجية موحّدة، أما بقية المسارد فتوزعت بنسب متفاوتة، جاء أعلاها مصنَّف أحمد مختار عمر «دراسة الصوت اللغوي»؛ والذي ذيّله بمسرد المصطلحات الصوتية، وتلاه مؤلَّف محمود السعران»علم اللغة مقدمة للقارئ العربي»؛ الذي ضمّنه عدة مصطلحات لسانية؛ بهدف مساعدة القارئ المبتدئ على استيعاب مبادئ هذا العلم الجديد، ونفس المرتبة حظي بهام مسرد عبد الرسول شاني الذي ظهر سنة 1977م.

وجدير ذكره أنّ جلّ هذه المسارد وُجدت في فترة السبعينيات من القرن الماضي؛ لذا شكلت مصادر أساسية لبناء المعاجم اللسانية في تلك المرحلة.

أما المسارد الأخرى فكان موقعها كمصادر للمعاجم محتشماً؛ لسبب بسيط هو كون المعاجم اللسانية الموضوعة لاحقاً استفادت منها بطريقة غير مباشرة؛ وذلك لأنها موجودة ضمنياً في ثنايا المعاجم الأولى؛ على غرار مصنفات الحمزاوي والخولى، وهنا لا حاجة لواضع المعجم أن يوردها ثانية.

ولكن رمزي منير بعلبكي أورد كل ما اعتمده من مصادر في مصنّفه، سواء أكانت معاجم أو كتب لسانية؛ لذا جاء معجمه مشتملاً على كل المسارد اللسانية الموضوعة حتى زمن التأليف[1]، فكانت نسبة توظيف المسارد لديه عالية جدّاً مقارنة بغيره.

1- طبع المعجم سنة 1990.

في حين نلاحظ أنّ عزت علية عياد، والفاسي الفهري، قد وظّفا مسردين فقط في معجميهما، على الرغم من كونهما حديثي الظهور، بخلاف بسام بركة الذي استقرأ خمسة مسارد كاملة، واستعان بها في تأليف معجمه.

ومها يكن من أمر، فإنّ المسارد على اختلاف لغاتها، وتباين مضامينها، تعدّ مصادر غنية بالمصطلحات اللسانية، في شتى فروعها واختصاصاتها، يلجأ إليها المعجميون، لصناعة معاجم متخصّصة تتسم بالشمول والمعاصرة في آن واحد.

خاتمة:

وصفوة القول أنّ المسارد اللسانية لازالت بحاجة لمزيد من الدراسة والبحث؛ وذلك لأنّها جزءٌ لا يتجزّأ من الكتابة اللسانية العربية الحديثة؛ نظير ما تؤديه من وظائف تعليمية ولغوية وثقافية من جهة، هذا علاوة على كونها مصادر مهمة في مجال التوثيق المصطلحي؛ لأنّها المظان التي يعول عليها المعجميون في بناء المعاجم المتخصّصة.

وعليه وجب الاهتمام بالمسارد في البحث اللساني، بكل مستوياته وفروعه، النظرية منها والتطبيقية؛ حتّى نقدّم للقارئ العربي- مبتدئاً كان أم متخصّصاً- مفاهيم هذا العلم وآخر مستجداته في قالب يسمح بسهولة استيعابه نظرياً، ويتيح له إمكانية استثماره عملياً.

الحس المأسوي في الشعر الأندلسي

أ.د عبد القادر هني
قسم اللغة العربية و آدابها
جامعة الجزائر 2

كلّ من يقرأ الشعر الأندلسي و يصغى إليه بأذن مرهفة و يستقبل خوالج شعرائه بنفس حساسة بالجمال متجاوبة مع ما كانت تطفح به نفوسهم من مشاعر و أحاسيس يدرك أن مصدر هذا الشعر لم يكن دائما تلك النفوس المتوثبة التي تجاوبت بعمق و بعشق شديد مع ما عرفه هذا الصقع في فترات مختلفة من تاريخه قبل منصرم القرن الرابع الهجري من مباهج و أفراح كان مسرحها مجالس الأمراء و الملوك و ما كانت تعج به الأندلس من نوادٍ و جنان، بل كانت هناك أيضا عوامل مثلت في هذه الفترات نفسها مصدراً لجراحات و مواجع اكتوت النفوس بضرامها و ألهبها شواظ نيرانها. فإذا أنعمنا النظر في الظروف الحافة بالشاعر الأندلسي يومئذ بحثا عن أسباب هذه المواجع و بواعثها رأيناها متصلة في الأعم الأغلب بالعامل السياسي سواء حين تعلق الأمر بشخصيات تعاطت الشعر و خاضت بعض الخوض في الحياة السياسية فاصطلت بلهبها المحرق أم حين تعلق بشخصيات أخرى بينها و بين الشعر نسب و علقة أمكناها من المشاركة في الحياة الأدبية بما كانت تفيض به قرائحها من درر

لكنها لم تكن بمنجاة من تبعات وضع سياسي مربك فكانت من ضحاياه و إن لم تشارك فيه و لا أبدت لأيّ من المتنازعين في حلبته ميلاً أو هوى و لا تعاطفت معه تعاطفا سياسياً.

إن الواقع السياسي الذي سيسم شعر طائفة من الشعراء بالطابع المأسوي الذي سنحاول إبرازه في هذه السطور هو إفراز من إفرازات سياسية الحكم المستنصر الذي تولّى أمر الأندلس بعد أن قضى أبوه الناصر الذي شهد المؤرخون أنه جعل من أندلس أواخر القرن الثالث الهجري أندلساً جديدة و هيّأها لحمل مشعل الحضارة بما وفره لها من أمن و استقرار نتيجة حزمه في تسيير شؤون الدولة السياسية و المالية.[1] فالناصر و إن كان في سياسته قد غلّب العنصر الأجنبي على العنصر العربي، لاسترابته بالقبائل العربية فعمل على سحق عصبيتها بهذا التغليب و بالإقصاء والإبعاد، لكن هؤلاء الأجانب من صقالبة و غيرهم كانوا آلات طيعة في يده يرجعون إليه في كل صغيرة و كبيرة، و لم يسمح لهم حزمه إن يبرزوا نفوذهم. ولما تولّى الحكم المستنصر الذي لم تكن له قوة شخصية والده و لا حزمه و قبضته على زمام الأمور، واصل في تقديم الأجانب و الصقالبة منهم خاصة، لذلك و من اللحظة الأولى من جلوسه على أريكة العرش في منتصف القرن الرابع الهجري (350هـ) نجد أنفسنا أمام مشهد يوحي لنا بما سيكون للصقالبة من خطر في فترة حكمه، قال المقري عن أول جلوس الحكم على العرش: « و أول ما أخذ البيعة على صقالبة قصره والفتيان المعروفين بالخلفاء الأكابر كجعفر صاحب الخيل و الطراز و غيره من عظمائهم و تكفّلوا بأخذها على من وراءهم و تحت أيديهم من طبقتهم و غيرهم».[2]

إن كلام المقّري يعطينا فكرة عمّا منحته سياسة الحكم للصقالبة من نفوذ، فهم أول من أخذ بيعتهم وكلفهم نيابة عنه بأخذها على غيرهم. إنه لتحول خطير في السياسة سيزيد من خطورته انصراف الحكم أكثر من أيٍّ ممن تقدموه إلى الاهتمام بالحياة العلمية و الثقافية عامة[3] ، التي ستدفع بها سياسة الحكم إلى درجة لم تبلغها من قبل. وزاد من خطورتهم عددهم الذي تزايد تزايداً ملحوظا، فقد ذكر ابن عذاري أن القصر وحده اشتمل على ما يزيد عن ألفٍ من الخصيان و أن الجيش تكوّن برمته تقريباً من الصقالبة و أصبحت قيادته بين أيدي اثنين من كبارهم هما فائق وجؤذر الحكمي[4].

إن السياسة التي انتهجها الحكم ستؤدي إلى ظهور شخصيات سيكون لها دور خطير في أحداث الفترة التالية، قال الفتح بن خاقان يتحدث عن جعفر المصحفي: « و استوزره المستنصر، و عنه كان يسمع و به يبصر، فأدرك بذلك ما أدرك، و نصب لأمانيه الحبائل و الشرك و اقتنى و ادخر و أزرى بمن سواه و سخر»[5].

إن أمثال جعفر المصحفي و صقالبة القصر، أتاحت لهم سياسة الحكم توسيع نفوذهم و تعزيز مراكزهم، و هو أمر سيخلق بينهم صراعاً عنيفا في فترة تالية، فعند وفاة الحكم المستنصر(366هـ) كان نفوذ الصقالبة قد بلغ أوجه و سلطة المصحفي اتسعت و استحكمت، و ذاعت شهرة شخصية أخرى هي المنصور بن أبي عامر الذي قال عنه لسان الدين بن الخطيب «... كان – أي المنصور- آية من آيات الله فطرة دهاء و مكر و سياسة»[6]. وساعد على احتدام الصراع بين هذه الشخصيات التي لم يكن لطموحها في الاستحواذ على السلطة حدود أن خليفة الحكم كان

ابنه هشام المؤيد الذي لم يكن يومئذٍ قد بلغ سن الاحتلام. لذلك كان من الطبيعي أن يَسهل – على من ستكون له الغلبة- تحييده و الحجر عليه و تسيير شؤون الدولة باسمه بعد أن يكون قد أجهز على منافسيه مستعينا ببعضهم على بعض، إلى أن خلا له الجو فجمع مقاليد الأمور بين يديه، قال ابن الخطيب يتحدث عن الطريق الذي سلكته إحدى هذه الشخصيات المتصارعة- وهي المنصور بن أبي عامر- للتخلص من منافسيها و الاستحواذ بالسلطة «... عدا (يعني المنصور) بالمصاحفة على الصقالبة حتى قتلهم، ثم بغالب على المصاحفة حتى قتلهم ثم عدا بجعفر بن الأندلسي على غالب حتى استراح منه، ثم عدا بنفسه على جعفر حتى أهلكه ثم انفرد بنفسه ينادي صروف الدهر هل من مبارز؟ فلما لم يجده حمل الدهر على حكمه ، فانقاد له و ساعده، و استقام له أمره منفردًا بسابقة لا يشاركه فيها غيره».[7] أو حسب عبارة المقري « تجرد (أي المنصور) ، لرؤساء الدولة ممن عانده وزاحمه، فمال عليهم، و حطّهم عن مراتبهم و قتل بعضًا ببعض، كل ذلك عن أمرِ هشام و خطّه و توقيعه، حتى استأصلهم و فرق جموعهم، و أول ما بدأ بالصقالبة الخصيان الخدام بالقصر ، فحمل الحاجب المصحبي على نكبتهم، فنكبهم و أخرجهم من القصر، و كانوا ثمانمائة أو يزيدون، ثم أصهر إلى غالب مولى الحكم، و بالغ في خدمته و التنصح له، و استعان به على المصحفي فنكبه و محا أثره من الدولة ، ثم استعان بجعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة و قائد الشيعة ممدوح ابن هانئ بالفائية المشهورة و غيرها، و هو النازع إلى الحكم أول الدولة بمن كان معه من زناتة و البربر، ثم قتل جعفرًا بممالاة ابن عبد الودود و ابن جهور و ابن ذي النون و أمثالهم من أولياء الدولة من العرب و غيرهم»[8].

هكذا نكّل المنصور بمنافسيه شرّ تنكيل و بطش بهم بطشا شديدًا وسامهم خسفا و سقاهم كأس الذل صرفا. و قد كان من بين هذه الشخصيات التي ذلت بعد عزّ و لحقها بعد اليسر عسرٌ شعراء، فراحوا يبكون في غنائية شجية ماضيهم الدابر و صوروا كبوة الدهر بهم تصويرًا يعكس ثقل المأساة التي ألمت على نفوسهم فتضوّروا ألما من واقعهم في السجون التي أضحت لهم سكنًا، بعد القصور المنيفة التي تفننوا في زخرفتها وتأثيتها في عهد العزّ و الرخاء عندما ابتسمت لهم الحياة بملء فيها، فتراكمت الأحزان في أحنائهم فأرسلوها أنينا شجيا و حسرات موجعة وتأوهات تنفطر لها الأكباد في شعر غلبت عليه عاطفة قاتمة تعبر عن كآبة هذه النفوس المنكوبة. على أنه لا بد أن نسجل بأن هذا اللون من الشعر في الأندلس لم يظهر لأول مرة في ظل عنف السياسة التي انتهجها المنصور بن أبي عامر، إنما عرفه الأدب الأندلسي قبل عهد العامريين بمدة، فالتنافس المحتدم بين بعض الشخصيات المقربة من السلطان لاعتلاء المناصب الرفيعة، جعل طائفة منها تذهب ضحية الدسائس و المؤامرات التي يخلقها الصراع على المنصب. كما أن بعض الشخصيات السياسية الكبيرة كثيرًا ما كانت تنتهي مصائرها إلى حيث لم يكن في حسابها ، بسبب تقلب الأوضاع و اضطراب حبال الأهواء من حال إلى حال [9] ، مثلما حدث لهاشم بن عبد العزيز الذي كان تقلد الوزارة و الحجابة في عهد الأمير محمد (ت 273 ه) فألقى ظله على كل سلطة، غير سلطة الأمير، ثم تقلب به الحال في عهد الأمير المنذر بن محمد (ت 275ه) لِما عُرف به من تيه وصلف و شره في العهد السابق [10]، فأدخل السجن و صُفّد بالحديد و ضرب وهدمت داره فتألم لنكبته تألما شديدا ، فكتب شعرا أرسل به إلى جاريته «عاج» يصور لها فيه محنته و مأساته في سجنه، قال[11]:

وإني عداني أن أزورك مطبقٌ وبابٌ منيعٌ بالحديد مُضبَّبُ
فإن تعجبي يا «عاج» مما أصابني ففي ريب هذا الدهر ما يتعجبُ
وفي النفس أشياء أبيتُ بغمّها كأني على جمر الغضى أتقلب
تركت رشاد الأمر إذ كنت قادرًا عليه فلاقيت الذي كنت أرهب
وكم قائل قال:أنج ويحك سالمًا ففي الأرض عنهم مسترادٌ ومذهب
فقلت له : إن الفرار مذلةٌ ونفسي على الأسواء أحلى وأطيب
سأرضى بحكم الله فيما ينوبني وما من قضاء الله للمرء مهرب
فمن يك مسرورًا بحالي فإنّه سينهل في كأسي وشيكا ويشربُ

إن ما يهمنا في هذا المقام ليس التأريخ لهذا اللون من الشعر، إنما يهمنا أن نتبيّن بعض سماته و خصائصه. و لعل أول ما يلفت النظر فيه اتجاه الشعراء إلى تصوير نكباتهم بإيقاع شجيّ و نغم وئيد يظهر لك الشاعر في مظهر الضعيف المغلوب على أمره الذي يستحق العطف و الرثاء لحاله، فلا تحس و أنت تقرأ هذا الشعر بشيء من الاعتداد بالنفس و الزهو والفخر بإباء الضيم و الذل إلاّ في حالات نادرة جدا حين ييأس الشاعر من الانطلاق، فجعفر المصحفي الذي كان في عهد عزّه لا يخرج إلاّ في موكب كثيف حتى ليعز على المرء الوصول إليه ، لكثرة من يحف به من خدم و حشم، نسمعه و قد نكبه المنصور بن أبي عامر فتكورت شمسه كما قال الفتح بن خاقان، يستعطف ناكبه استعطاف العبد الذليل بصوت شجي غير معهود لديه في شعر المرحلة الزاهية من حياته الذي كان حافلا « بالرؤى الحالمة و الأطياف العذبة، تعكس ما لاقاه الشاعر في حياته من نجاح و توفيق، و ماحالفه من سعدٍ و يُمن رفعاه إلى مصاف فحول الشعراء و كبار الوزراء»[12].

قال المصحفي[13]:

عفا الله عنك ألا رحمةً تجود بعفوك أن أُبعدَا
لئن جلَّ ذنبٌ ولم اعتمده فأنت أجلُّ وأعلى يدا
ألم تر عبداً عدا طوره ومولى عفا ورشيدا هدى
و مُفسد أمرٍ تلافيته فعاد فأصلح ما أفسدا
أقلني أقالك من لم يزل يقيك ويصرف عنك الردى

إن هذه الأبيات تظهر المصحفي ضعيفا ذليلاً يستحق العطف والشفقة و تكشف عن مأساته و عمق أثر النكبة في نفسه من خلال موسيقاها الشجعية التي غلبت عليها غنائية شفافة. و لا ريب فقد كان المصحفي أشد الناس خورًا عندما سجن[14]. و لعل مرجع إحساسه بعمق مأساته كما يتجلى من الأبيات، المفارقة الشديدة بين إشراقة أمسه الدابر و ظلام حاضره القائم التي صورها الفتح بن خاقان تصويرًا دراميا[15]. وكلام الفتح يوقفنا على عنف نكبة الشاعر و مأساته المروعة، و هو ما جعل صورته في شعره الذي قاله مستعطفًا المنصور أشجى و أرق من هديل الحمام، فها هو، في مقطوعة أخرى، يستعطف ابن أبي عامر استعطاف العاجز المغلوب على أمره ويرجوه أن يشفق عليه ويرحم فيه ضعفه وشيخوخته، قال[16]:

هبني أسأت فأين العفو والكرم إذ قادني نحوك الإذعان والندم
يا خير من مُدت الأيدي إليه أما ترثي لشيخ رماه عندك القدم
بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدرٍ إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا

إذا كانت هذه الظاهرة أوضح في شعر المصحفي منها عند غيره، للمفارقة الشديدة بين ما كان فيه من نعماء و عيش رغد و جاه كبير،

وبين ما انتهى إليه في مطبقه من فاقة وعوز وضعف بلغ مداه حتى لكأنه لم يغن بالأمس، فإن ما قاله المنكوبون الآخرون في سجونهم لم يعر من مثل هذا الإحساس المأساوي الذي لمسناه عند المصحفي يظهر ذلك من العاطفة الغالبة على أشعارهم والتي تعكس ما كانت تمور به نفوسهم من إحساس عميق بمآسيهم ولّده السجن في تلك النفوس المجروحة فراحت تسكب دواخلها في نغم رقيق يطبعه الأنين والشكوى، فلنصغ إلى محمد بن مسعود الغساني البجاني كيف يخاطب المنصور بصوت رقيق يُعبّر فيه عن معاناته في محبسه، ويسأله أن يرفع عنه القيد وأن يترك أمره للقدير الرحيم، إن كان ما رّمي به من رهق في دينه صحيحا، قال[17]:

دعوتُ لمَّا عيل صبري فهل ... يسمع دعوايَ المليك العليم
مولاي، مولاي ألا عطفة ... تذهب عني بالعذاب الأليم
إن كنتُ أضمرتُ الذي زخرفوا ... عني فدعني للقدير الرحيم
فعنده نزّاعة للشوى ... وعنده الفردوس ذات النعيم

أما أبو الأصبغ عيسى بن الحسن ، فإن إحساسه بمأساته قد بلغ مبلغه من نفسه في سجنه فالتفت إلى ما حوله من عناصر الطبيعة فأسقط عليها مشاعره وأحاسيسه ، متوهما أنّ الحمام يقاسمه حزنه وأساه، فخاطب المنصور يستثير في نفسه مشاعر العطف والرحمة ليفك عنه قيده فقال[18]:

وإن سمعت أذناك للوُرق رنةً ... فحزني يبكيها وفرطُ تفجُّعي
وإن هطلت يومًا على الأرض مُزنة ... فلي سَمحت بالدمع مع كل مربع

إن ابن بسام لم يرضه تصوير الشاعر مأساته على هذا النحو، فرأى في البيتين تكلفا. ويبدو أن صاحب الذخيرة لم يضع في حسابه أن استبداد

الأسى بنفس الشاعر و فرط شوقه إلى الانطلاق من محبسه هو ما حدا به لأن يشرك الطبيعة في الإحساس بمأساته و بنكبته. فإذا كان الأناسي لم يحركهم شجوه و أنينه فيرفعوا عنه القيد و يردوا إليه حريته، فإنه وجد في الطبيعة متنفسا، فأرهف سمعه إليها، فوجدها أكثر رحمة من أولئك الذين ضيقوا عليه و سلبوه حقه في الحياة الحرة، فالحمام الأعجم كما تصور الشاعر تجاوز ذاته فاندمج معه في وحدة شعورية فأحس بمأساته و بكى متجاوباً معه و مشاركا له في محنته.

مسألة أخرى نتبينها في هذا اللون من الشعر هي استيقاظ حب الحياة في نفوس الشعراء[19] ، يتبين ذلك من الشواهد المتقدمة نفسها، فهؤلاء المنكوبون، إذ يستعطفون ناكبيهم، فإنهم يعبرون في حقيقة الأمر عن شوقهم إلى الانطلاق و الخروج إلى الحياة التي حيل بينهم و بينها. و لعل الأبيات التالية لأبي الأصبغ عيسى بن الحسن توضح هذه المسألة و تزيدها بيانا، قال[20]:

ليت شعري كيف البلاد و كيف الـ إنس و الوحش و السماء و الماءُ
طال عهدي عن كل ذلك، وليلي ونهاري في مقلتي سواءُ
ليس حظي من البسيطة إلاّ قدرُ قبر صبيحة أو مساءُ
وإذا ما جنحتُ فيه لأنس أوحشتني بأنسها الأغبياءُ

إن الشاعر إذ يتساءل عن الحياة خارج محبسه، فإنه يعبر عن شوقه إلى الانطلاق و الخروج إلى فضائها الفسيح، فقد بَعُدَ العهد بينه و بينها، فانقطعت بينهما الأسباب ، فغدا كلّ شيء مظلما في نفسه كأنه الليل البهيم، و زاد من تكثيف همومه و شعوره بعنف قيده أنه لم يجد بين المسجونين معه من يخفف عنه ثقل مأساته أو يجعل حياته في محبسه

قريبة من تلك التي يتطلع إليها خارج المطبق ، لذلك أضحى وكأنه يعيش الموت في الحياة.

ونلقى مثل هذا الشوق إلى بهجة الحياة خارج السجن عند عبد العزيز بن الخطيب الذي صادفه يوم مهرجان في المحبس فقال:[21]

رويدك أيها الشوق المذكيُّ لنار صبابتي بالمهرجانِ
لقد أذكرتَ مني غير ناسٍ وهجت لي الصبابة غيروانِ
أيوم المهرجان أعذر فحالي تراها في البلاد كما ترانِ
ولولم يثنني طبقٌ وقيدُ لرحت وقُيدَ لي قصبُ الرهان

على هذا النحو نتبين كيف أن شدة إحساس الشعراء بمآسيهم في سجونهم أيقظت في نفوسهم قيمة الحياة التي حُرِموا منها وجمالها فعبروا عن تعلقهم بها، فعبد العزيز بن الخطيب في أبياته يتوق إلى المشاركة في مباهج الحياة في مثل هذا اليوم الذي تمثل له شخصا يعي ويسمع فراح يخاطبه مثلما يخاطب الأحياء، لكن مطبقه حال بينه وبين الانطلاق إلى فضائها الفسيح ليعبَّ من مباهجها.

وقد حركت هذه المآسي التي كانت تملأ أحناء مثل هؤلاء الشعراء في سجونهم عاطفة إنسانية سامية هي عاطفة الأبوة، مثلما هي الحال عند أبي مروان الجزيري الذي غمر نفسه شوق جارف إلى ابنه الصغير حين تذكر، وهو يتجرع مأساته في محبسه بقلعة طرطوسة[22] ، لحظة وداعه الأهل وهو يقتاد إلى هذا المعتقل، فقال[23]:

وإذا الفتى فقد الشباب سما له حب البنين ولا كحب الأصغر
عجبًا لقلبي يوم راعتنا النّوى ودنا وداعك كيف لم يتفطر
ما خِلتُني أبقى خِلافك سَاعَةً لولا السكونُ إلى أخيك الأكبر

و كان من الطبيعي و قد اشتد الشعور بالمأساة لدى هؤلاء الشعراء حين بولغ في التضييق عليهم و في إذلالهم أن يلتفتوا إلى أيام العزّ، يوم كانت الحياة مقبلة عليهم ، فقد وقفوا عليها وقوفهم على طلل يرثونه بعد أن سلبه كرُّ الدهور نضارته فأبلاه. فمحمد بن إسماعيل كاتب المنصور بن أبي عامر يُروى أنه في إحدى الغزوات التي كان المنصور ينقل المصحفي المنكوب معه إليها. رأى ابنه عثمان « يَسِفُّ دقيقا قد خلطه بماء ويقيم به أوده، ويمسك بسببه رَمقهُ ، بضعفِ حالٍ وعدم زاد، فانطلق المصحفي، يقول[24] :

تأملتُ صَرفَ الحادثات فلم أزل ... أراها توفي عند موعدها الحُرّا
فللّه أيام مضت بسبيلها ... فإني لا أنسى لها أبدًا ذكرا
تجافت بها عنا الحوادث بُرهة ... و أبدت لنا منها الطلاقة و البشرا
ليالي لم يَدر الزمانُ مكانها ... ولا نظرت منها حوادثه شزرا
وما هذه الأيام إلاّ سحائبُ ... على كلّ أرضٍ تُمطر الخير و الشرا

إن إحساس المصحفي العميق بمأساته دفعه إلى أن يرثي ماضيه الجميل و سعادته الآفلة بعد أن أدركها البلى و أذبلت الحوادث زهرتها، ونحس لديه حنينا قويا إلى تلك الأيام التي وَلَّت إلى غير رجعة، و يدعوه ذلك إلى تأمل تقلب الأيام و تحوّل حياته بين الماضي و الحاضر، فيخرج بحكمه وجد فيها شيئا من العزاء مما تطفح به النفس من آلام و أحزان، و مؤدى هذه الحكمة أن الخير و الشر في الدنيا مقترنان، مُشبها الأيام بما تحمله للإنسان في أثنائها بسحابة تمطر الأرض خيرًا و شرًا ، فالمطر قد يكون نافعا فيبعث الحياة في الأرض بعد قحطٍ و جفافٍ، و قد يكون وبالاً على ما انبتته من كل زوج بهيج فيجرفه فتضحى الأرض على إثره خراباً

يباباً، كالخراب الذي أحدثه السيل الذي وصفه امرؤ القيس في ملعقته الخالدة.

على هذا النحو الذي صوره المصحفي في بيته الأخير ، نرى هؤلاء الشعراء الذين عاشوا أمدًا يتقلبون في نِعم الحياة و رخائها، حين أدبرت الحياة عنهم و قلبت لهم ظهر المجن، فذاقوا مرارة البؤس، يتعمقون نفوسهم و يتأملون ما كانوا فيه و ما أصبحوا عليه فيستخرجون مواعظ و حكما، فهذا المصحفي نفسه يدعو الإنسان – في أبيات أخرى- إلى ترقب الزمن المتقلب بأهله مفيدًا من تجربته هو، فيقول[25]:

لا تأمننّ من الزمان تقلّباً إن الزمان بأهله يتقلب

ولقد أراني و الليوث تهابني و أخافني من بعد ذلك الثعلب

حَسبُ الكريم مهانة و مذلةً ألاّ يزال إلى لئيم يَطلبُ

و قد رأينا في الأبيات التي أوردناها لهاشم بن عبد العزيز الذي تقلب عليه الزمن مثلما تقلب بالمصحفي شيئا من هذه الحكمة التي أفرزها عمق إحساسه بمأساته ختم بها أبياته حين خاطب الشامتين به مذكرا أياهم أن نهاياتهم لن تكون خيرًا من نهايته إذ قال:

فمن يك مسرورًا بحالي فإنه سينهل في كأسي وشيكًا و يشرب

و مثلما انتهى المصحفي بعد ما ولدته لديه مأساته من شكوى و أنين إلى الحكمة ، نرى أبا مروان الجزيري الذي كانت الحياة قد أقبلت عليه حينا من الدهر، إذ كان في عداد كتاب الديوان في دولة المنصور، بعد أن زلت به القدم و غيّب في السجن بطرطوشة، يتعمق نفسه و يقلب الطرف في تجربته الحياتية فيستخلص حكمة تعليمية و يوجهها إلى بنيه في عصر مملوء بالدسائس فيقول:[26]

واخزن لسانك واحترس من نطقه واحذر بوادر غيّه ثم احذر
واصفح عن العوراء إن قيلت وعُد بالحلم منك على السفيه المعور
وكل السيّئ إلى إساءته ولا تتعقت الباغي يبغي تنصر
وإذا سئلت فجد وإن قلّ الجدا جُهدُ المقل إزاء جُهدِ المكثر

إن الجزيري بعد المأساة التي تعمقت نفسه على إثر نكبته و ابتلائه مرّ الحياة بعد حلولها استخلص هذه الحكمة التي أرادها مركبة نجاة لبنيه في زمن محفوف بالدسائس و المؤامرات ويسمه العنف الشديد الذي لا مكان فيه للرحمة و الشفقة.

و الظاهرة التي تلفت النظر في شعر ضحايا المؤمرات و الدسائس السياسية هؤلاء هي أنهم بعد أن يشتد عليهم الأحساس بمآسيهم يهرعون إلى الاستشفاع المتذلل طلبا للخلاص و العودة إلى رحاب الحياة و لمَا يعزٌ عليهم ذلك كثيرا ما يلوذون بالصبر، لكنه صبر الذليل الضعيف المستسلم لقدره. فالمصحفي بعد أن لم يجده أنينه و بكاؤه نراه يحض نفسه على الصبر و أن تموت كريمة عزيزة، سوى إن ذلك لم يحدث منه إلاَ بعد أن سقى نفسه مذلة الاستعطاف. وحتى في هذه الحالة التي يحثُ فيها نفسه على الصبر لا ينكر أنه ذلَ بعد عز و احتمل الضيم احتمال الضعيف العاجز ، فهو يقول[27]:

صبرت على الأيام لما تولت وألزمت نفسي صبرها فاستمَرت
فوا عجبا للقلب كيف اعترافه وللنفس بعد العزّ كيف استذلت
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فإن طمعت تاقت وإلا تسلّت
وكانت على الأيام نفسي عزيزة فلما رأت صبري على الذل ذلّت
فقلت لها: يانفس موتي كريمة فقد كانت الدنيا لنا ثم تولّت

كأنّي بالمصحفي اعترته فترة صحو، بعد ما كان أغرق فيه نفسه من شكوى و أنين حين بلغت مأساته مداها، فحمل نفسه على أن تموت عزيزة كريمة. و نلاحظ في هذا الموقف- الذي هو أيضا من إفرازات يأس الخلاص من المأساة- ميل الشاعر إلى بعض معاني الزهد و الرياضة النفسية عند المتصوفة مثلما هو واضح في البيتين الأول و الثالث ، ففيهما يستلهم بيتين لامرأة مشرقية متصوّفة تدعى ريحانة و فيها تقول:

صبرتُ على اللذات حتى تولّت وألزمتُ نفسي صدها فاستمرتِ
و ما النفس إلاّ حيث يجعلها الفتى فإن أطيعت تاقت وإلاّ تسلّت

و تدفع قوة الإحساس بالمأساة المصحفى إلى الإيمان بالقضاء و القدر فيما حلّ به، لكن ذلك لم يكن إلاّ بعد أن سُدّت حياله سبل الانطلاق ، واستنفد دموعه التي سكبها ليحرك بها عاطفة الرحمة و الشفقة في نفس المنصور فيفك قيده و يطلق سراحه. قال المصحفى مستسلما لقدره:

لي مدّة لا بدّ أَبْلُغُها فإذا انقضت أيامها متُّ
لو قابلتني الأسد ضارية والموت لم يدنُ لما خفت
فانظر إليَّ وكن على حذرٍ فبمثل حالك أمس قد كنت

إن هذا الاعتراف بالأجل و الاستسلام للقضاء إنما هو اعتراف العاجز الذي حاول فأخفق لا اعتراف المؤمن الحق بالقضاء و القدر الذي يفوّض أمره للّه و لا يتضرع لمخلوق أيا كان . إن مثل هذا الموقف من المصحفى يشِفُّ عن بلوغه درجة اليأس في الخلاص من المأساة التي استحوذت على كيانه كله حتى لم يبق له بصيص أمل في ما يمكن أن يخفف من شدة وطأتها عليه.

لعلّ من أهم القيم الأدبية و الفنية في شعر هؤلاء الشعراء الذين ذُلّوا بعد عزّ مَا تبع عمق إحساسهم بالمأساة من تأثير في صورهم و في طرائقهم الشعرية. فقد تقدمت الإشارة إلى أن شعر المصحفى قبل نكبته كان حافلا « بالرؤى الحالمة و الأطياف العذبة، تعكس ما لاقاه الشاعر في حياته من نجاح و توفيق و ما حالفه من سعدٍ و يُمنٍ رفعاه إلى مصاف فحول الشعراء و كبار الوزراء»[28] ، فإذا وازنَا هذه السمات التي ميّزت شعره قبل المأساة التي ألقت بظلالها عليه، بالنماذج التي عرضناها ظهر لنا الفرق واضحا، فصورة المصحفى في شعره الذي قاله مستعطفا هي صورة العبد الضعيف الذليل الذي لا حول له و لا طول، و نفسه تشف عن إحساس قاتم تطبعه غنائية شجية، و إيقاع شعره أضحى إيقاعاً ينمّ عما سكن النفس من حزن عميق، فقد غلبت على شعره بعد النغمة المرحة المترفة نغمة حزينة كلها شكوى و أنين، و ترك الصور الجميلة المشرقة التي كان ينقلها من حياته المترفة إلى صور قاتمة مصدرها نفس مكلومة غائرة الجرح. و لم يكن المصحفى مثلاً فرداً في هذا التحول الذي أحدثته مأساته في شعره، فالدكتور إحسان عباس يحدثنا عن التأثير الذي كان للسجن في طريقة يوسف بن هارون الرمادي الشعرية فيقول:» السجن كان من أقوى الدوافع التي كادت أن تحطم عليه طريقته الشعرية التي قامت على المجانة و اللهو في الموضوع و على الإغراق و الإحالة في تعقب الصور و المعاني، و انطلقت أشعاره في السجن من خلجات الحزن العميق و دوافعه، وردّه وضعه إلى شيء من التأمل في نفسه و في نهايته و ملأ أبياته بالبكاء حينا و بالتشوق إلى الانطلاق حينا آخر، و حلّت العاطفة الجياشة في شعره محلّ التصنيع الذهني» [29] .

على هذا النحو نرى كيف تغير الوتر الذي كان يوقع عليه هؤلاء الشعراء بتأثيرٍ من اشتداد مآسيهم في السجون التي أرهفت عواطفهم و كثفتها فانكفؤوا على نفوسهم يتأملونها و يستخرجون ما بأغوارها من إحساسات رقيقة يغلب عليها الحزن و الأسى, و طبيعي أن تنعكس في أشعار هؤلاء مآسيهم و معاناتهم في معتقلات عرفوا فيها أشد التضييق وأسوأ معاملة و أبعدوا فيها الإبعاد كله عن الحياة التي كانت مقبلة عليهم فعبُّوا من مباهجها و مسراتها ، كما يتجلى ذلك من وصف بعض هؤلاء الشعراء السجون التي زُجُّوا فيها، على نحو ما فعل أبو مروان الجزيري الذي وصف معتقله بقلعة طرطوشة وصفًا مستوفيا حتى قال صاحب الروض المعطار: إن وصف هذه القلعة « لم يستوفه بالصفة إلا عبد الملك بن إدريس الكاتب المعروف بالجزيري حين سجنه بها المنصور بن أبي عامر[30] « ، قال الجزيري في وصف محبسه[31]:

في رأس أجرد شاهق عالي الذرا ما بعده لمؤمل من مبصر
يهوى إليه كل أجرد ناعبٍ وتهبُّ فيه كل ريح صرصر
ويكاد من يرقى إليه مرة من دهره يشكو انقطاع الأبهر

فكما هو بيّن من هذا الوصف فإن معتقل عبد الملك الجزيري يقع في مكانٍ شاهق يكاد يعانق النجوم لفرط علوه، ولا أنيس فيه سوى الغربان، ولا يُسمع فيه صوت سوى هبوب الريح وصفيره ، ولوعورة مسالكه، فإن من يرقى إليه يحس تَقَصُّم حيازمه. فالشاعر إذا يقضي أوقاته بعيدا عن حياة الأحياء في هذا المكان المهجور الذي لا أنيس فيه سوى هذا الصنف المنفر من الطير، و لا جليس سوى ذكرياته التي يستعيدها من الماضي

البعيد. و إذا ما بدت لنا مبالغة في هذا الوصف ، فإنها مبالغة سائغة ، فهي تقرب إلينا ما يعتلج في نفسه من أسى ولوعة و ما يثقلها من هموم.

قد لا يخطئنا الصواب إن قلنا أن هذا الشعر الذي عبّر فيه الشعراء عن مآسيهم يُعد وثيقة فنية مهمة لعصر- أعني العهد العامري في الأندلس- قام على العنف و القوة و عدم التريث لمعرفة وجه الحق، وللتمييز بين المسيء حقا و بين من لفقت عليه التهمة تلفيقا. و كانت النتيجة أن ذهب بعض الأبرياء حتى ممن لم تكن لهم بالسياسة صلة ضحية العجلة وعدم التروي و التريث في إنزال العقاب، لذلك نرى بعض الشعراء يمزجون استعطافهم برجاء التثبت في ما رموا به من تُهم ، فقاسم بن محمد القرشي أودعه المنصور السجن، فجزع جزعاً شديداً فأرسل إليه بأبيات يستعطفه ويرجوه أن يتحقق من أمره ويحقن دمه، قال[33]:

يا من برحماه أستغيث وحق لي ... منه الغياث عُلاك استرعى دمي
لا أبتغي فيه سوى سنن الهدى ... عرضا وأقضية الكتاب المحكم
وتثبت المنصور مولانا وسيدنا المو ... فق في القضاء الملهم
ليموت أويحيا بعدال قضائه ... فيرى اليقين عيان من لم يعلم
ناشدتك الله العظيم و حقه ... في عبدك المتوسل المحترم
بوسائل المدح المعاد نشيدها ... في كل مجمع موكب أو موسم
لا يستبح منه حمى أرعاكه ... يا من يرى في الله أحمى محتمى

إن مثل هذه الصرخة تكشف لنا أن بعض الذين أفرغوا مآسيهم في أشعارهم كانوا ضحايا دسائس هذا العهد العامري و سياسته التي طبعها العنف،فالشاعر إذ يرجو المنصور بن أبي عامر أن يحكم عليه بكتاب الله ويدعوه إلى التريث و التثبت قبل أن يصدر في حقه حكما، فإنه يزيح السُتُر

عن طبيعة سياسة العصر، فالمهم هو حماية السلطان و دفع كل ما قد يسيء إليه حتى على سبيل الظن ، من غيرٍ تروٍ في الحكم أحيانا ، و لو كان في ذلك بعض الضحايا الأبرياء الذين لم يخوضوا في السياسة و لم ينغمسوا في عبابها. وليس هذا الذي عبرعنه قاسم بن محمد سوى صدى لأحاسيس جماعة أخرى من الناس تحس هذا الإحساس نفسه و لكنها لا تملك أداة التعبيرعنه تعبيراً فنيا.

خلاصة القول، و مهما كان الأمرفإن هذا الشعرالذي عبّرفيه الشعراء المنكوبون عما ألمّ بهم من مآس يُعد صدى قويا لعصرطغى فيه التسلط و تضييق الخناق على كل من تشتبه فيهم المنافسة و إنزال أشد العقاب عليهم إن حقا أوظلما حماية لما كان بين أيدي ساسته من سلطان.

الهوامش:

1. راجع، أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح. د/ إحسان عباس، بيروت، دار صادر 1961، 1 /363، 366 ،379 . محمد عبد الله عنان، تاريخ العرب في إسبانيا، ط.1 ، مصر، مطبعة السعادة 1924، ص. 111 - 112 ، 133 - 134، ومحمد عبد الله عنان، تراجم إسلامية شرقية و أندلسية ، ط2، مصر، دار المعارف ، 1947، ص.143 و 166، و عبد الحميد العبادي ، الصقالبة في أسبانيا، مدريد، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، 1953، ص، 12 - 13.
2. المقري، نفح الطيب 1/ 386 – 387.
3. راجع. ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب، تح، عبد السلام محمد هارون، القاهرة 1962، ص، 100، و المقري، نفح الطيب 1/ 385 – 386.

4. راجع ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تح و مراجعة ، ج.س كولان و إ.ليفي بوفنسال ، ليدن 1951، 2/ 277.

5. الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان، مطمح الأنفس و مسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح، محمد علي شوابكة ، ط.1 ، بيروت، مؤسسة الرسالة 1983 ص 154.

6. لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح. إ.ليفي بروفنسال، بيروت، 1956، 2/ 77.

7. لسان الدين بن الخطيب أعمال الأعلام، 2/ 77.

8. المقري، نفح الطيب 1/ 396 – 397.

9. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي ،عصر سيادة قرطبة ط.5، بيروت، دار الثقافة 1978، ص 99 - 100 .

10.أبو بكر بن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح د/ عبد الله أنيس الطباع ، بيروت 1958،ص، 92.

11. ابن ألابار، الحلة السيراء ، تح د/ حسين مؤنس/ ط1، الشركة العربية للطباعة و النشر، 1963، 1/ 140 - 141.

12. المجلة العربية، العدد 67، السنة السابعة، حزيران 1983 ص 62.

13. المقري، نفح الطيب ،1/ 591، و ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، 2/ 268.

14. راجع، ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب، 2/ 268.

15. راجع الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس، ص 153 - 156

16. المقري، نفح الطيب، 3 /389.

17. المقري، نفح الطيب ،3/ 389.

18. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح، د/ إحسان عباس، ط1، بيروت، دار الثقافة، 1965، ق:2 م:1 ص 377.

19. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة ص 102-103.

20. ابن سعيد و آخرون ، المغرب في حلى المغرب، تح د/ شوقي ضيف / ط.3، دار المعارف بمصر، د.ب، 1 /212.

21. الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تح، محمد بن تاويت الطنجي، ط.1، القاهرة، مكتب نشر الثقافة الاسلامية 1952،ص,269.

22. طرطوشة بلد بشرق الأندلس، و هي على سفح جبل، راجع محمد بن عبد المنعم الحميري، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تح د/ إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، 1975 ص، 391.

23. أبو منصور عبد الملك الثعالبي، يتيمة الدهر، القاهرة، مطبعة الصاوي 1934، 2/ 89.

24. الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس، ص161.

25. ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب ، 2/ 272.

26. أبو منصور عبد الملك الثعالبي، يتيمة الدهر2 /89 - 90.

27. . الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس ص 156 - 157.

28. ابن بسام، الذخيرة ، ق.4، م .1 ص 70، و المقري ، نفح الطيب 1/ 603.

29. المجلة العربية ع. 67 السنة السابعة ، حزيران 1983 ص. 62.

30. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة ،ص 220.

31. محمد بن عبد المنعم الحميري، كتاب الروض المعطار، ص.391.

32. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار، ص.391.

33. الحميدي، جذوة المقتبس، ص311.

طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية - الجزائر-
2015
Achevé d'imprimer sur les presses
ENAG, Réghaïa
-Algérie-
Bp 75 Z.I. Réghaïa Tél: (023) 96 56 10 /11

الإيداع القانوني : 2005–1513
ISSN : 1112-65-23 ردمد